

مكتبة (البحر) مطبعة
أبي عثمان غنم بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

بمحققين وسريع
جهد السيد محمد طه

الكتاب الأول

البحر

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء.

مكتبة يوسف الألكترونية
لنشر وترويج الكتب pdf
يوسف الرميض

كتاب
الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بمقتضى الكسوة

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تفہیم :

كل تسکلة موضوعة بين مقفين في هذا
الجزء خاصة ، تروكة بلون تعليق
وتنبيه ، فهي من النسخة الشنقيطية
المرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

٢ نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جملة الذرة والنملة ، كما شرطنا به آخر المصحف^(١) الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٢) .

(خصائص النملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن الحرم . ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبيه على التدبير ، ذكرنا الحسب القليل ، والسخيف المهين ؛ فأريناك ما عنده من الحس اللطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكل الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخِّرَ له هذا الفلك بما يشتمل عليه .

وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف ، وتتقدم في حال المهلة ، ولا تضيع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقدها وحسن خبرها ، والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أن تعفن وتُسوس^(١) ، ويقبلها بطن الأرض ؛ فتخرجها إلى ظهرها ؛ لتبيسها وتعيد إليها جفوفها^(٢) ، وليضربها الذسسيم وينقى عنها اللحن والفساد .

ثم ربما كان - بل يكون^(٣) أكثر مكانها ندياً . و [إن^(٤)] خافت أن تنبت نقرت موضع القطمير^(٥) من وسط الحبة ، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهي تفلق الحب كله أنصافاً . فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة^(٦) ، فلقته أرباعاً ؛ لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب . فهي على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان ، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس .

ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها ، في الشم والاسترواح^(٧) ما ليس لشيء .

وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد ، فتسقط^(٨) من يده الواحدة أو صدر الواحدة ، وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذرع عهد

٣

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، ه : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما في س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأباير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجراد ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملها .

فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجراءة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجراد ففجزت ،
هي التي أخبرت صويحباتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتهن ؟ قلنا :
لِطُولِ التَّجْرِبَةِ ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جراد ففجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل
في العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقفَتُها ساعةٌ وخبرَتها بشئٍ . فدلَّ ذلك على أنَّها في رجوعِها عن الجرادة ، إنَّما كانت لأشباهاها كالرائدِ لا يكذبُ أهلُه^(١) .

ومن العجب أنَّكَ تُنكِرُ أنَّها توحى إلى أختِها بشئٍ ، والقرآنُ قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رُوْبَةُ بن العجاج^(٢) :

لو كنتُ علِّمتُ كلامَ الحُكْلِ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا^(٤) اتَّوَا عَلَى وَادِ التَّمْلِ قَالَتْ تَمَلُّهُ
يَا أَيُّهَا التَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا يَخْطِئَنَّكُمْ^(٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأق أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تسألنى من السَّيِّئِ كَمْ لِي فَقُلْتُ : لَوْ عَمَّرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ

وقد أتاه زمن الفِطْحَلِ والصَّخْرُ مَبْتَلٌ كَطَيْنِ الوَحْلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحِجْلِ كنت رهينَ هَرَمٍ أو قتل

والحِجْل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) في الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأق صحيحة في ص ١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلا من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان
وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ (١) ، وَأَنَّ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهَا أَمَرَتْ صَوِيحِبَاتِهَا (٢) بِمَا
هُوَ أَحْزَمُ وَأَسْلَمُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجُنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجُنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ :
﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وَنَحَاكَ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ تَبَسُّمَهُ بِجَاهِنَ (٣) ، أَنَّكَ
لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ السِّكَاكِ ،
وَلَا تَدْبِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدْعِيَهُ .
وَلَكِنْ ، مَا تَنْكِرُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يُدَلُّ عَلَى]
أَنَّ لَهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بِسَبِيلِهَا ؟ ! فَعَلَهَا
مُكَلَّفَةً ، وَمَأْمُورَةً مِنْهَيَّةً ، وَمُطِيعَةً عَاصِيَةً . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ (٤)
مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبُهَةُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ لَنَاقِصٌ ٤
الرُّوْيَةِ (٥) رَدَى الْفِكْرَةَ (٦) . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهَمَّ نَاسٌ وَهَمَّ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ
فِي الْغَرِيْزَةِ وَفِي الْجِنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهَمَّ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوْغِ
وَنَزُولِ الْفَرَضِ (٧) حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشْرِبَتْ مِنْ أَعْلَاهِ .

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأنبت » .

(٢) س : « صواحيباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ :
« تشبه بجاهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما فى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « للفرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهبيل^(١) :

آبَ هَذَا اللَّيْلُ فَكَتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاْمَتَنَعَا^(٢)
فِي قِيَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونَ قَدْ يَنَعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطُرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْقَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جَلْقٍ بِيَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهبيل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخرانة البغدادي (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادي بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجهها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعاً : أي الذي جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجتنى . ورواية العباب والمقاييس والخصص (١١ : ٩) : « خلفه » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : النمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراع مصر . وارتبعت : دخات في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لسكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقيرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التَّنُومَ وَالسَّلْعَا (١)

ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأُرَاهُ مَا كَلَّا فَطَعَا (٢)

وقال أبو النجيم في مثل ذلك (٣) :

وَكَانَ نُسَابَ الرِّيَّاحِ سُنْبُلُهُ (٤) وَأَخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرَمَلُهُ (٥)

وَإَبْيَضَ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدْوَلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرَّوْضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)

وَاصْفَرَ مِنْ تَلْعٍ فَلْيَجِ بِقَلُّهُ (٨) وَانْحَتَ مِنْ حَرَشَاءٍ فَلَجَّ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التَّنُوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كتل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتق حبالا خضرا لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الغصون وتشبهك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القروود .
(٢) الفطع ، ككتف : الفطيع .

(٣) انظر بعض أقطار هذا الرجز في جهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرملة ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) أبيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجداول من ذلك لمسا بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجاً . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فليح » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطار) . والفليج :

النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردك البر . وهي في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشَقَّ عن فصح سواء عنطله^(١) وانتفض البروقُ سوداً فلغله^(٢)
واختلفَ التَّمَلُّ قطاراً يَنْقله^(٣) طارَ عن المهر نَسيلٌ يَنْسِلُه^(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك
في الذَّرَّةِ .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب^(٥) ، وهي أيضاً جُرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحر^(٦) بما فيه من الذرِّ والحبِّ
والمازِنِ . والمازِنُ هو البيض ، وبه سموا مازِن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والمعصل ، كقنفذ :
البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود
صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأذى
ندى يقع من السماء . ط ، ه : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر
الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بمضها بمضاً على نسق .
وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ه :
« فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ه :
« ينقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النَسِيل ، بفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان
الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى
آيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ه : « الزراب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية
النمل : ما تجتمع من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد :

قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .
(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزَّبَال ما حملت النملةُ بغيرها ، وهو قولُ
ابنِ مُقبل :

كريم النَّجارِ حمى ظهره فلم يرتزأ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وأُشد ابن نُجيم^(٣) .

هَلَكُوا بِالرَّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)
وقال الأصمعيُّ في تسليطِ اللهِ الدَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزَّهَوِيِّينَ فَأَمَسُوا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِمْ بِالْمَبِينِ^(٥)
سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بَدَارِ شَطُونِ^(٦)

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .
(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره :
أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفي ط ، ه :
« يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل)
والخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى في الأصل « كرم » وصوابها في
المرجعين السابقين .

(٣) في ط ، ه : « لحيم » . وفي س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه
يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته في (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف
في (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ،
ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين »
وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه في س ، ه .

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفي الأصل :
« عقيفان » بقاءين ، وهو تصحيف صوابه في اللسان . والرواية فيه :

سَلَّطَ الدَّرَّ ، فَازِرًا أَوْ عُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ لِدَارِ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه في س ، ه .

٥ يَبْعُ القَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الهُدَى بذات الغصون^(١)
فازر ، وعقيفان^(٢) : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل
[بن حنظلة] الناسب^(٣) . ويقال : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَسُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
قال : [وكان آخِرُ من مات بالرُّعَافِ من سادة قريش ، ^(٤)] هِشَامُ
ابن المغيرة .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

نُزِعَ الذُّكْرُ فِي الحَيَاةِ وَغِنَا وَأَرَاهُ العَذَابَ والتَّدْمِيرَا^(٥)
أرسلَ الذَّرَّ والجِرَادَ عليهم وسينياً فأهلكتهم وموراً^(٦)
ذَكَرُ الذَّرُّ إِنَّهُ يفعلُ الشَّرَّ وَإِن الجِرَادَ كانَ نُبُورَا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
« الفار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، ه : « الندى » .

(٢) عقيفان يقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
ففقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتنا اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي سلبه الله حمن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، ه .
وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
في الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المسا . فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا المحير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
« دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو
يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، ه والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) النبور : الهلاك .

(غلة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾
فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف
نُشِكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النملُ ربّما أجلت أمةً من الأمم
عن بلادهم .

ولقد سألتُ أهل كسكر^(٤) فقلت : شعيرُكم عجبٌ ، وأرزُكم
عجبٌ ، وسمكُكم^(٥) عجبٌ ، وجدائُكم عجبٌ ، وبطُكم عجبٌ ،
ودجاجُكم عجبٌ ، فلو كانتْ لكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة
النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الحجرَ^(٦) مساكن . والعربُ تسميها كذلك .
ثم قال : ﴿ لَا يَحِطُّنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من تمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ :

« سمككم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرقة عن : « صحناكم »

وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الحجر ، بجم مكسورة تليها جاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل :

« الحجر » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعذُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَبَسَّمْ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ (١)] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « أَلُطْفُ (٢) مِنْ ذَرَّةٍ » و : « أَضْبَطُ مِنْ نَمْلَةٍ (٣) » .
قال : والنملة أيضاً : قَرْحَةٌ تَعْرُضُ لِلسَّاقِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ فِي جَزِيرَةِ
العرب (٤) .

قال : ويقال : « أَنْشَبُ مِنْ ذَرَّةٍ (٥) » .

(قول في بيت من الشعر)

فَأَمَّا قَوْلُهُ (٦) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَالدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ (٧)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
 - (٢) أَلُطْفُ ، من اللطافة ، وهي الدقة . س : « أَلُفٌ » من الإلخاف ، وهو الإلخاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
 - (٣) أَضْبَطُ ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أَضْبَطُ مِنْ ذَرَّةٍ » ، ومن الأعمى ، ومن صبى « انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
 - (٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالتملة » .
 - (٥) في الأصل : « أنسب » .
 - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
 - (٧) أندبتهأ : أثرت فيها . والكَلُوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَى مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانَّتِهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَلَقَّطَ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَىِّ أُمَسَّتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلْقَعًا^(٢)
قَالَ : وَحَوْلَى الْحَصَى : صَغَارُهَا . فَشَبَّهَهُ بِالْحَوْلَى مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

(أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرْدُ ، وَالْمُهْدُهُدُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرْيَةٍ
نَمْلًا ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أبي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالجبيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « باللحين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ السُّكُوفِيُّ ، اختلف في اسمه ،
ف قيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة
الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نمل كثير تحت شجرة فقتلهن ، فقبل له : أفلا نملة واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فقصته نملة ، فأمر بجهازه (١) فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرق ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلا نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني (٢) ، عن هشام الدستوائي (٣) قال : إن النمل والذر إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخفن أن يثبت فلقته .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد] فقال : لئن نمتنهن أو لنحرقن عليكن ، أو لنفعلن أو لنفعلن (٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفخ : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، ه : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه . « ابن الدستوائي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ - ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، ه : « أو لنفعلن » بالياء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة .

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : خَرَجَ نَبِيٌُّّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا النَّمْلِ ! » .

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حدثنا زيد القمي^(٤) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال « خرج سليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقریب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقریب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فحمله الله محذنا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثيت . وفي الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لاحق أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو - وقيل ابن قيس - الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجى » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إنا خلقنا من خلقك ، ليس بنا غنى عن سقيتك ؛ فإمّا أن تسقينا وترزقنا ، وإمّا أن نميتنا وتهلكنا ! فقال : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ! .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهجاه قال : سألت أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إن نذيراً يعجب^(٢) منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظمُ خطره حتى يضحك له لعجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ما ذهبت إليه . قال : فإنه قد يضحك النبيُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء من كلام الصبيِّ ، ومن نادرة غريبة . وكلُّ شيءٍ يظهر من غير معدنه ، كالنادرة تسمع من الجنون ، فهو يضحك . فتبسّم سليمان عندى على أنه استظرف ذلك المقدار من النملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألته عن قول أبي موسى^(٣) : إن لكلِّ شيءٍ سادةً حتى الذرُّ . قال : يقولون : إن سادتها الأواتى يخرجن من الجحر ، يرتدن بجاعتها ، ويستبقن إلى شمِّ الذى هو من طعامهن .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفول » .

(٢) س : « إن تديراً يعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَاقِضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَيْتِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَمٍ (١)

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقَلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .
فإذا كان الثَّقَلُ الَّذِي فِي لِسَانِهِ مِنْ قِبَلِ الْعُجْمَةِ (٢) قِيلَ : فِي لِسَانِهِ
حُكْلَةٌ . وَالْحُكْلُ مِنَ الْحَيَوَانَ كُلِّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتٌ يُسْتَبَانَ بِاخْتِلَافِ
مَخَارِجِهِ ، عِنْدَ حَرَجِهِ ، وَضَجْرِهِ ، وَطَلْبِهِ مَا يَغْذُوهُ ، أَوْ عِنْدَ هَيَاجِهِ إِذَا أَرَادَ
السَّفَادَ ، أَوْ عِنْدَ وَعِيدِ لِقَاتِلٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ .

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ما له كثير كلام الناس واختلفت صور
الفاظهم (٣) ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللين والشدة ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستمن
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضيع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه في كل من ط ، ه : « واتسمت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدِّ والقطع - كثرة (١) حاجاتهم . وليكثر (٢) حاجاتهم كثرت
خواطِرهم وتصاريِفُ ألفاظِهم ، واتَّسعت على قدرِ اتِّساعِ معرفتهم .

قالوا : فحوائِجُ السَّنَائِرِ لاتعدُّو خمسةَ أوجهٍ : منها صياحُها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أحواتها وآلافها (٣) ، ولذلك صورة (٤) .
وصياحُها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعت ،
ولذلك صورة (٥) . فلما قلَّت وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّت وجوهُ
مخارجِ الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها (٦) ما يفهم صاحبه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ
والشائِثِ . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّةٌ ، وقليلةٌ العددِ يسيرةٌ . ومعها من المعرفةِ
ما لا يقصِّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه .

٨

[و] راضيةُ الإبلِ ، والرِّعاءُ ، ورَوَّاضُ الدَّوَابِّ في المروجِ ، والسُّوَّاسُ ،
وأصحابُ القنصِ بالكلابِ والفهودِ ، يعرفون باختلافِ الأصواتِ والهيئاتِ
والتشوفِ ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضرورياً من هذه الأصنافِ ،
ما لا يعرف مثله من هو أعقلُ منهم (٧) ، إذا لم يكن له من مُعَايِنَةِ أصنافِ

= تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كما في س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بعد الهززة في أوله : جمع إلف بالكسر وهو الأليف . ط :
« آلافها » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لاختصاصه . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنتهى » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهم^(١) . فالْحُكْلُ من الحيوان [من ^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رؤبة ^(٣) :

لَوْ أَنِّي عُمَرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ أَوْ أَنِّي أُوتَيْتُ عِلْمَ الحِكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ

(تأويل بيت للعُماني)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي وهو الذي يقال له العُماني^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمانيُّ ممن يُعَدُّ ممن جمع الرجز والقصيد ، كعُمَرَ بنِ الجَلِجِ^(٥) ، وجريز بن الخطفي ، وأبي النجم وغيرهم . قال العُمانيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحِكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا^(٦)

يقول : الذرّة الذي لا يُسمع ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سواد^(٨)

لفهمه . والسواد هو السرار^(٩) . [قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٩) . و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المعتل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والسرار ، بالكسر : التحادث سرّاً .

« أَذْنَكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سِوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْحُسَيْنِ : « قُرْبُ الْوَسَادِ [وَطُولُ السَّوَادِ (١)] .

قال أبو كبير الهذلي :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ فَلَمْ أَنْمَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ (٢)
وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا (٣)
عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا (٤)
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) .

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني

تَغْلِبَ معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لِاتِّبِينُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجِ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حلك على أن زويت بعبدك ؟ » . انظر البيان

(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه في س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل

القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحاً ولم يقدر على غيره ؛

لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولي من المطر

فسمنت . أساود رها : يقول : أساره وأناجيه لأختمه عنها فيسمح بها ليبرى

عليها الميسر . وكان لون الملح فوق شقارها : أى أن الشفار التى تذيب بها وتقطع

يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه

في س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع عنج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس :

جمع برنس ، وهو القطنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .

وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان

(١ : ٤٠) : « ولسكن حكلا لا تبين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ (١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظَّلْفِ وَالْحَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالدَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالخِنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصْبِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدُ (٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ حَقٌّ (٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يُخْبِرُ عَنِ
النَّصَارَى كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَى وَالْمَفْضَلِ)

٩ [وَ] قَالَ الْأَصْمَى لِلْمَفْضَلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمَفْضَلُ جَعْفَرَ بْنَ سَلِيمَانَ (٤)

قَوْلَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ :

وَذَاتَ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصُمِّتُ بِالْمَاءِ تَوَلِّبًا جَدْعًا (٥)

- (١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .
(٢) من الحجيرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ لبيسك .
(٣) ط ، هـ : « حقي » ، وهو على الصواب في س .
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن علي الهاشمي .
(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
الجاعة . تصمت بالماء تولباً : أي نسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستمارة لجعله الطفل تولباً
انظر العبدية (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستمارة، هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستمارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة يرفق بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جِزْعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ليبيكك الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعا
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جردع) .

فجعل الدال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجداع^(١) .
قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوْلِباً جَدِعا » الدال مكسورة . وفي الجديع
يَقُولُ أبو زيد :
ثمّ استقاها فلم يقطع نظائماً عنها عن التضبب لا عبل ولا جدع^(٢)
وإنما ذلك كقول ابن حَبْنَاء الأشجعيّ^(٣) :
وأرسلَ مُهْمَلًا جَدِعاً وخفّاً ولا جدعُ الثّباتِ ولا جَدِيبُ^(٤)
فنفخ المفضّل ، ورفع بها صوتَه ، وتكلم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ :
لو نفختَ بالشُّبُور لم ينفعل ! تكلم بكلام الثمل وأصِيب^(٥) !

(١) الأجداع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التضبب : السن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضبب » . والجديع ، ككتف :
فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيبُ الغداء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبنا ، اسم أهمهم
كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم
لقب به حبن أصابه . والحن : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر
مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين
الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب
ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكناني
وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء في (٣ :
٦٠) . جاء في ط : « حبناء » صوابه في ه ، س . على أني أستبعد صحة العبارة
هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » .
والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير)
وهو شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ينتهي نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى
في أيام بني أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني .
(١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخلف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جديع) .

والشُّبُور : شيء مثل البوق ، والكلمة بالفارسية^(١) . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأس الجالوت^(٢) أن يحرم كلام رجل منهم نفخوا عليه بالشُّبور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليس تحريم الكلام من الحدود القائمة في كتبهم ، ولكن الجائليق^(٣) ورأس الجالوت ، لا يمكنهما في دار الإسلام حبس ولا ضرب ؛ فليس عندهما إلا أن يعزما المال ، ويُحرما الكلام . على أن الجائليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر ، الذي له من السلطان ناحية . وكان طيمانو^(٤) رئيس الجائليق ، قد همّ بتحريم كلام عون العبادي^(٥) ، عند ما بلغه من اتخاذ السراي^(٦) ، فتوعده وحلف : لن فعل ليُسلمن ! وكما ترك الأشقييل^(٧) وميخايل^(٨) وتوفيل^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجائليق ، بفتح التاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالخيرة .

(٦) السراي : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي بوئت بيتا . ونظام التمرد ، أي اتخاذ السراي ، نظام إسلامي يقصد به تكبير نسل المسلمين . والتمرد

محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشقييل » .

(٨) س : « ميخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « تيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنٍ مَّنْوِيلٍ^(١) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل ؛
وإن كان ذا رأي سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُمْ فيه .
وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى^(٢) . فإن
أردته فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عمر بن أبي ربيعة :
لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا لِأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورٌ^(٣)
والحذر : الورم والأثر^(٤) يكون عن الضرب .

(١) سمل عينه : فتأها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي هـ :
« سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصاري وثيقة
تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصاري
بالمسلمين في عصره . وقيل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ :
١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحي جلدها : أي جلدها الضاحي المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر .
و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حمّ والكتاب الميين » أي
البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حدر)
والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛
إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروي ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :
لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتير

وقبل البيت :

تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمّى بنملة ونَمَيْلَة ، ويكتنون بها . وتسمّوا بذرّاً ، واكتنوا بأبي ذرّاً . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذَرِيُّ السَّيْفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة (٢) :

وقد أغدُو مع الفتيانِ بالمنجردِ الرَّثِّ (٣)
وذى البركةِ كالتَّابوتِ والمَحْزَمِ كالقَرِّ (٤)

(١) في الأصل: « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وذرى السيف : فرنده ومأؤه ، يشبهان في الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل يتوه بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلاً فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ،

هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (تر) .

والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبر »

وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه

(١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهييجا بالمختنك الرث

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يتقال سبحانه ثر ، للكثير الماء .

واستعزوه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية

الأصل . والحزم ، كجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفخج : الهودج :

مَعَى قَاضِبَةٌ كَالْمِلْحِ حِرٌّ فِي مَتْنَيْهِ كَالذَّرِّ (١)
١٠ وَقَدْ أَعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنِي شَتْنُ الشَّتْرِ (٢)

وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتُرَجِّفُ إِنْ يُلْثَمَهَا حِمَارُ (٣)
وَتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قِيلَ حَقًّا وَرُعِبُ قَلْبِهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ

وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرَّبَا وَمَدْرَجَ ذَرِّ خَافٍ بَرْدًا فَأَسْهَلَا (٤)
عَلَى صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينَ جِلَانِهِ كَفَى بِالذِّي أْبَلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلَا (٥)

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فإثاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالملح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما في اللسان (مادة تر) . ويمكن تصحيحه وإكماله ما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهينه . يقول : يفاجئ عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعتسر » صوابه في هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهي في ط : « شتن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنخيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلانه » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلٌ من الحرقفة (١) من جهينة ، فأخذَه فشدَّهُ قِطاطاً ، ودهن آسته برُبُّ وقمطه (٢) وقرية من قرية النمل ، فأكل النمل حُشوة بطنه (٣) .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرمة :

وقرية لاجنٌ ولا أنسيةٍ مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شَرَرًا (٤)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا (٥)

وقال أبو العتاهية :

أَحْبَبْتُ بَدَارِ هَمَّهَا أَشْبُ جَنْلُ الْفُرُوعِ كَثِيرَةٌ شَعْبُهُ (٦)
إِنَّ اسْتِهَانَتَهَا بِمَنْ صرَعَتْ لِيَقْدِرَ مَا تَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ (٧)

- (١) كذا هل الصواب في ط ، ه وهي قبيلة . وفي س : « الحدقة » محرف .
وفي الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بني سلمان بن سعد .
(٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرُب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل الصمن
والزيت . وفي الأغاني : « ودهن آسته يشحم » .
(٣) القصة في الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .
(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة في بعضها بعضاً . شررا : عل غير استقامة
فهى معوجة .
(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغي عندها » .
(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جنل : كثير الورق . ط ،
ه : « جيل » صوابه في س .
(٧) في الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ (١)
وقال البعيث :

وَمَوَى كَبَيْتِ النَّمْلِ لِأَخِيرِ عِنْدَهُ لِمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيهِ بِنَمِيمِ

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب (٢) يقول : إنه لنمائم نملئ . على قولهم : « كذبَ علىَّ نَمِلٌ » (٣) « إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال حميد بن ثور ، في تهوين (٤) قوَّة الذرِّ :

منعممة ، لو يُصْبِحُ الذرُّ سارياً على جلدِها بضتْ مدارجُه دما (٥)
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة عنب - : أتصدقين (٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها المِثْقَالَ ذَرَّةً (٧)

= أبى العنائة ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فيقدر » وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و« تملو » هى فى ط : « نقلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . وبدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الديميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابياً » .

(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل - كحسن - والمنمل - ككبر - والتمال ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتوهين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تتصدقين ، حذف إحدى التائين تخفيفاً . ط فقط : « أتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، هـ . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في النمل)

ومَّا قِيلَ فِي الشُّعْرِ مِنَ اللُّغْزِ (١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَليْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

يعنى النمل . فزعم أن للنمل حافرًا ، وإنما يحفر جحره ، وليس ١١
يحفره بنممه (٢) .

(التعذيب بالنمل)

وعذَّبَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ (٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ (٤) بأنواع العذاب

فقيل له : إن أردت ألا يُفْلِحَ أبداً فمُرَّهُمْ أَنْ يَنْفُخُوا فِي دُبُرِهِ النَّمْلَ .

ففعّلوا فلم يفلح بعدها .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوامه الصل . انظر الديمري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة

الشجعان ، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك

إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر

بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .

انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق

لبزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص

تفتق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتل

بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة

مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى

الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١) :

(٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجرشي »

بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشَبَّهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تأتي على عامتها . وذكر أنه جرّب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنّ الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أنّ الضبّاع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلّ شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشئ^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الرؤية: النظر والتفكير . ط ، ه : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفي ه : « ولا يزال » . وفي ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشئ » هي « ينشئ » سهل همزها ، وهي بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص^(١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » .
والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر^(٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س :
« ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما في ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجذ اضطرابا في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدتتا بالياء ، ومرة بدتتا بالثاء . وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ (١)
وَإِذَا صَارَ النَّمْلَ كَذَلِكَ أَحْصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ
طَيْرَانِهَا .

(وَسِيلَةُ لِقَاتِلِ النَّمْلِ)

[قَالُوا (٢)] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يُصَبَّ فِي أَفْوَاهِ بَيُونِهَا الْقَطِرَانُ وَالْكَبْرِيتُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسَّ فِي أَفْوَاهِهَا (٣) الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ
بِاطِلًا . انْتَهَى .

بَابُ

١٢

(جَمَلَةُ الْقَوْلِ فِي الْقِرْدِ وَالْخَنْزِيرِ)

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْخِ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسَ عَلَى خَلْقَتِهِمَا (٤)
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبْرَةِ وَالْمُحَنَةِ ؛ وَفِي خِصَالِهَا الْمَذْمُومَةُ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَضْلُ (٥) الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي النَّقْصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

-
- (١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .
(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .
(٣) أى أفواه بيوتها .
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .
(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْلَ ،
والكلبَ ، والحمارَ ، والنَّحْلَ ، والهُدْهُدَ ، والغرابَ ، والذئبَ^(١) ، والفيلَ
والخيلَ ، والبغالَ ، والحَمِيرَ ، والبَقْرَ ، والبعوضَ ، والمعزَ ، والضأنَ ،
والبقرةَ ، والنعجةَ ، والحوتَ ، والنُّونَ^(٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الذَّلَّةِ والضَّعْفِ ، وفي الوهنِ ، وفي البَدَاءِ ، والجهلِ .

(هَوَانُ شَأْنِ الْقَرْدِ وَالْخَنْزِيرِ)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقللها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلٌّ
وعلا ، لم يمسح أحداً من حشوا أعدائه وعظائمهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . وإنما قرع
الطالب في هذا الموضوع^(٣) بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعفِ

(١) س : « اللب » صوابه في ط ، ه . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ،
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وذا النون إذ ذهب مغاضباً » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل
ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ،
والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجده جلّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذَبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فدَلَّ بوَهْنِ بَيْتِهِ
على وَهْنِ خَلْقِهِ ، فكان هذا القولُ دليلاً على التَّصْغِيرِ والتَّقْلِيلِ . وإِنَّمَا
يَقُلُ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَرَ كُفَّهِ يَلْهَثُ ﴾ ، فكان في ذلك دليلٌ على ذمِّ طَبَاعِهِ ، والإِخْبَارِ عَنِ تَسْرُعِهِ
وبِذَائِهِ . وعن جهله في تدبيره ، وترُّكه وأخذه . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وذكر الذرّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أَنَّهُ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الصَّغَرِ
وَالْقِلَّةِ ، وفي خِفَّةِ الْوِزْنِ وَقِلَّةِ الرَّجْحَانِ . ولم يذَكَرْ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلاً
في الجهل والغفلة ، وفي قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَغِلْظِ الطَّبِيعَةِ . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلق وذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَ بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ . فَأَمَّا
غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَ ^(١) ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذَكَرْهُ ^(٢) بِذَمٍّ وَلَا
نَقْصٍ ، بَلْ قَدْ ذَكَرَ أَكْثَرَهُنَّ ^(٣) بِالْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى ذَكَرِ

١٣

(١) الكلام من مبدأ : « بالذم والحمد » ساقط من س .

(٢) س : « يذكر » .

(٣) س : « أكثرها » .

القرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لها في قلوب
النَّاسِ حال . و [لو] (١) لم يكن جعل لها في صدور (٢) العامة والخاصة من
القُبْحِ والتَّشْوِيهِ ، ونذالة النَّفْسِ ، ما لم يجعله لشيءٍ غيرهما من الحيوان ، لما
خصَّهما اللهُ تعالى بذلك .

وقد علمنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذىً ، وأفسدُ ، وأنَّ الأفعى والتُّعْبَانَ
وعامةَ الأحناسِ (٣) ، أبغضُ إليهم وأقتلَ لهم ، وأنَّ الأسدَّ أشدُّ صَوْلَةً ، وأنَّهم
عن دفعهم له أعجزُ ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ،
وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم نَرُهْ تعالى مسخَّ أحداً من أعدائه على صورة
شيءٍ من هذه الأصناف : ولو كان الاستبدال والاستئصال والاستسقاط أراد ،
لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدَانَ أُولَى وأحقَّ (٤) . ولو كان التَّحْقِيرَ
والتَّصْغِيرَ أَرَادَ ، لكانت الصُّوَابَةُ والجُرْجِسَةُ (٥) أُولَى بذلك . ولو كان إلى
الاستصغار ذهبَ لكان الذُّرُّ والقملُ والذُّبَابُ أُولَى بذلك . والدليل على قولنا
قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلَعَهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، و لَيْسَ أَنَّ النَّاسَ رَأَوْا شَيْطَانًا قَطُّ على صورة ،
ولكن لما كان اللهُ [تعالى] قد جعل (٦) في طِبَاعِ جميع الأمم استقباحَ
جميعِ صُورِ الشَّيَاطِينِ ، واستسماجه وكرهته ، وأجرى على السنة جميعهم
ضربَ المثل في ذلك - رجوع بالإيحاش والتَّنْفِيرِ ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناس : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا

كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البموض الصغار . في الأصل : « المرجسة »
صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفزيح (١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخريين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم (٢) .

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رعوس الشياطين نبات ينبت باليمن (٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَبِيرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ (٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرذ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً (٥) سوى المسوخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل اللعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفزيح » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - لما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَسْكُنْ تَأْكُلُ القُرُودَ . وكان من تنصَّر^(٢) من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسُّوقَة ، يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد ينهى عن نفسه . ويكفي الطبايع في^(٣) الزجر عنه غنثه^(٤) . ولحم الخنزير مما يُسْتَطَابُ ويُتَوَاصَفُ ، وسبيلُ لحم القردِ كَسبيلِ لحم الكلب يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسدي الذي ليم بأكل لحم الكلب^(٦) :

يا فقعسى^٦ لم أكلته بله لو خافك الله عليه حرمة
فما أكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أن الله يخافه على شيءٍ أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنَّهُ لما كان الكلبُ عندهُ مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامة الناس بأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى
أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فَيَحْرِمُهُ . وهذا مما لا تقف
الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعَ الْوَهْمُ مَوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ
الَّذِينَ ، فَيَايُعْرِفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراء ^(٢) الكلاب نامس ، ويستطيبونها فيما يزعمون .
ويقولون : إِنَّ جَرَّو الْكَلْبِ أَسْمَنُ شَيْءٍ صَغِيرًا ، فإِذَا شَبَّ اسْتَحَالَ لَحْمُهُ ،
كَأَنَّهُ يَشْبَهُ بِفَرْخِ الْحَمَامِ مَا دَامَ فَرْخًا وَنَاهِضًا ، إِلَى أَنْ يَسْتَحْكَمَ وَيَشْتَدَّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السنانير . والذين يأكلونها صنفان من الناس :
أحدهما الفتي المغرور ، الذي يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل
سِنُورًا أَسْوَدَ بَهِيمًا لَمْ يَعْملْ فِيهِ السِّحْرُ ، فَيَأْكُلُهُ لَدُنْكَ . فإِذَا أَكَلَهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ ،
وَقَدْ غَسَلَ ذَلِكَ وَعَصَرَهُ ، أَذْهَبَ الْمَاءَ زَهْومَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ
بِعَسْتَقْدِيرِ مَا اسْتَطَابَهُ . وَلَعَلَّهُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ ^(٣) فَوْقَ
الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فإِذَا أَكَلَهُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ، وَدَبَّرَ هَذَا التَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يَنْكُرْهُ ،
عَاوَدَهُ . فإِذَا عَاوَدَهُ صَارَ ذَلِكَ ضَرَاوَةً لَهُ .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْفُ الآخر أحماب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائد^(١) للسنانير ،
التي يُلقَّون منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وغيظه
عليه ، أن [يكون] السنور مُفْرِطَ السَّمَنِ ، فيدعُ قتله ويذبُّه . فإذا فعل
ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتفرَّز^(٣) الرَّجُلُ من أكل
النَّصَبِ والورل والأرنب ، فما هو إلا أن يأكله مرَّةً لبعض التجربية ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
بأن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيبَ منه . والأعرابُ إنما^(٦) يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطباءِ والفلاسفةِ ، أن الحياتِ والأفاعى تؤكل نيئةً^(٧)
ومطبوخةً ، ومشويةً ، وأنها^(٨) تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصائد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتفرز » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغذو الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكروا وتوثقوا .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤبة ، وعنده جرذانٌ قد شَوَّهْنُ ،
فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنَّ خيرٌ من اليرابيعِ
والضُّبابِ وأطيبُ ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفَّاك
بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحياتِ^(١) في الصُّدورِ من جهة السُّمومِ ، لكانت من جهة
التقزُّرِ^(٢) أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذباب والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة^(٣) يأكلون الذِّبابَ . وأهلُ خُرَّاسَانَ يُعجَبونَ بِاتِّخَاذِ
البزَمِ ماوردٍ^(٤) من فراخِ الزَّنابيرِ ، ويعافونَ أذنانَ الجرَّادِ الأعرابيِّ السمينِ .
وليسَ بينَ رِيحِ الجرَّادِ إذا كانت مشويَّةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشويَّةً فرق .
والطَّعمُ تبعٌ للرَّائحةِ^(٥) : خبيثٌ لخبيثها ، وطيبٌ لطيبها .
وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّةً ونيئةً ، أنها كالجرادِ^(٦)
السَّمانِ .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، ه .

(٢) س : « التقزُّز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالبة » .
وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦)

حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن
أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية
أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابي السمين فرق » .

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمه في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .
وفراخها ضرب من الذبان .

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيينا ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته . فأما الشرّة والمعرفة (١) فإنهم
يزاجون بها الجداء والدجاج . ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق (٢) والكوسج (٣)
فهو من أعجب طعام البحرين . وأهل البحر يأكلون البلبل (٤) وهو اللحم
الذى في جوف الأصداف .
والأعرابي إذا وجد أسوداً سانحاً (٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير في كسميره (٦) .

(١) المعرفة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو في الماء شر
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى .
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المملوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، ه .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سياتى في حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وَحَبَّرَنِي كَمَا شِئْتَ^(١) مِنَ النَّاسِ ، أَنَّهُ رَأَى أَصْحَابَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ^(٢) بِالْأَهْوَازِ وَقَرَاهَا ، يَأْخُذُونَ^(٣) الْقِطْعَةَ الضَّخْمَةَ مِنَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ^(٤) ، وَفِيهَا كُكُوءُ الزَّنَابِيرِ^(٥) ، وَقَدْ تَوَلَّدَ فِيهَا الدِّيدَانُ ، فَيَنْفُضُهَا وَسْطَ رَاحَتِهِ ، ثُمَّ يَقْمَحُهَا^(٦) فِي فِيهِ ، كَمَا يَقْمَحُ السُّويْقَ وَالسُّكَّرَ ، أَوْ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النِّقَمِ ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس . » واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة حكاه ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر معنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الككوء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سح : استفه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * .

وليس من هذه الأصنافِ شئٌ أبلغُ في المثلثة والشنعة ، ثمَّن (١)
جعلَ منهم القردة والخنازير .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفهُودَ وهى وحشية تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازى ، والشواهين ، والصقورة (٣) ، والزُرَقُ ، واليُؤيُؤُ ، والعُقَابُ ، وعنَاقُ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بِحَصْلَةِ غريبةِ
وذلك أنَّ كبارها ومسائها أقبلُ للآدابِ ، وإن تقادمتُ في الوحش (٥) ،
من أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغير إذ أدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمره ، وجر - بضمين وبضمة - وحمور ، وحمرات ،
ومحموراء . جاء في ط : « كالحمامير » وهو تحزيف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ،
وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغ من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمَر ،
وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شئ حتى الطير ، ويسمى أيضاً
التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإنجليزية : Caracal . وفي الأصل :

« عناق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحث الفكر ، نسختي الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبباً مؤاكلاً^(١) ، والمسِنَّ الوحشِيَّ يَخْلُصُ لك كَله ، حتَّى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطَّيرِ وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخزيرُ وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدبَ على حال ، حتَّى كَانَهُ - وإن كان بهيمةً - في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذَ جرَّو ذئبَ وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويهِ ولا عملهُما ، وهو غرٌّ لم يصيد شيئاً ، فهو إذا ربَّيناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا من الكلب . فلما شبَّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابيُّ :

أَكَلتَ شَوِيهِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنَ أدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٢)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحَشِيَّيْنِ [كانا^(٣)] ثمَّ من أشدَّ الوحش توحُّشا ، وألزمها للقفار ، وأبعدها من العمران . والذئب أغدر من الخنزير والخنوص^(٤) ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حيبا » ، ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظروا سيأتي في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجزو أعرابية عند الدميري . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لساننا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَىءٍ يُتَمَمَّى لَهُ الأَسَدُ ؟ ! وذلك أن الخنازير ^(١) إذا كانت بقرب ضياع قومٍ هلكت تلك الضياع ، وفسدت تلك الغلّات . وربما طلب الخنزير ^(٢) بعض العروق المدفونة في الأرض فيخرب مائة جريب ^(٣) ، ونابه ليس يغلبه معول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاء تمنّوا أن يصير في جنّبتهم ^(٤) أسد . ولربّما صار في ضياعهم الأسد فلا يهسيجونه ، ولا يؤذونه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زبيةً ^(٥) منعه أشدَّ المنع ، إذ كان ربّما حمى جانبهم من الخنازير فقط . فما ظنك بإفسادها ، وما ظنك بهيمةٍ يُتَمَمَّى أن يكون بدلها ^(٦) أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسّلاح ، وبالآلات والأدوات التي تقتل بها ، فرّبما قتل الرّجل منهم ، أو عقره العقر الذي لا يندمل ؛ لأنّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاّ قطعته ، كائناً ما كان . فلو قتلوا في كلِّ يوم منها مائةً وقتلت في كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان في ذلك عوض .

(١) ط ، ه : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، ه : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقدرة .

(٤) الجنبه ، بالفتح : الناحية . س ، ه : « جنّبتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة (١) ؛ لأنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل (٢) ذلك وبعده ؛ لبروز (٣) الناس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر (٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها فى (٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوغ من الخنزير ، ولا أكد للغارس ، ولا أشد إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس ، والغدر والكذب ، تجسدت ثم تصوّرت (٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب التى مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء (٧) . وكفالك به أنه للمثل المضروب - ولكنه فى وجه آخر مليح . فليحه (٨) يعترض على قبحه

-
- (١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .
 - (٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتها من مباحج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
 - (٣) كذا فى ط ، هـ ومباحج الفكر . وفى س : « لخروج » .
 - (٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .
 - (٥) فى الأصل : « إى » ، وصوابه فى مباحج الفكر .
 - (٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابها ما أثبت . وانظر سائر القول .
 - (٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شيء » .
 - (٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فهازجُه ويُصلِحُ منه . والخِزيرُ أقبحُ منه ؛ لأنَّه ضربٌ مُصمَّتٌ بهم ،
فصارَ أسمعَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدَّثني بعضُ أهلِ العلم ، تَمَنُّ طال ثَواؤُه في أرضِ الجزيرة ، وكان
صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التَّيِّبِ (١) ، معترضاً للأُمور ، يجبُ
أنَّ يُقضىَ إلى حقائقها ، وتثبِت أعيانها بعلمها ، وتمييز (٢) أجناسها ، وتعرِّف
مقاديرِ قواها ، وتصرِّف أعمالها ، وتنقُل حالاتها ؛ وكان يعرفُ للعلمِ قدره ،
وللبیان فضلُه .

قال : ربَّما رأيت الخِزيرَ الذَّكَرَ وقد أُلجأه أكثرُ من عِشرينَ خِزيراً
إلى مَضِيقٍ ، وإلى زاوية ، فينزونُ عليه واحداً واحداً (٣) ، حتى يبلغَ آخرُهم .
وخبرني هذا الرَّجُلُ وغيرُه من أهلِ النَّظَرِ وأصحابِ الفِكرِ ، أنَّهم رأوا
مثلاً ذلك من (٤) الحميرِ . وذكروا أنَّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإما أنَّ
يكونُ له في أعينها من الامتِحسانِ شبيهٌ بالذي يعتري عيونَ بعضِ الرجالِ
في الغلمانِ ، والأحداثِ الشَّبَّابِ .

وقد يكونُ هذا بينَ الغرائقِ والكَرَّاكِيِّ . والتَّسافُدِ بينَ الذَّكَرِ
والأنثى . والسافُدِ والمسفودِ إذا كانا من جميعِ الذكورة ، كثيرٌ في جميعِ أصنافِ

(١) في الأصل : « التَّيِّبِينَ » ، وهو تحريفٌ يتكرر كثيراً . وإنما هو « التَّيِّبِينَ » بمعنى
التفهم والاكْتِنَاهُ .

(٢) في الأصل : « وتمييز » .

(٣) بدله في مباحجِ الفِكرِ ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٢٠٠) : « ثم ينزو عليه
الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفشى . وأما^(١) تسافد الحمام الذكر والأنثى للذكر^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنبياب في نابه من القوة والذرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقي أسنانه^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقي أسنانه ألبتة .

(من لم يشغر)

ويقال : إنَّ عبد الصَّمَد بنَ عليٍّ^(٥) لم يُشغِر قط^(٦) ، وأنه دخل قبره

١٨

بأسنان الصِّبَا .

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ،

ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقمد بنى هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شغِر ، بالبناء للمجهول ، وأشغِر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر

المقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك ممّا توصف به أسنان الحية . قال الشاعرُ :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ،
وأما ما كان كثير الثرب^(٤) ففرقته تجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المعزى .

(١) المطال : أصله السبك والطبع . ط ، ه : « ممطولة » وصوابها من س
ومما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى
الدم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة
محرفة في الأصل ، فهى في ط ، س « يجمل » وفي ه : « يجمد » . وكتب
في هامشة س : « خ يجمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكَرُ يقاتِلُ في زمن الهَيْجِ ، فلا يدَعُ خنزيراً إلاَّ قتله ، ويدنو من الشَّجَرَةِ ويدلك جلدَه ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكُورَةَ عن الإناث ، وربَّما قتل أحدهما صاحبه وربَّما هلكا جميعا ، وكذلك الثَّيرانُ والسِّكِّاشُ والثِّيوسُ في أفاطيعها ، وهي قبل ذلك الزَّمان (١) متسائلة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة (٢) لا يدعُ جملاً ولا إنساناً يدنو من هَجْمَتِهِ (٣) .
والجمل خاصَّةً يكره قُربَ الفَرَسِ ، ويقاتله أبداً .
ومثل هذا يعرض للذَّئبِ والذُّئبِ . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضَها لا يأوى إلى بعضٍ ، بل ينفرد كلُّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذَّئبِ الأنثى جِراءً (٤) ساءت أخلاقُها وصعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقُها في ذلك الزَّمان ، والفيالون يحمونها التَّزُؤَ ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقَامُ له . وإذا كان ذلك الزَّمان أجادوا عقْلَه ، وأرسلوه في الفيلة الوحشيَّة . فأما الخنزير والسِّكِّابُ فإنيهما لا يجهلان على النَّاسِ ؛ لمكان الألفه .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جِراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّ إناثَ الحَيْلِ تمتلئُ رِيحاً في زمانٍ هيجها ، فلا يباعدون الذُّكُورَةَ عنها ، وإذا اعترأها ذلك ركضت ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناثِ الحنازير . فإذا (١) كان زمنُ هياجِ الحنازير ، تطأطيء رءوسها ، وتحرك أذناها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيرُ أصواتها إذا طلبت السِّفاد . وإذا طلبت الحزيرةُ السِّفادَ بالث بولاً متتابعاً .

(تناسل الحنازير)

قال : وإناث الحنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنوصاً (٢) . وإذا وضعت أجراً كثيراً لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الحنازير تحمل من نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذناها . فإذا فعلت ذلك (٣) تسكتني بنزوةٍ واحدة .

١٩

ويُعلَفُ الذُّكُورُ الشَّعيرَ في أوان النَّزْوِ ، ويصلح للأنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والحزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والخافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الحنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأُنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تجيء كما يريدون . وأجود النّزوّ أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرًا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذِبحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكُمْ فِسْقٌ ^(٣) ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأعماء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهله لغير الله : أى مازع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فاتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فاتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثم قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (١) أولئك شرُّ مكاناً وأضلُّ عن سِوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ محتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيِّب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشعيرِ والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فمُ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البرِّ ، يريدون أنه سليم من اللتّن ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيِّب ، وهذا لا يحل [لك (٢)] ، ولا يطيّب لك ، وقد طاب لك : أى حلّ لك ، كقوله : ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعًا ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربعة التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .
(٢) الزيادة من ه ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوها ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لحم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول للشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المعْنَى لبعض^(١) ولد عثمان بن عفان^(٢) : لقد شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمَّكَ المَبَارَكَةَ إلى أبيك الطَّيِّبِ . يريد الطَّهَارَةَ . ولو قال : شهدت
زِفَافَ أُمَّكَ الطَّيِّبَةَ إلى أبيك المَبَارَكِ ، لم يحسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طَيِّبٌ إِنَّمَا
يدلُّ على قدر ما اتَّصَلَ به من الكلام . وقد قال الشَّاعِرُ^(٣) :

والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأَزْرِ^(٤)

وقد يخلو الرَّجُلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طَيِّبَةً . يريد طَيِّبَةَ الكَوْمِ^(٥)
لذيذة نفس الوطاء . وإذا قالوا : فلان طَيِّبٌ الخُلُقُ ، فإنما يريدون الظَّرْفَ
والمَلْحَ^(٦) .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليست بالضعيفة ولا القويَّة .

(١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولده ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيده بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويصاً : أينما أسن ، أنا أو أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بأبي أنت وأمي ، لقد . . . إلخ .

(٣) هو الحزنق بنت هفان ، من مرثية لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيط ، ومن قتل معهم من قومهم .
الخرزافة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من

الإنسان . والمعنى أنهم أعفأ . ط : « الأرز » ، صوابه في س ، ه .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطاء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلا عن طيبِ نفسٍ منه . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ (١) كانت طيبةً الهواءِ والفواكهِ ، خصيبةً .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أن التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامرأةِ لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوْحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنه لم يعنِ الخيانة فى الفرج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أو لها المالُ ، ثمَّ يشتقُّ من الخيانة فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أن يوجّه الخبرَ إذا نزل فى أزواجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وحرَم الرُّسُل ، على أسمع الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ فى السَّلامة ، أو فى القصور على أدنى العيوب (٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تنخطى إلى الفرج حتى (٣) تبتدىء بالمال . وقد

(١) فى الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، ه ، « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعُمَامُ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقولُه : طَيِّبٌ ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك ^(١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
٢١
ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتة
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ ^(١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي
خصه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس مما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، ه : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إن قِيلَ ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخَّ صورة الفرد ،
فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرّم ، ثم خصّه أيضاً أنه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إن العرب لم تكن تأكلُ القروء ،
ولا تلتمسُ صيدها للأكل . وكلُّ من تنصّر من ملوك الروم والحبشة
والصين ، وكلُّ من تمجّس من ملكٍ أو سوقة ، فإنهم كانوا يرون للحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأن لحومها مما تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القردة ، والتقدّر ^(٣)
منها ما يغني عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لسكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدّر ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اختلطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، ه : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالمعصص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
مسرودة في س ، ه إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالالكذب والظلم والغشم^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بيان خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقبح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا مما يحرم بعينه وبداته ، لأنه^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وياب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كنعو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ * وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القتل ثم أحبيهما جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعتت^(٧) في طريق التعتت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، ه . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التبيين ١ ص ٥١ .

(٤) س ، ه : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکی » ه : « التلطي »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالاً زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خِزَامِكُمْ (٥) كَشَى خِنْزِيرَةً إِلَىٰ عَذْرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادئ بده لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقمق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، ه : « خلعتكم » ، وصوابه « حلقتمكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « عذرة » ، وتصحيحه من س ، ه .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الحَنْزِيرَةِ المَرْضِيعُ العَرَّ ثَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)
طَاوِيأً قَد أَضَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثَرِيدٍ مُلَبَّبٍ مَادُومٍ (٣)
ثُمَّ أَنَحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ س فَأَلْقَى كَالْمِعْلَفِ المَهْدُومِ
(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يَشْتَمُهُ ؟ فقالوا : مَا أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ ! قال : فَأَنَا أَشْتَمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ !
قال : فقام إليه فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قَرَّبَ اللهُ دَارَكَ
وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ ! يَا كَلْبُ ! فَجَعَلَ جَرِيرٌ يَنْتَفِخُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : رَضِيتَ فِي
شَرَفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ القَرْدَ العَاجِزَ (٥) ؟ ! يَعْنِي الفِرْزَدِقُ . فَضَحَكَ .
فحدَّثَ صَدِيقٌ لِي أبا الصَّلَعِ السَّنْدِيِّ (٦) بِهَذَا الحَدِيثِ ، قَالَ : فَشِعْرِي
أَعْجَبُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنِّي شَتَمْتُ البُخْلَاءَ ، فَشَتَمْتُ نَفْسِي بِأَشَدِّ مِمَّا شَتَمْتَهُمْ .
فقال : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ قَوْلِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هِجَايَ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الهِجَا أَرْفَعُ مِّنْ قَدْرِهِ يَصْغُرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
- (٢) القرئى ، بالعين : جمع غرثان ، وهو الجائع . ه : « القرئى » صوابه في ط ،
س والبيان (٣ : ٣١١) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو
ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، ه .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ ليسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم
٣١١ باسم « أبو الصلغ » في حرف الضاد المعجمة . ه : « الهندي » .
- (٧) س : « يتقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحداً يسخر بالناس ، ويدعى أنه يرقى من
الضرس إذا ضرب على صاحبه . فكان إذا أتاه من يشتكى ضرسه قال له
إذا رقاها : إياك أن تذكر إذا صرت إلى فراشك القرد ؛ فإنك إن ذكرته
بطلت الرقية ! فكان - إذا أوى إلى فراشه - أول شيء يخطر على باله
ذكر القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوجع ، فيغدو إلى الذي رقاها ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بت وجعاً ! فيقول : لعلك
ذكرت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : من ثم لم تنفع بالرقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقاراً^(١)
وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنائصاً صغاراً^(٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها للذن ، أو لعقرها شاربها
عن المشي .

(٢) الخنائص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار
(٣ : ١٦) . والثاني منها في اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية (١) :

فَمَنْ مَبْلِغُ الْقَرْدِ الَّذِي سَبَقْتُ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانَهُ
تَعَلَّقَ أَبُو قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطَعْتَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانٌ (٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من هجاء قط كجزعه من

بيت حماد عجرد ، حيث يقول :

وَيَا أَقْبَحَ مِنْ قَرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقَرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ه وأما الزجاجي ٦ :

والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :

٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة

فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر

به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت

الفرسان في طلبه فتجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :

تمسك أبو قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان

فقلت من الشخص الذي سبقته به جياذ أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي

عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛

حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بشير بن أبي جذيمة العبسي^(١) :

أَتَخَطَّرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةٌ وهل يستعدُّ القِرْدُ لِلخَطَرَانِ^(٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطُ كُلِّ مَكَانِ
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمِ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ^(٣)

الأصمعي^(٤) عن أبي الأشهب^(٥) عن أبي السليل قال : ما أبالي أخنزيراً

رأيتُ يَجْرُ بِرِجْلِهِ^(٦) ، أو مثل^(٧) عبيد ينادى : يالَ قَلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنياع بن جذيمة العبسي ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية في حماسه (٢ : ١٨٢) . وفي الأصل : « بشر بن المنلى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البحر : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشرف ؟ ! وجعلهم قرودا نحسهم . والقرد لا ذنب له يخطر به . ورواية الحامسة : « أتخطر للأشرف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية أبي تمام . البريزي (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيلا » .

(استطراد لغوى)

الأصمعيُّ عن أبي ظبيان^(١) قال : الخوز^(٢) هم البناة^(٣) الذين بنوا
الصرح^(٤) واسمهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ،
فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال النَّاسُ في المِسْخِ بأقواويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنَّ
المِسْخَ لا يتناسل ولا يبقى إلَّا بقدر ما يكون موعظةً وعبرة ، فقطعوا على
ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنَّه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ
والجرى^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأمم
التي مُسِخت في هذه الصُّور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباهما^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس
ما صنع^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من
هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، هـ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) في الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس
وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الحرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله

انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ، هـ : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية

فصلاً لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسدَ والدُّنَّابَ ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل^(٢) ، وفي الزُّهْرَةَ^(٣) ، وفي هاروتَ وماروتَ^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجُرَّهم^(٦) ، ما قالوا .

== لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا رواه أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السعيرى .

- (١) س : « يرى » .
(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وبما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .
(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخرها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .
(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ماسكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتمرضوا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملت على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآني فيما أنهما ماسكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعملانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعم للعمل لا العمل ؛ فعمل السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .
(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفي ط : « قيرى وعيرى » و هـ : « قيرى وعيرى » و س (هيرى — مهمله — وعيرى) أما أوطيا فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء في الأصل بعله : « وفي أبوى » . وكلمة : « في » مقحمة كما ظهر لك . وجاء في ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .
(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ ٢٤
فَهُمْ فِي ذَلِكَ صِنْفَانِ : فَهُمْ مَنْ جَحَدَ الْمَسْخَ وَأَقْرَبَ بِالْحَسْفِ ^(١) وَالرَّيْحِ
وَالطُّوفَانِ ، وَجَعَلَ الْحَسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقْرَأُ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ
مِنَ الْبَرْدِ الْكِبَارِ ^(٢) ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَنْجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ :
لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْكَرَ
الْمَسْخَ الْبَيْتَةَ .

(أثر البيئة)

وقال الصنّف الآخر : لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي
فيفسد ماؤهم ^(٣) وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم ^(٤) على الأيام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم
فزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب
إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاض بن عمرو الجرمي .
والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى
الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) :
١٨٧ ص ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدي - في زعمهم -
« العليان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الخليلي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا
به وبداره الأرض » .

(٢) أي أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كجبارا . فأما سقوط الحجارة
من السماء للتعذيب فهو يتكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم
على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم
حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لئلا نرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٢٣ .
في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، صوابه في ص .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد ياجوج
وماجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف
انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل
والدوابَّ وجميع ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترى جراد
البقول والرياحين وديداتها خضراً ، وراها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك .
وترى القملة في رأس الشابِّ الأسودِ الشعرِ سوداء ، وراها في رأس الشيخ
الأبيضِ الشعرِ بيضاء ، وراها في رأس الأشمطِ شمطاءً ، وفي لون الجملي
الأورق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرةِ تراها حمراء . فإن نصلَّ
خضابه صار فيها شكلةٌ من بين بيضٍ وحمَرٍ .

وقد نرى حرَّةَ بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبع ،
وبهيمةٍ وطارٍ ، وحشرةٍ فتراها كلَّها سوداء .

-
- (١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين
خصائصهم المسمودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .
- (٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين
المسمودي طباعهم بأنهم في عداد البهائم .
- (٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وراها » .
- (٤) الشمط محرّكة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس .
وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف
ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمط . والأورق
من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .
- (٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكلة » محرف .
- (٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقفت بالنار : وسليم ،
هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه
الحرة في عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، في رسائل
الجاحظ ٧٨ سمي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصَى من النَّاسِ أُنَّهم قد أدركوا رجالاً من نَبَطِ بَيْسان^(١) ، ولهم أذُنابٌ إلا تَكُنْ كأذُنابِ التماسيح والأسد والبقر والحيل وإلا كأذُنابِ السِّلَاحِفِ والجِرْذَانِ ، فقد كان لهم عُجُوبٌ^(٢) طِوالٌ كالأذُنابِ .

وربما رأينا المَلَّاحَ النَّبَطِيَّ في بعض الجِغْفَرِيَّاتِ^(٣) على وجهه شِبهُ القِرْدِ . وربما رأينا الرَّجُلَ من المِغْرِبِ فلا نجد بينه وبين المِسخِ ، إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماء الحَيْثُ ، والترْبَةُ الرديَّةُ ، ناساً في صِفَةِ هَوْلِ المِغْرِبِيِّينَ^(٤) والأنباطِ ، ويكونون جُهَّالاً ، فلا^(٥) يرتحلون ؛ صَنانَةً^(٦) بمساکنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ في تلك الشعور ، وفي تلك الأذُنابِ ، وفي تلك الألوانِ الشُّقْرِ ، وفي تلك الصُّورِ المناسبةِ للقُرودِ .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أن الموضع الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور القُرودِ . وقد يجوز أن تكون هذه الصورُ انقلبت في مهبِّ الرِّيحِ الشماليِّ ، والأخرى

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣ في رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، ه : « المشوهين » . وأثبت ما في س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الصنانة بالفتح : مصدر صن يضمن ، بالفتح والكسر : يخجل .

في مهبط الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهر واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننسكِر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمحالٍ ، ولا يُنكر أن يحدث
في العالم برهاناتٌ ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنمّا عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردلةً من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه (١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قول جميع من قال بالطبائع ولم يذهب مذهب جهم (٢) ،
وحفص الفرد (٣) .

وقال ابن العنسي (٤) يذكر الفرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون (٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فهم من أراد الطعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة الفتيا ؛ إذ (٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾
فذكر اللحم دون الشحم ، ودون الرأس ، ودون المخ ، ودون العصب ،

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر

الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان

٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من

القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الهجرة ومن

أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه

فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفريع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

يُودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك^(١) الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالهما بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه . وليس بين ذِكْرِ اللَّحْمِ والعَظْمِ فرق ، ولا بين اللَّحْمِ والشَّحْمِ فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمْت عليْكم الميتة والدَّم وشَحْمِ الخنزير ، أن تحرِّموا الشَّحْمَ ، وإنَّما ذكر^(٢) اللَّحْمَ ، فلم تحرِّموا الشَّحْمَ ؛ وما بالكم تحرِّمون الشَّحْمَ عند ذِكْرِ غيرِ الشَّحْمِ ! فهلَّا حرِّمْت اللَّحْمَ بالسُّكْتِ ، وحرِّمْت ما سِوَاهُ بالخبر الذي لا يُدْفَعُ ! ؟ فَإِنْ بَقِيَتْ خِصْلَةٌ أَوْ خِصْلَتَانِ مِمَّا لم تُصَيِّبُوا ذِكْرَهُ فِي كِتَابِ مَنْزِلٍ ، وَفِي آخِرِ لَدْفَعٍ ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للنَّاسِ عَادَاتٍ ، وَكَلَاماً^(٣) يَعْرِفُ كُلُّ شَيْءٍ بِمَوْضِعِهِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْمَالِهِمْ لَهُ وَانْتِفَاعِهِمْ بِهِ .

وقد يقول الرجل لو كيله : اشترى هذا الدِّينَارَ لِحْمًا ، أَوْ بِهَذِهِ الدِّرَاهِمِ ، فَيَأْتِيهِ بِاللَّحْمِ فِيهِ الشَّحْمُ والعَظْمُ ، والعِرْقُ والعَصَبُ والغَضْرُوفُ ، والفَوَادِ والطَّحَالُ ، والرَّثَّةُ ، وبيعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرَّاسُ لِحْمٌ ، وَالسَّمَكُ أَيْضًا لِحْمٌ . وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَيْتًا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ ذَهَبَ إِلَى الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَرَكَ بَعْضَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ لِحْمٍ فَقَدْ أَخَذَ بِمَا عَلَيْهِ صَاحِبُهُ . فَإِذَا قَالَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ لِحْمًا فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِحْمِ الشَّاةِ وَالْبَقْرَةِ

(١) في الأصل : « فذلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » ه : « وكلاما ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً
أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللتناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان
لهم مجاز ؛ إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس
للإنسان جلدٌ إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخُ
ويُدخَسُ (١) فيتبرأ مما كان به ملتزقاً (٢) ولم يكن ملتحمًا ، كفرق ما بين جلد
الحوصلة والعرقين (٣) .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخنة والموقودة والمردية والنظيحة
وما أكل السبع (٤) ، فإني أزعم أن جلده لا يُدبغ ولا يتنفخ به إلا
الأساكمة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ
إِنِّي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعربُ تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالثقب والمنشار
ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازا إذا كان يطبخ ويعجن .
وتسمى العير الطيمة (٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول :
هذه طعن فلان ؛ للهودج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء
بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهاسيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

والطيمة : المير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذي إليه يُقصد ، وصار في أعظم الأجزاء
 قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء في اسمه . ولو كان الشَّحْمُ معتزلاً من اللحم
 ومفرداً في جميع الشَّحام ، كشحوم الكلى^(١) والثُّرُوب ، لم يجز ذلك .
 وإذا تكلمت على المفردات لم يكن المخ لحمًا ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
 ولا الشَّحْم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
 ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
 المشبهة باللحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧
 على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحًا يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مَنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
 لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابَخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل في بعض الكلام ، فسندكر
 شأن الهدهد والمسألة في ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
 لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَيْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
 يعني الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له - والعقوبة لا تكون

(١) في الأصل : « الكلا » و صواب كتابتها بالياء ، وهي جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهمله : طعام القدوة ، بالضم ، وهي أول النهار .
 والهام : البروس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعني ، بالنون ، من العناء . وفي هـ ، بس : « لا يعي » بالياء .

(٤) في الأصل : « أولا يأتيني » .

إلا على المعصية لبشرى آدى لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصية لله إلا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة - وفي قوله لسليمان : ﴿ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثم قال بعد أن عرف فصل^(١) ما بين الملوك والشوكة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظيم^(٢) عرشها ، وكثرة ما أوتيت^(٣) في ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعرف^(٤) السجود للشمس وأنكر المعاصي . ثم قال : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٥) ، ويتعجب من سجودهم لغير الله . ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السر والعلانية . ثم قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) في الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) في ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من ه ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أي الهدى .

(٥) قرأ حفص وعلى والكسائي بالتاء للفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحفة على التثنية

غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَلِأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَنُوتِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ﴿ فَلَمَّا
جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي ^(١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وذلك أنها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣﴾ ، [ثم ^(٢)] قال سليمان للهدهد :
﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسَأَتُبَيِّنُهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤﴾] و [قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ
هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ،
فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف
والثواب ، والولاية ^(٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛
لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة
والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداهد أن
يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والدهري ^(٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزرة بإثباتها
وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدمج النون الأولى في الثانية . والباقون يحذفها وصلا
ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغَ الذرّة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصنافُ المتقدّمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجّبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهليّة ومن قولهم في الديك والغراب^(٢) ، ويتعجّبون من الرواية في طوق الحمام ؛ فإنّ الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا مِنْ عُرْضِ الْمَدَاهِدِ^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهدُ جملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامّة ، ولكِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، [وكذلك] حمارٌ عُزَيْرٌ ، وكذلك ذئبٌ أَهْبَانُ بْنُ أَوْسٍ^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهر الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، فما لالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، ه : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقل الناس أن يعملَ عملَ أجرِ النَّاسِ ، كما لا يستطيع أجرُ النَّاسِ أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناسِ . فبأعمالِ الجانينِ والعُقلاءِ عرفنا مقدارهما من صحّةِ أذهانهما وفسادها^(١) ، وباختلافِ أعمالِ الأطفالِ والكهولِ عرفنا مقدارهما في الضعف^(٢) والقوّة ، وفي الجهلِ والمعرفة . وبمثل ذلك فصلنا^(٣) بين الجرادِ والحيوانِ ، والعالمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجهلَ منه^(٤) . ولو كان عند السَّبَّاعِ والبهايمِ ما عند الحكماءِ والأدباءِ ، والوزراءِ والخلفاءِ ٢٩ والأئمِّ^(٥) والأنبياءِ ، لأثمرت تلك العقولُ ، باضطرارٍ ، إثمارَ تلك العقولِ . وهذا بابٌ لا يخطئُ فيه إلا المانيّةُ^(٦) وأصحابُ الجهالاتِ فقط . فأمّا عوامٌ

(١) في الأصل : « وفسادها » . والضميرُ عائدٌ إلى الأذهانِ . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحّةِ أذهانهم » .

(٢) ط ، ه : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأئمِّ : جمعُ أمةٍ بالضم ، والأمةُ : الإمامُ ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانيّة : أتباعُ ماني ، متنبئٍ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من الجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم ، وكان يرى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فأنهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مئاني) وهي نسبة شاذة ، و (مانوي) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشنوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « هتاني » نسبة إلى عافى من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأعم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضل بالبيان والحفظ ، وبنسق المحفوظ (١) . فأمّا المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلاّ بما يظهر منها (٢) . وبتلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحيّ والميت ، وبين الجهاد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ تؤمن بأنّ عيسى عليه السلام خلق من غير ذكرٍ وإنما خلق من أنثى ؛ وأنّ آدمَ وحوّاءَ خلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنّ عيسى تكلم في المهدي ، وأنّ يحيى بن زكريّا نطق بالحكمة في الصبّ ، وأنّ عقيماً ألقح ، وأنّ عاقراً ولدت (٣) ؛ وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة (٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدار من المعرفة ، دون ما توهمتم وفوق ما مع الهدهد . ومتى سألتونا عن الحجّة فالسيل واحدة . ونحن نقرّ بأنّ من دخل الجنة من الجنّ والأطفال يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجاربٍ وتمرينٍ وترتيب . فسألتكم عما ألهم الهدهد ، هي المسألة عمّا ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقراً » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياريتلى مآلد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [كان^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من الهدهد ،

إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَاعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِّبْنَهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسنَ خطه ، وجاد حسابه ، وشدا من النحو [والعروض^(٢)] والفرائض^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و^(٤)] أجاب في الفتيا بكلامٍ فوقَ معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنه : إن أنت لم تأتِ السوق

ذبحتك ؛ وهو جادٌ ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والدبك ، والعتاق^(٦) والجدى . والذبحُ سبيلٌ من سبيل مناياهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقديم والتأخير ، وإلا بقدر صرف^(٧) ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذبح . ولعلَّ صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفي ط : « العرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه في س ، ه .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درة^(١) . ولعل نتف جناحه ينفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهد بعينه حق ما دللت عليه الآية ، ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يُركب^(٣) عصفوراً من العصافير ضرباً من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أننا لو تأولنا للذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحاً في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرّة . والدرّة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركيب » ، ولا تصحح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا بن دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديداً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العيسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « آدمي » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير في الذبيح منهما ، والأعراف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكيش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبيح فعلا على الكيش . س : « ذبحاً في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القائل: أَمَا أَنَا فَقَدْ ذَبَحْتَهُ وَضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، ولكن السيف خاني . أو على قولهم : الْمِسْكُ الذَّبِيحُ ^(١) ، أو على قولهم : فَجِئْتُ وَقَدْ ذَبَحَنِي الْعَطَشُ - لكان ذلك مجازاً .

ولو أنَّ صَبِيئًا مِنْ صَبِيَانِنَا سُئِلَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَرَضَ الْبُلُوغِ بِسَاعَةٍ ، [وكان ^(٢)] رَأَى مَلِكَةً سَبِيًا ^(٣) فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا ، لِمَا كَانَ بَعِيدًا وَلَا مَمْتَنَعًا أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً مَلِكَةً ، وَرَأَيْتَهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَرَأَيْتَهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وَتَعْصِي الرَّحْمَنَ . وَلَا سَبِيًا إِنْ كَانَ مِنْ صَبِيَانِ الْخَلْفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، أَوْ مِنْ صَبِيَانِ الْأَعْرَابِ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْهَدَهْدَ كَانَ مَسْخَرًا وَمَيْسَرًا ، مُضِيَّهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرَجُوعُهُ مِنْ سَاعَتِهِ .

ولم يكن من الطير القواطع فرجع إلى وكره . والدليل على ذلك أن سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كل ما ذكرت ، وأنت لم تعلم حين مضيت بطلاً هاربا من العمل ، أتسكدي أم تنجح ، أو ترى أعجوبة أو لا تراها . ولكنّه توعدّه على ظاهر الرأى ، ونافره القول ؛ ليظهر الآية والأعجوبة .

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثمّ طعن في ملك سليمان وملكة سبيا ، ناس من الدهرية، وقالوا ^(٤): زعمتم أن سليمان سأل ربه [فقال]: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

(١) أى الذى شقت فأرته . وفارة المسك : نافجته ، أى وعازّه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) ليست فى س . وبدلها فى ه : « سبياً » ، محرقة عما أثبت من ط .

(٤) فى الأصل : « وقال » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَذَكَرَهُ عَلَى الْجِنِّ فَضْلًا عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ
 مَنطِقَ الطَّيْرِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتِ الْجِنُّ لَهُ خَوَلَاءَ ، وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةٌ
 ثُمَّ زَعَمَتْ - وَهُوَ إِمَّا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً
 هَذِهِ صِفَتُهَا . وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ صَاحِبُ
 الْخَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّبُوبَةِ . وَكَيْفَ
 يَجْهَلُ سُلَيْمَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ
 دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ ؛ وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ (١) . فَكَيْفَ
 وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعٌ يَمِينُهُ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَّرَهُ الْمُهَدَّدُ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ
 ٣١ عَنْهَا صَفْحًا ، لَسَكَانَ لِقَائِي أَنْ يَقُولَ : مَا أَنَا هَذَا الْمُهَدَّدُ إِلَّا بِأَمْرٍ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا
 وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فِسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلَهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتِهَا
 كَانَتْ لِعَمْرِي كَمَا تَقُولُونَ . وَنَحْنُ نَزَعُمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
 كَانَ أَنْبَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ . وَكَانَ يَوْسُفُ وَزِيرَ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ
 النَّبَاةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ (٢) ، وَلَهُ الْبُرْدُ (٣) ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يَوْسُفَ ، وَلَا يَوْسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
 - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ، مَعَ النَّبَاةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي التَّيِّهِ (٤) ، فَقَدْ

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، ه : « الخف » صوابه في س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، ه : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص في س « وللملك النباهة في الموضع الذى لا يدفع » . وليس بشيء .

(٣) البرد : جمع برید .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسرارة من أرض الشام » .

كانوا أُمَّةً من الأمم يَتَكَسَّبُونَ^(١) أربعين عاماً ، في مقدارِ فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وما كانت بلادُ التَّيِّه إلا من ملاحظهم ومُنْتَزَهاَتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك^(٣)] العسكرِ^(٤) الأدلاءَ والجمالين^(٥) ، والمكارين^(٦) ، والفيوج^(٧) ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ . ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصل^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشياطين الذين يسترِقون السَّمْعَ في كلِّ ليلةٍ ، فنَقُولُ^(٩) : إنَّهم لو كان كلما أراد مُرِيدُ^(١٠) منهم أن يصعدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجِمَ صاحبه^(١١) ، وأنَّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحدٌ منهم مع الذِّكرِ والعِيانِ .

(١) تكسب : ذهب في ضلاله . ومثله تكسب بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسبون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في شئيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فتقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليسُ في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى (١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود (١) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصروف القلب عن ذكر ذلك الخبر (٣) ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بشره الله بالظفر وتمام
الأمر (٤) بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كلِّ حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة (٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع (٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكرة لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالبدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون
أو يفتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢
للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمّح فيه .
ولو طمّح فيه لتسكفه ، ولو تكاف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة
لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ،
ولآلئى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ،
ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا
بما ألّف لهم مُسَيْمَةَ من ذلك الكلام ، الذى يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما
عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يُقارنه . فكان لله ذلك
التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرىُّ يريد من أصحاب العبادات والرُّسلِ ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل
الهجرة ، وصنع أسجعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله :
« والشمس وضحاها . فى ضوءها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلها ليغشاها .
فأدرکہا حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحأها » ، وقوله : « يا ضفدع نقي نقي .
كم تنقین . لالماء تكدرین . ولا الشرب تمنعین » . وكان قد قوى أمره فى
اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش
لمقارعة ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيمة وكثير
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذي لَا يُقَرُّ إِلَّا بِمَا أَوْجَدَهُ الْعِيَانُ ، وما يَجْرِي بِجَرَى
الْعِيَانِ - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدَّهْرِيُّ [أَنَّنَا نَعْتَقِدُ (١)] أَنَّنَا رَبًّا يَخْتَرَعُ الْأَجْسَامَ اخْتِرَاعًا
وَأَنَّهُ حَيٌّ لَا بِحَيَاةٍ ، وَعَالِمٌ لَا بِعِلْمٍ (٢) ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ لَا يَنْقَسِمُ ، وَلَيْسَ بِذِي طُولٍ
وَلَا عَرْضٍ وَلَا عُقْمٍ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَحِي (٣) الْمَوْتِ . وَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَ الدَّهْرِيِّ
مُسْتَنْكَرٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَيْنَا سَبِيلٌ (٤) لَوْ لَمْ يَكُنِ الَّذِي ذَكَرْنَا جِازًا
فِي الْقِيَاسِ ، وَاحْتِجْنَا إِلَى تَثْبِيثِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَصْدِيقِ الرِّسَالَةِ ، فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ جِازًا ، وَكَانَ كَوْنُهُ غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ ، وَلَا مَحَالٍ ، وَلَا ظَلَمٍ ، وَلَا عَيْبٍ ،
فَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَنَا عَنِ الْأَصْلِ الَّذِي دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَإِلَى
تَثْبِيثِ الرِّسَالَةِ .

وَفِي كِتَابِنَا الْمَنْزِلِ الَّذِي يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّهُ صِدْقٌ ، نَظَّمَهُ الْبَدِيعُ الَّذِي
لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ الْعِبَادُ ، مَعَ مَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مَنْ
جَاءَ بِهِ .

وَفِيهِ مَسْطُورٌ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ غَبَرَ حِينًا - وَهُوَ مَيِّتٌ - مَعْتَمِدًا عَلَى
عَصَاهُ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُحْجَبُ عَنْهُ إِنْسِيٌّ وَلَا جِيٌّ ، وَالشَّيَاطِينُ مِنْهُمْ
الْمَسْكُودُ بِالْعَمَلِ الشَّدِيدِ (٥) ، وَمِنْهُمْ الْحَبُوسُ وَالْمُسْتَعْبِدُ ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ

(١) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ . وَالْكَلَامُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِهَا .

(٢) هَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ ؛ إِذْ يَنْفُونَ عَنِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ صِفَاتِهِ الْأَزْلِيَّةَ ، فَيَقُولُونَ :
لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا حَيَاةٌ وَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا أَيُّ صِفَةٍ أَزْلِيَّةٍ .

(٣) ط ، هـ : « تَحِي » صَوَابُهُ فِي س .

(٤) بَدَلُهُ فِي س : « وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ » .

(٥) الْمَسْكُودُ : الْمَرْهُقُ الْمُتَعَبُ . ط ، هـ : « بِالْعَمَلِ الشَّدِيدِ » ، وَالْأَوْجُهَ مَا أَثْبَتَ

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَغَوَاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تُجَاهَهُ أَعْيُنُهُمْ (٢) ، فَلَاهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةً وَجُوهَ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيَّنًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمُهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، وَنَفُوذِ الْبَصْرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الباء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقيين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أي ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و« ثبتوا » أي سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفَةُ (١) التي يُلقِيها اللهُ تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا (٢)]
 أَنَّ اللهُ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يَشَاءُ ، وَيُنَسِّيَ
 ما يَشَاءُ ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ (٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن
 يخدمه من الجنِّ والإنسِ والشَّيَاطِينِ ، على الإطباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم
 يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأَغْيَاءَ والعَوَامَّ ،
 والحَشَوَةَ (٤) والسَّفَلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ - والشَّيَاطِينِ لا تعلم
 ذلك - فأراد اللهُ أَنْ يَكْشِفَ من أمرهم للجُهَالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماءِ . فهذا
 وأشباهه من الأمور نَحْنُ إلى الإقرارِ به مضطرونَّ (٥) بالحججِ الاضطراريَّةِ
 فليس لخصومتنا حيلةً إلاَّ أَنْ يوافقونا (٦) ، وينظروا في العلة التي اضطرتنا
 إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلاَّ الصَّحِيحَ . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أُتِينَا من تأويلنا (٧) .

وأما قوله : ﴿ لَأَعْدِبَنَّهٗ ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال اللهُ

-
- (١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س :
 « الصدقة » صوابها في ه .
 (٢) الزيادة من س ، ه .
 (٣) الريض ، بالتحريك : سور المدينة .
 (٤) الحشوة ، بالفهم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .
 (٥) س : « مضطرين » .
 (٦) يوافقونا ، بتقديم القاف ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة
 ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .
 (٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أتينا » ولا يصح بها الكلام .
 ط ، ه : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم »
 مكان « علمنا » و « أفاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عَزَّوَجَلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولمَّا كانوا مُحَيِّسِينَ (١) .

وقد يقول العاشق لمشوقته : يا معذِّبتي ! وقد عذَّبْتِي (٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقومٍ في أقلِّ من عشر ساعة (٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحلَّ الله عذابه ونقمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أكرهَ ما يَلْحَقُ
بصاحب (٤) السِّيفِ والرُّمْحِ ، فيضربُه بِبِنَائِهِ ، فيقطعُ كلَّ ما لقيه من جسده :
من عظمٍ وعصبٍ ، حتى يقتله . وربَّما احتال أن يَنْبَطِحَ (٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغني ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيءٍ من الحيوان كاحتمال بدنه لوقوع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أروغ من ثعلب ، إذا أرادَه الفارس . وإذا (٦) عدا أطمع
في نفسه كلَّ شيء ، وإذا طولب أعياء الخيل العتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنسلُّ

(١) المحيس ، هو من قوطم : إبل محيسة : لا تمرح . ط : « محبوسين » وهي
صحيحة بمعنى « محيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتيني » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الحَنزِيرَةَ تَضَعُ عِشْرِينَ خِنُوصاً ، وهو مع كثرة إنساله - مِن أَوْسَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ لِلْفُحُولَةِ (١) .

وإذا كَانَ الكَلْبَ وَالذَّنْبُ موصوفين بِشِدَّةِ القَلْبِ ؛ لِطُولِ الخَطْمِ (٢) ، فَالْحَنزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ . ٣٤

وَالفَيْلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلِكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً (٣) ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِخُرطومِهِ ، وَخُرطومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالخَطْمُ غَيْرُ الخُرطومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهو طيب لحمه ولحم أولاده (٤) . وإذا أرادوا وصف اختلاط (٥) ودك الكركي (٦) في مرق طيبخ ، قالوا : كأن إهالته إهالة خنزير (٧) ؛ لأنه لا يسرع إليها (٨) الجمود . وسرعة جمود إهالة

(١) في الأصل : « أجمع الفحول » ولا تصح . وفي ط ، ه زيادة : « بهذا » في آخر الجملة ولا وجه لها كما في س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام في (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لا يبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، ه .

(٤) بدل هذه العبارة في ه : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقطة من س .

(٥) كذا على الصواب في ه . وفي ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركي ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتز الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال اللميري : « وللملوك مصر وأمراتها في صيده تغال لا يدرك حده ، وإنفاق مال لا يستطاع حصره وعده » . ط : « الكركي » ، صوابه في س ، ه .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . ه : « أهاله إهال خنزير » ، محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

الماعز في الشتاء عيب . وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عظمٌ واحتيجَ إلى صلبته في بعض الأمراض لم يلتحم به إلا عظم الخنزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضرب فصاح لم يكن السامع يفصل بين صوته وبين صوت صبي مضرور^(١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباق جميع الأمم على شهوة أكله واستطابة لحمه ، دليل على أن له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخقة ونحوها)

والمجوس زعم أن المنخقة والموقوذة والمتردية^(٢) ، وكل ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه^(٣) ، فهو أطيب لحماً وأحلى ؛ لأن دمّه فيه ، والدم حلواً

(١) وقد تهبأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخق والموقوذ والمتردى » . وانظر ما سبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا

ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلها اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت .

وبدلها في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ من طريق العادة والديانة ، لا من طريق الاستقذار
والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومُ الجُرِّيِّ والضَّبَابِ^(١) على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ
آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ^(٢) تأكل دمَ الفصْدِ^(٣) ، وتفصِّلُ
طعمه ، ومُنْجِرَ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأىُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما
يستحيل اللَّحْمُ شحماً ؟ ! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج
وكيف يخرج ، كانَ ذلكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حَسَنِها^(٤) ، فَإِنَّه ليس في الأرضِ جسمٌ لم يصبغ
أحسنَ منه^(٥) . وَلَوْلا معرفتُهُمْ بِقتلِها وإحراقِها وإتلافِها ، والألمِ والحرقَةِ
المولدين^(٦) عنها ، لتضاعفَ ذلكَ الحَسَنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . ولأنَّهم ليرَوْنَهَا

(١) الجري ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق
الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه في س ، ه .

(٣) وذلك بأن يعضوا الدم ، بعد فصدّه في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، هـ . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يستحسنُ قَدَّ السِّيفِ وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذى هبى له ، بدا له في أكثر ذلك (١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعبادة الحيات (٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حقَّ تربيته ، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات (٢) البيض ، المنقشة الظهور - لما بيتوها ونوموها إلا في المهدي ، مع صبيانهم .

(ردُّ على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة (٣) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهرَ شيء من المأكول (٤) يوجب ذلك . ٣٥
وإنما قلنا : إنا وجدنا الله تعالى قد مسحَ عبادةً من عباده في صور الخنزير [دون بقية (٥) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعل ذلك إلا لأُمور اجتمعت في الخنزير (٦)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقل إلا هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، ه .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ ساسي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتنى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) ه : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْعَى وَيَحْكِي ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه في فيه ، ولهُ أصابعُ وأظفار ، وَيَنْتَقِي (١) الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّدِيدَ ، وَيَلْقَنُ بِالتَّلْقِينِ الكثير ، وإذا سَقَطَ في الماء غَرِقَ ولم يَسْبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أن يتعلَّم السَّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذئ الذي اعترى القرد من ذلك - دون جميع الحيوانِ عِلَّةً - إلا هذه المعاني التي ذكرتها (٢) ، من مناسبة الإنسان من قِبَلِهَا .

ويحكي عنه من شدة الزواج ، والغيرة على الأزواج ، ما لا يحكي مثله إلا عن الإنسان ؛ لأن الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرسُ ، إلا أنها لا تزواج . والجمارُ يَغَارُ ويحمي عانته الذَّهرَ كُلَّهُ (٣) ، ويضربُ فيها كضربه لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزواج ولا تغار .

واجتمع في القرد الزواج والغيرة ، وهما خصلتان كريمتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نرَ وجهَ شيءٍ غير الإنسان أشبهَ صورةً وشبهاً ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبهَ فأً ووجهاً بالإنسان ، من القرد . ورُبَّمَا (٤) رأينا وجهَ بعضِ الحمر (٥) إذا كان ذا خَطْمٍ ، فلا نجدُ بينَهُ وبين القردِ إلا اليسيرَ .

(١) أصله من قولهم : نقي العظم نقياً : استخراج نقيه . والتقى بالسكسر : مخ العظام وشحمها . فالعنى يستخرج لب الجوز .
(٢) س : « ذكرناها » .
(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .
(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، هـ .
(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . في الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال في القرد)

وتقول (١) الناس : « أكيْسُ من قِشَّة (٢) » ، و « أملَحُ من رُبَّاح (٣) »
ولم يقل أحد : أكيْس من خنزيرٍ ، وأملَحُ من خنوص . وهو قول العامة :
« القرد قبيحٌ ولسكنه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاس في الضبِّ : إنه مسخٌ . وقالوا : انظُر إلى كَفِّه وأصابعه .
فكفّ القرد وأصابعه (٤) أشبهُ وأصنعُ . فقَدِّمَتِ القردَ على الخنزير من
هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأما القولُ في لحمه ، فإننا لم نزعِمُ أنَّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي
مُسخ ، ولا هو من نسله ، ولم ندعْ لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العذرة ،
ونحن نجد الشَّهْوِط والجُرِّيَّ (٥) ، والدجاج ، والجراد ، يشاركنه في ذلك ،
ولكن للخصال التي عددنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ
الأعداء (٦) على صورته في خلقته .

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو - لاجرم - تحريف .

(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشّعفِ بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أئينها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُوْولة . إني والله ما أعنى البسختي ، ولكنني أعنى العرّاب ، التي هي أعرب ! قلت له : مسخك الله تعالى بعيراً ! قال : الله لا يمسحُ الإنسانَ على صورةِ كريمٍ ، وإنما يمسحه على صورةِ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ ^(٣) تكلم على فطرته .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعنَ ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء ^(٥) في كلِّ هلالٍ فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السنّة فرق .

٣٦

(١) س : « أئينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : للرجل الجافي .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أي قرية مته .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يجيء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرةِ والأبلةِ ، يأتيهم ثلاثة أشهرٍ معلومةٌ معروفةٌ [من السنة] السمكُ الأسبورُ ^(١) ، فيعرفون وقتَ مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقتَ انقِطاعِهِ ومجيئِ غيره ، فلا يمكثُ بهم الحالُ إلا قليلاً حتى يُقبِلَ السمكُ من ذلك البحرِ ، في ذلك الأوانِ ، فلا يزالونَ في صيدِ ثلاثة أشهرٍ معلومةٍ من السنةِ ، وذلك في كلِّ سنةٍ مرتين لكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكونُ في أحدِ الزمانين أَسْمَنَ ، وهو الجواف ^(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسبورُ ^(٣) ، على حسابِ مجيءِ الأسبورِ ^(٤) والجوافِ . فأما الأسبورُ فهو يقطعُ إليهم من بلادِ الزنجِ . وذلكَ معروفٌ عند البحريين . وأنَّ الأسبورَ في الوقتِ الذي يقطعُ إلى دجلةِ البصرةِ لا يوجدُ في الزنجِ ، وفي الوقتِ الذي يوجدُ في الزنجِ لا يوجدُ في دجلةِ ^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريقِ في وقتِ قطعِها المعروفِ ^(٦) ، وفي وقتِ رجوعِها . ومع ذلكَ أصنافٌ من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » محرف .

(٢) في الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشبه هذا الوهم درة العواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإرْبِيان^(١) ، والرَّق^(٢) ، والكَوْسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والبرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك معزوفُ الزّمانِ ، متوقّعُ المخرَجِ .
وفي السّمكِ أوبدٌ وقواطعُ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبّهُ يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمونَ بخمسةِ السنة^(٦) ، يهدونها^(٧) ، سوى ما تعلّقوا به
من غيرها .

ثمَّ القواطعُ من اللّظيرِ قد تأتينا إلى العِراقِ منهم^(٨) في ذلك الإبانِ
جماعاتٌ كثيرةٌ ، تقطعُ إلينا ثمَّ تعودُ في وقتها .

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المثلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذى يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرونوح » و س :
« الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهدونها » بالبدال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبها النمل ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، ويومُ السبتِ يدورُ معَ الأسابيعِ ، والأسابيعُ تدورُ معَ شهورِ
القمرِ (١) . وهذا لا يكونُ معَ استواءٍ من الزمان . وقد يكونُ السبتُ في الشتاءِ
والصَّيفِ والحريفِ ، وفيما بين ذلك . وليسَ هذا من بابِ أزمانِ قواطعِ
السَّمَكِ (٢) وهَيِّجِ الحَيَوانِ وطلبِ السَّفادِ ، وأزمانِ الفلاحَةِ ، وأوقاتِ
الجزْرِ والمدِّ ؛ وفي سبيلِ الأنواءِ ، والشجرِ كَيْفَ يَنْفُضُ (٣) الورقَ والثَّمارَ ؛
والحياتِ كَيْفَ تَسْلُخُ (٤) ، والأبائِلِ كَيْفَ تَلْقَى قرونها (٥) والطيْرِ كَيْفَ
تَنْطِقُ ومتى تسكتُ .

ولو قال لنا قائل : إني نَسِيتُ [و (٦)] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وما علامتك ؟ ٣٧
فقال : إذا كان في آخرِ تَشْرِينِ الآخِرِ أَقْبِلْ إليكم الأَسْبُورُ (٧) ، من جهةِ
البحرِ — ضحكوا منه وسخروا به . ولو قال : إذا كان يَوْمُ الجمعةِ
أو يَوْمُ الأحدِ أَقْبِلْ إليكم الأَسْبُورُ (٧) ، حَتَّى لا يَزَالَ يصنعُ ذلكَ في كلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينفض » ، صوابه في س .
وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من
جلدها . جاء في س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س
وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأُسبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراراً إذا عايننا الذي ذَكَرَ على نَسَقِهِ أَنَّهُ صادق ، وأنه لم يعلم ذلك إلا من قِبَلِ خَالِقِ ذلك ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقررنا بعجيب ما نرى من مطالع النجوم ، ومن تناهى المدّ والجزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ومحاقه ^(٢) ، واستسارته ^(٣) . وكلُّ شيء يأتي على هذا النَّسَقِ من المجارى ، فإنَّما الآيَةُ فيه لِلَّهِ وحده على وحدانيته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مُرسى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهرٍ أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتيكم الحيتان في كلِّ سبت . أو قال : في كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوّلٌ الأزمانِ في الشَّتاءِ والصيفِ ، والرَّبيعِ والحريفِ . والسَّبْتُ يتحوّلُ في جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة ^(٥) فيه دالّةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدْقِ صاحبِ الخبرِ ، وأنه رسولٌ ذلك المسخَّرُ لذلك الصَّنْفِ . وكان ^(٦) ذلك المحيُّ خارجاً من النَّسَقِ القائمِ ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بيِّنٌ . والحمدُ لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السلك » .

(٢) الحاق ، ماثثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استمرار القمر : أن يختفي ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسارته ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شعنة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مُهُوَاعَنَّهُ قَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ نَاسًا خَنَازِيرَ قَدْ ذَكَرَ الْقُرُودَ (١) . ولم يذَكَرْ أَنَّهُ مَسَخَ قَوْمًا خَنَازِيرَ ، ولم يَمَسِّخْ مِنْهُمْ قُرُودًا (٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة (٣) أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها (٤) أعظم (٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أَنَّهُ قد مسخ ناساً قُرُوداً فقد كان مسخ ناساً خَنَازِيرَ . فلم يدعْ ذَكَرَ الخَنَازِيرَ وَذَكَرَ القُرُودَ (٦) إِلَّا والقُرُودُ فِي هَذَا البَابِ أَوْجَعُ وَأَشْنَعُ وَأَعْظَمُ فِي العُقُوبَةِ ، وأدُلُّ على شِدَّةِ السَّخْطَةِ (٧) . هذا قول بعضهم .

- (١) س : « قُرُوداً » ، وفي ط ، هـ زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .
- (٢) أى أَنَّهُ عند ذكره مسخ قوم خَنَازِيرَ قرنه أيضاً بالمسح بالقُرُودِ ، وذلك قوله تعالى فِي الآيَةِ السَّيِّئِينَ مِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ : « قُلْ هَلْ أَنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَكَرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ » . وفي الأَصْلُ : « ولم يذَكَرْ أَنَّهُ مسخ قوما قُرُوداً ولم يمسح مِنْهُمْ خَنَازِيرَ » . وأصلحته بما ترى .
- (٣) فِي الأَصْلُ : « القرد » بالإفْرَادِ . ووجهه الجمع كما سترى .
- (٤) فِي الأَصْلُ : « على صورتها » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .
- (٥) فِي الأَصْلُ : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .
- (٦) أى وحدها ؛ إذا قال فِي سُورَةِ البَقَرَةِ ، الآيَةِ الخَامِسَةِ والسَّيِّئِينَ : « ولقد علمت الذين اعتدوا منكم فِي السَّبْتِ قَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ » ، ولم يذَكَرْ الخَنَازِيرَ . وقال فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ ١١٦ : « فلما عَتَوْا عَنْ مَا مُهُوَاعَنَّهُ قَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ » ولم يذَكَرْ الخَنَازِيرَ .
- (٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحرير ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هِرَقْلٍ : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّبَاعِ الحَطْمُ ، والخرطوم - وقد يقال ذلك للخزير - والفِنْطِيسَةُ^(١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الإِبِلِ^(٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خَنَازِيرَ بعضِ البُلْدَانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضٍ نهاونْدَ حِمَارٌ ؛ لشِدَّةِ برْدِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرِدٌ .

وقال : في أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتا . وفي الجزيرة التي تسمى صِقْلِيَّةً^(٤) لا يكونُ بها صنفٌ من النمل ، الذي يسمى أقرشان^(٥) .

٣٨

-
- (١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفي اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منبع الخوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .
- (٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « قناتيسها » ، وفى س : « فناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .
- (٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .
- (٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ :
- « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .
- (٥) س : « أقرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسيح)

وأهل الكتابين^(١) يُنكرون أن يكونَ اللهُ تعالى مسيخَ النَّاسِ قروداً
وخنزير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجراً^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جنبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا من الخطلِ ، واحمِنَا من العُجْبِ بما
يكونُ منَّا ، والثقةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوْحُ الكاتب
ورجالٌ من بني العنبر ، أن عندهم في رمال بلعبرِ حِيَّةٌ تصيدُ العَصَافيرَ
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعبر ، وامتنعت الأرضُ على الحافِ والمنتعل ، ورَمِضَ الجندب^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من العوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ - ٢٦ : « فأمطر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم ويفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركز ،
أو عودٌ ثابت^(١) ، فيجئ الطائر الصغير أو الجراد ، فإذا رأى عوداً قائماً
وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود .
فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جراداً أو جعلاً أو بعض
ملا يشبعها مثله ، ابتلعت^(٢)ه وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على
رأسها طائراً يشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دائماً ما منع الرمل
جانبه^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن
الطائر لا يشك أن الحية عود ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء^(٤) ،
إلى أن يسكن الحر وهج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه
الحيلة . وفي جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة أكثر
الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلاح أن يكون ملة وموضعا للخبزة^(٦) ،
ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل
على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافي الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبا » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل
من العيدان . والهرباء : بالسكسر : دويبة من العطاء بطيئة حركة تتلون ألوانا :
Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون
سريماً بلون الجذل ، فيحسبها تتوما فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ
نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ مِنَ الصَّقَالِبَةِ ، خصيانٌ وفحول ، أَنَّ الحَيَّةَ فى بلادهم تأقى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتنطوى على فخذِها^(٣) ورُكبتِها إلى عراقِها ، ثم تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعِها ، حتى تلتقم الخلف ؛ فلا تستطيع البقرة [مع قوتها^(٤)] أَنْ تترَمِّمَ^(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تعسرُ مداواته^(٧) .

والحية تُعجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناء غير مخمَّر^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ (١) ، وَرَبَّمَا جَعَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَدَى وَمَكْرُوهُ كَثِيرٌ .

وَيَقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضِرٌ (٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثُّوبَ الْمُعْضَمَرَ مُحْتَضِرٌ (٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعْجَبُ بِهِ الْحَيَاتُ)

وَالْحَيَّةُ تَعْجَبُ بِاللُّفَّاحِ (٤) وَالْبَطِيخِ (٥) ، وَبِالْحَرْفِ (٦) ، وَالخُرْدِ الْمُرْخُوفِ (٧) ؛ وَتَكْرَهُ رِيحَ السَّدَابِ (٨) وَالشَّيْحِ ، كَمَا تَكْرَهُ الْوَزْغَ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعٌ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعًا وَكُرُوعًا : تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضِرٌ ، بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ الْمَفْتُوحَةُ : تَحْضِرُهُ الْجِنُّ فِيمَا يَزْعُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرَعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضِرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُخْتَصِرٌ » س : « مُحْتَصِرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ . وَانظُرِ التَّنْبِيهِ السَّابِقَ .

(٤) الْفَفَّاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتٌ عَرِيضُ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ الْتَفَّاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْعَفْصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضِجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّمَامِ تَفَّاحُ الْجِنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَّةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَا » أَيْ يَحِلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَدَى الْحَيَاتِ وَالهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَمِصُّهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فِيمَا يَرُونَ .

(٦) الْحَرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرَّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي وَضِعَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَاسْتَرْخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرَفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمُرْخُوفُ » وَفِي س : « الْمُرْخُوفُ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانظُرِ الْعَقْدَ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيءٌ جسمه مثلُ جسم الحيةِ ، إلا والحيةُ أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدعٍ إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتا^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاونِ أجزائها . وليست بذات^(٢) قوائم لها أظفارٌ أو مخالبٌ أو أظلاف^(٣) ، تُنشبُها في الأرض ، [و^(٤)] تشبث بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لدنةٌ ملساءٌ علكة^(٧) فيحتاج الرفيق^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالخثطف والمختلس ، وربما انقطع فنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فإنها تثبت .

-
- (١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف .
وفي ط ، ه : « بكلتي » ، وهو خطأ .
(٢) في الأصل : « يدي » ، ووجهه ما أثبت .
(٣) ط ، ه : « لها أظلاف » ، صوابه في س .
(٤) الزيادة من س ، ه .
(٥) س : « تثبت فيها » .
(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .
(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام مالك وعلك ، ككتف : متين المضغعة . ط ، ه : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضي انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .
(٨) س : « فمحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .
(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب (١) ما فيها من هذا الباب ، أن نابهة يُقطع بالكاز (٢) ،
فينبت حتى يتمّ نباته في أقلّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير ، لأن الخطاف (٣) إذا قُلعتْ
إحدى عينيه رجعت . وعين البردّون يركبها البياض ، فيذهب في أيامٍ
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتملُ له بأن يُدخلَ في فيها حمّاض أترج (٤) ، ويطبق
لحيها (٥) الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بعضتها أياماً صالحة .
والمغناطيس الجاذب (٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم (٧) ،
لم يجذب الحديد .

-
- (١) س : « أعاجيب » .
(٢) السكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالسكار » صوابه في س ،
ه ومعجم المر ، وأستينجاس ، وريتشاردسن .
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، ه . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .
(٥) اللحي ، بالفتح : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، ه : « لحيها »
بالثنية ، صوابه الإفراد كما في س .
(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
(٧) الثوم ، بالضم ، ذلك الثبت المعروف . س : « عليها » وهي على الصواب
في ط ، ه . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها^(١) تحطّم في جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفرى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت . وأمرت^(٢) الحاوى فقبض على خرزة^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً^(٤) . فما فتح بينها بقدر سمّ الإبرة حتى بردت ميّته^(٥) . وزعم أنه^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيهه بذلك ، ثم إنّه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرّف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت

بيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن المسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ (١) ، لَيْسَ بِيَدِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ (٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ (٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب (٤) قال : باعني حَوَاكٍ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،
وأهدى إليَّ خَمْسًا اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ (٥) ، فِي تَلْكَ الصَّحَارَى عَلَى ٤٠
شَاطِئِ دَجَلَةَ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ
بِعَيْنِهِ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ؛ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ (٦) ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ (٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « مسوح » بالخاء المهملة ، وقد فسره بما

سيأتي . وفي الأصل : « مسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسك » .

(٤) س : « أحد بني غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده

اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لم يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكني
سَأَتَطَوَّعُ لَكَ بِأَنْ أَعْمَلَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الجونة^(٣) ، فَيُغْفَلُ^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من
الطَّرْفِ^(٥) ، ثمَّ يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعابٌ أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جَوْلَةً . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرةً على طرف قيص الصيدلاني . قال : فَتَفَشَّى^(٦) ذلك القاطرُ حَـ
صار في قدر الدرهم العظيم . ثمَّ إنَّ الحوَاءَ امتَحَنَ ذلك الموضعَ قهافت

(١) النقر ، بالقاف ، أصله للطير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهشيارى (في كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأ ثم أخرج .
فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إنى ما دخلت في هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاصي :
نكر ينكر ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجبة ، كما سيأتى في ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) منقشة أداما (أى جلدا مدبوغا) تكون
مع اللطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الجونة » بالحاء ، صوابه في س .
(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وهل ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال
تغفله واستغفله : تحيئت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغذ
رقيق فتشى فيه » . ط ، س : « فتششى » بالنون بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً (١) [تجول] في الطست ويكدم (٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثته بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من (٣) قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت (٤) حتى مررت معي إلى الصيدلاني ، فأرئته موضعه .

وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدم . إلا أن أحمد ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضرب الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أي الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيح الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضىء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنور ، والسنانير والأفاعى ، فبينما نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة (٥) ، فقال له : حدثهم بالذي حدثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع (٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قباهما .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كُنْ عِنْدِي ، لِأَرْمِي بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْسًا وَاحِدًا ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي
تَجَاهَ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَيْئِلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقَالَتْ :
عَيْنُ غَوْلٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالِيِّ ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ المَعَانِي ،
فَقَمْتُ فَقَدَحْتُ نَارًا ، وَأَخَذْتُ المِصْبَاحَ مَعِي ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى (١) ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ (٢) وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا
ذَلِكَ الضُّوْءُ عَلَى حَالِهِ ، فَهَضَمْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِ الأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِرَارًا . قَالَ : فَقُلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى (٣) شَيْئًا إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَحَيْتُهُ ! ٤١
فَنَحَيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرَ الضُّوْءَ ،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنَ عَيْنِ الأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(قُوَّةُ بَدَنِ الحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ)

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبَضَ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الأَسْرَ والقُوَّةُ القَبْضَةَ عَلَى قِفَا الحَيَّةِ
فَتَلْتَفُّ عَلَيْهِ فَتَصْرَعُهُ . وَفِي صُعودِهَا وَفِي سَعْيِهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ
الأُخْضَرِ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَليْسَتْ بِذَاتِ قَوَائِمٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فن جعلها وصفا لم يصرف كما
لا يصرف أحر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبنا وأفكلا . المخصص
(١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسي . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » .
المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمنا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ه : « لا أرى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حرَّكةِ الكلِّ^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربَّما كان في البضعة أو في الشيء الذي ابتلعته عظمٌ ، فتأني جذمَ شجرةٍ ، أو حجرًا شاخصًا^(٢) فتنطوى عليه انطواءً شديدًا فيتحطم^(٣) ذلك العظمُ حتى يصير رُفَاتًا .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانت بريةً ، وتعيشُ في البرِّ بعد أن طال مُكثُها في الماء وصارت مائيَّةً .

قال : وإنما أتتها هذه القُوَّةُ ، واشتدَّت فقرُّ ظهرِها هذه الشدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أن لها من الأضلاع عددَ أيامِ الشهر . وهي مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أن الحية لا تموتُ حتفَ أنفِها ، وإنما تموتُ بعرضٍ يعرضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوانِ شيءٌ هو أصبرُ على جوعٍ من حيةٍ ، لأنها إن كانت شابةً فدخلت في حائط صخر ، فتنبَّعوا موضعَ مدخلها بوتدٍ أو بحجر^(٤) ، ثمَّ هدموا هذا الحائط ، وجدوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزاءها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه في س . والواد التي قبل « في » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَةُ تُذَكَّرُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ هَذِهِ الْعَلَّةِ (١) . فَإِنَّ هَرَمَتْ صَغُرَتْ
فِي بَدَنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، وَلَمْ تَشْتَهِ الطَّعْمَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ : - وَهُوَ
جَاهِلِيٌّ (٢) - :

فَابْعَثْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ (٣) لَمْسِمَةً مِنْ حَنْشِ أَعْمَى أَصَمِّ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِلَدْمٍ فَكُلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمَّ (٤)
وهذا (٥) القولُ لهذا المعنى . وفي هذا الوجه يقول الشاعر (٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ (٧) الْكِبَرِ صِلَّ صَفَاً مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ (٨)

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفي ط ، س :

« تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله في ص ٢٨٣ . وبمض هذا الرجز سيأتي في (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها
فيما سيأتي .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالهمزة ،
صوابه في س وفي ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتي في ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما في ديوان المغانى

(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحامسة ابن الشجرى

٢٧٣ - ٢٧٤ . وفي مجموعة المغانى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت

إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب في المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص

أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لا يثبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه في س ، هـ .

يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه . في نهاية الأرب : « لا ينطوى » ، وفي

ديوان المغانى : « لا ينطوى » ، وفي حماسة ابن الشجرى : « ما ينطوى » ،

وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقٍ من غير خَفَرٍ^(١) كَأَمَّا قَد ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ^(٢)

جَاءَ بِهَا الطوفان أَيَّامَ زَخْرٍ^(٣)

(صَبْرُهَا عَلَى فَتْمَدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بِالشَّرِّهِ وَالنَّهْمِ ، وَسُرْعَةَ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أَيَّامِ الشِّتَاءِ ما ليس للزَّهْيِدِ^(٤) . ثُمَّ هِيَ بَعْدُ

[مِمَّا^(٥)] يَصِيرُ بِهَا الْحَالُ إِلَى أَنْ تَسْتَغِيَّ عَنِ الطَّعْمِ^(٦) .

(النمس والثعابين)

ثُمَّ قَدْ يَزْعَمُونَ أَنَّ بِمَصْرٍ دَوِيْبَةً يُقَالُ لَهَا النَّمْسُ^(٧) يَتَّخِذُهَا النَّاطُورُ^(٨)

إذا اشتدَّ خوفه مِنَ الثَّعَابِينِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ تَنْقَبِضُ وَتَنْضَمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ه :

« الأطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المعاني ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لوجه له ، والصواب المثبت من س وحاسة ابن الشجري . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « تفر » وفي س ، ه : « نفر » وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المعاني وحاسة ابن الشجري . والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهي مؤنثة .

(٢) كذا في ط ، ه . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المعجمة : كثير ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « زخر » محرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليل الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، ه .

(٧) النمس ، بالسكس : حيوان أكدر اللون أحر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار في حوانيتهم . والعامية يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمس ، وفلان نمس » ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثاني أنه ألمعي حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعي : هو الناطور =

وتتضاءل^(١) وتستدقّ ، حتى كأنها قديدة^(٢) أو قطعة جبل ، فإذا عَضَّها
الثعبان وانطوى عليها زفرت ، وأخذت بنفسها وزحرت^(٣) جوفها فانفتح .
فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قطعاً من شدة الزحرة^(٤) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القوائل من الحيات)

والثعابين إحدى القوائل . ويزعمون أنها ثلاثة أجناس لا ينجع فيها
رقية ولا حيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهندية^(٥) . ويقال : إن ما سواها
فإنما يقتل مع ما يمدّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفزع وحده ؛ فكيف إذا
قارن سُمّها^(٦) ؟ ! [وسُمّها]^(٧) إن لم يقتل أمرض .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقائي ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبضية ، فهو يريد
أن النبط ألقوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة
في ط ، ه برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهي واحدة القد ، كما في القاموس . والقَد : سيور
تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والحامل ، كما في اللسان .
ط ، ه : « فريدة » صوابه في س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
من رسائل الجاحظ .

(٣) زحرت الشيء : ملأه ، كما في القاموس . س : « زحرت » ، وكتبت النقطة العليا
بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيهه : « زجرت » بالجيم .

(٤) ه : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) في العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، ه : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع في المسموم)

ويزعمون أنّ رجلاً قال (١) تحت شجرة ، فتدلّت عليه حيةٌ منها
فعضّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجوه ، فحكّ رأسه ، وتلفّت (٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
فوضع رأسه ينام ، وأقام مدةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له (٣) بغضٌ من
كان رأى تدليها عليه ثمّ تقلصها عنه وهروبها منه (٤) : هل علمت من أيّ
شيءٍ كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
فإنّ الحيةَ الفلانيّةَ نزلت عليك حتى عضّت رأسك ، فلما جلست [فزعا]
تقلّصت عنك وتراجعت . ففزع فزعةً وصرّخ صرخةً كانت فيها نفسه .
وكأنهم توهموا أنّه لما فزع واضطرب ، وقد كان ذلك السّم مغموراً
ممنوعاً فزال مانعه ، وأوغله ذلك الفزع ، حين (٥) تفتّحت منافسه ، إلى
موضع الصّميم والدماغ وعمق البدن ، فأنحلّ موضع العقْد الذي انعقدت
عليه أجزاؤه وأخلّطه .

وأنشد الأصمعيّ :

نَكِيْثَةٌ نَهَشَتْ بِمَنْبِدٍ (٦)

-
- (١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .
(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما في س والدميري .
(٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .
(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كافى رأى حاله » الخ .
(٥) في الأصل : « حتى » .
(٦) ط ، هـ : « ونكثت » .

وأُشْدَ لِأَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ :

فَأَتَانِي تَفْحِيمٌ كَعَبٌ لِي الْمُنْ طَقَّ إِنَّ النَّسْكِثَةَ الْإِفْحَامَ (١)

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفزع إما أن يكون يُوصِلُ السَّمَّ إلى المَقَاتِلِ ، وإمَّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلَيْنِ على نزع وتِد . فهم (٢) لا يجزمون على أَنَّ الحِيَّةَ من القَوَاتِلِ البتَّة (٣) ، إِلَّا أن تَقْتَلَ إذا عَضَّتْ النَّائِمَ والمَغْشَى عَلَيْهِ ، وَالطِّفْلَ الغَرِيرَ ، وَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ ، وَحَتَّى تَجْرَبَ عَلَيْهِ الْأَدْوِيَّةُ .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي دُوَادٍ ، وكان عنده سلْمُوِيَه (٤) وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التُّرْيَاقُ من نَهْشَةِ

(١) التّفحيم : أن يجمله يقحم أي يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تفخيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دُوَادٍ شيء عنهُ . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيسة : الخطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيسة » صوابه في س والشعراء . والإفحام بمعنى التّفحيم ، ط ، هـ : « الإفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاي مخففة ، أو مشددة : أي سكت . س : « لا يجزمون أن الحية » المنع ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنه سلْمُوِيَه » ، والكلمة الغائبة والغالطة يفسدان الكلام .

أفعى؟ فقال بعضهم: إذا عَصَّتِ الأفعى فأدْرِ كَتَّ قبل أن تنقلب^(١) نفع الترياق، وإن لم تُدْرِكْ لم يُنْفَعْ؛ لأنهم إن قَلَّوا مِنَ التُّرْيَاقِ قَتَلَهُ السَّمُّ، وإن كثُرُوا مِنْهُ قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عن مقدار الحاجة.

قلت: فإن ابنَ العَجُوزِ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا^(٣) ليست تنقلب لِسِحِّ السَّمِّ وإفراغهُ، ولكنَّ الأفعى في نابها عَصَل^(٤)، وإذا عَصَّتِ استفرغت إِدْخَالَ النَّابِ كُلَّهُ، وهو أَحْجَنُ عَصَل^(٥)، فيه مشابهة من الشَّصِّ^(٦)، فإذا انقلبتْ كان أسهلَ لِنَزْعِهِ وَسَلِّهِ. فأما لَصَبُ السَّمِّ وإفراغهُ فلا. قَالَ: وَاللَّهِ لَعَلَّهُ مَا قَلْتُ! [قَلْتُ]: مَا أَسْرَعَ مَا شَكِكْتَ!!

ثمَّ قلت له: فكأنما^(٧) وضعوا الترياق واجتلبوا الأفعى وضنوا^(٨) وعزموا على أنه لا ينفع إلا بدرك الأفعى قبل أن تنقلب! وكيف صار الترياق بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين: إما أن يقتل بكثرتة، وإما ألا ينفع بقلته! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعه إلا [في^(٩)] المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة! ولكني أقولُ لك: كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا، وعُوْجِلَ فَسُقِيَ الْمَقْدَارَ الْأَوْسَطَ، فَبَلَّ أَنْ يَبْلُغَ الصَّمِيمَ، ويغوصَ في العمق^(١٠). وعلى هذا وضع، وهم كانوا أحزم

(١) س: «تقلب».

(٢) في ص ٤١٩: «ابن أبي العجوز». وهو أحد الحوَّاثين.

(٣) س: «بأن الأفعى».

(٤) العصل، بالصاد المهملة والتحرريك: الاعوجاج. س، ه: «عصل» مصحف.

(٥) س: «أعصل»، بالصاد المهملة كما في ه، ط.

(٦) هذه العبارة ليست في ه، وفي ط، س: «النقص». ووجهه ما أثبت.

(٧) في الأصل: «فإنما».

(٨) كذا.

(٩) ليست بالأصل.

(١٠) أي عمق البدن، كما مر في ١٢٢ س ١١. وفي الأصل: «العميق».

وَأُحْدَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئاً ، ومقداره من النَّفْعِ لا يُوصَلُ إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحدائق : إِنَّ سَقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النِّهْشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَهْشُ .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمَك ؟ وبأى سببٍ أيقنتَ (١) أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلا مخالطة جوهَرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أولسنا قد نجدُ من الإنسان مَنْ يَعْضُ صَاحِبَهُ فيقتلُهُ ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟ ! وقد تقرُّونَ أنَّ الهندِيَّةَ والثَّعْبَانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة (٢) الرِّيقِ والدم ، وإمَّا بمخالطة اللِّسَنِ والدم ، من غير أن تدَّعوا أنَّ أسنانهما مجوِّفة (٣) . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التَّجَارِبِ أنَّ الحَيَّةَ تُضْرَبُ بِقِصْبَةٍ (٤) فتكون أشدَّ عليها من العصا وقد يضربُ الرجلُ على جسده بقضبان اللُّوزِ وقضبان الرُّمَّانِ ، وقضبان اللُّوزِ أعلك (٥) وألدن ، ولكتتها أسلم (٦) ، وقضبان الرُّمَّانِ أخفُّ وأسَخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يبطأ الإنسان على عَظْمٍ حَيَّةٍ أو إِبْرَةَ عَقْرَبٍ ، وهما مَيْتَتَانِ ، فيلحقُ الجهد . وقد يُخْرَجُ السُّكَّيْنُ مِنَ السِّكِّيرِ وهو مُحْمِيٌّ ، فيُغْمَسُ في اللبنِ

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك — ككتفت : متين الممضغة .

وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما في هـ .

فتى خالط الدم قامَ مقامَ السمِّ ، من غير أن يكون مَحَجَّ في الدَّمِ رطوبةً غليظةً أو رقيقةً .

وبعض الحجارة يُكوى بها - وهو رِخْوٌ - الأورامُ حتى يفرِّقها ويُحصِّها (١) من غير أن يكونَ نفذَ إليها شيءٌ مِنْهُ ، وليس إلا الملاقاة .

قلت : (٢) ولعلَّ قوَى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاسِ .

وقد رَوَوْا أنه قيل لجالينوس : إنَّ هاهنا رجلاً يرقى العقاربَ فتموتُ ، أو

تنحلُّ فلا تعملُ ، فرآه يرقبها ويتفلس عليها ، فدعا به بحضرة جماعةٍ وهو على ٤٤

الرَّيقِ ، ودعا بغدائه فتعدَّى معه ، ثمَّ دعَى له بالعقاربِ فتنفلس عليها ، فلم

يجمدُ لعابه يصنعُ شيئاً إلا أن يكونَ ريقاً . وهو حَدِيثٌ يدورُ بين أهل

الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شيئاً إلا من طريق

الخرز والحَدْس ، والبلاغات .

(السُّموم)

وسمومُ الحياتِ ذواتِ الأنيابِ ، والعقاربِ ذواتِ الإبرِ ، إنما تعملُ

في الدَّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومُ ذواتِ الشعرِ والقُرُونِ والجُحَمِّ ،

إنما تعملُ في العصبِ ، ومنها ما يعمل في الدمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في هـ . ويحصيها :

يحملها تنحصر أى تنقبض وتنضال وتسكن . هـ : « يحصيها » بالخاء المعجمة ، وهي صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير

المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض

الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماي^(١) وإمَّا بباري^(٢) وهما بلادُ حَيَاتٍ وَأَفَاعٍ^(٣) ، ونحن في عُرْسٍ ، إذ أدخلوا الحِدرَ العروسَ^(٤) فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفضها وَحَجَمَتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضة في صورةِ شَرَطِ الحِجَامِ - فَصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوا ، وسقوه في تلك اللَّيلةِ لبَنَ أربعينَ عزراً ، كُلَّمَا استقرَّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَنِ قَاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَمْثَالِ طَلْعِ^(٧) الفُحَالِ الأبيضِ^(٨) ، فيه طرائق من دَسَمٍ تَعْلُوهُ خَضْرَاءُ ، حتى استوفى ذلك اللَّبَنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم أنفسه معه ! قال : فغبراً أليماً بأسولٍ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجبُ من سرعة استحالة اللَّبَنِ وَجُودِهِ .

(١) هـ : « برماي » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاهي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في السكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(ا كتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحياتُ البريَّةُ إذا هرمتَ نَسَمَتِ النَّسِيمَ فَاكْتَفَتْ بِهِ (١) ،
وكذلك الضُّبابُ إذا هرمت .

قال : ولا يكون ذلك للسائيَّة من حياتِ الغياضِ (٢) وشُطوطِ
الأنهار ، ومناقعِ (٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحياتُ المائيةَّة ، إمَّا أن تكون بريَّةً أو جبليَّةً ، فَاكْتَسَحَتْهَا
السُّيُولُ واحتملتُها في كثيرٍ من أصنافِ الحشراتِ والدَّوابِّ والسَّباعِ ،
فتوالدت تلك الحياتُ وتلاقحتْ هناك . وإمَّا أن تكون كانت أمهاتُها
وآبائُها في حياتِ الماء . وكيف دارت الأمورُ فإنَّ الحياتِ في أصلِ الطَّبَعِ
مائيَّة . وهي تعيشُ في النَّدى ، وفي الماء ، وفي البرِّ وفي البحر ، وفي الصَّخْرِ
والرَّمْلِ . ومن طباعها أن ترقِّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطولِ العمر ،
والآخر للبعُد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهي مجتمع الصخر في مغيض ماء . ه : « الغيات »
محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« مناقع » ، صوابه في س ، ه .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شَيْءٍ فِي الْمَاءِ تَمَّا يَعِيشُ السَّمَكُ ، مِمَّا أَشْبَهَ الْحَيَّاتِ
كَالْمَارْمَاهِي^(١) وَالْأَنْكَلِيسِ^(٢) فَإِنَّهَا^(٣) كُلُّهَا عَلَى ضَرْبَيْنِ : فَأَحَدُهُمَا مِنْ
أَوْلَادِ الْحَيَّاتِ ، انْقَلَبَتْ بِمَا عَرَضَ لَهَا مِنْ طَبَاعِ الْبَلَدِ وَالْمَاءِ . وَالْآخَرُ مِنْ نَسْلِ
سَمَكٍ وَحَيَّاتٍ تَلَاقَحَتِ^(٤) ؛ إِذِ^(٥) كَانَ [طِبَّاعُ^(٦)] السَّمَكِ قَرِيباً مِنْ ٤٥
طَبَاعِ تِلْكَ الْحَيَّاتِ . وَالْحَيَّاتُ فِي الْأَصْلِ مَائِيَّةٌ ، وَكُلُّهَا كَانَتْ حَيَّاتٍ .

(١) المارماهي : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بجيات . واللفظ فارسي
وضبطت رآؤه بالسكسر في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهي »
صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين .
وقد وجدت الديميري يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمي (الأنكليس ، والجرى)
فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهي هو حيات المساء المعروف عندنا
بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المعلوم ١١ .
وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديميري ، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما ، ويقال
فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، ولكنّه انقلب لطباع البلدة . وأشباه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الحراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه - أى عن أبي حنيفة - صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهى فى ط ، ه : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارگیل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيل » ، صوابه فى س ، ه .

(٥) المقل ، بالضم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم^(١) مما لا يجتزى بالنسيم^(٢) ، فإنه من الحيوان الذي يفتح فاه للنسيم ؛ لبرد جوفه من اللهب^(٣) الذي يعترى السباع ؛ ولأن ذلك يمد قوته ، ويقطع عنه برودته^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سحر^(٥) [إذا عدا^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد التهم ، رغب حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر^(٧) منزلاً ، وأقل خصباً ، وأكثر كدًا^(٨) وإخفاقاً ، فلا بد له من شيء يلقيه في جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه في ه .

(٢) في الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهب » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السحر ، بالضم : الجوع والحر . وفي الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب في ط ، ه ومباهج الفكر والدميري وثمار القلوب ٣١٠ وفي س : « أقمد » ولا وجه له .

(٨) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميري . والكد : الشدة في العمل ، والإلحاح في محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بمض الجائمين)

والنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعَامِّ . فَإِنْ اسْتَقَلُّوا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ (١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنْشَدَ (٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ (٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ (٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ (٥) :

يَسْتَنْخِرُ (٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ (٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءة : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذائك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليشتم ريح أولاده . يلحِب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بنى العكلى ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستنخر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نخر ، قرع) « يستنخر » وقال : « استنخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدية : حددها .

(شَمَّ الظَّليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثر من غلوة ،
ويبعد عن رئاله (١) فيشمُّ ريحها من مكان بعيد .

وأنشدني يحيى بن نجيم (٢) بن زَمعة قال :

أشمُّ من هَيْقٍ وأهدى من جَمَلٍ (٣)

وأنشدني عمرو بن كِرْكرة (٤) :

مَا زالَ يَشْتَمُّ اشْتَمَامَ الهَيْقِ

قال وإنما جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحمر (٥) أخبث .

ويقولون : شَيْطان الحماطة (٦) . يريدون الحيَّة .

(بمض ضروب الحيات)

وكلُّ حيةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شيطان (٧) . والثقالُ لا تنشط من

أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عمَّا تبلُغُه المستطيلاتُ الخفاف . وقال طرفة :

تلاعبُ مَشْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنه تَعَمَّجُ شَيْطانِ بذي خِرُوعٍ قَفَرٍ (٨)

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) في الأصل : « لحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم في (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، ه .

(٥) الحمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلي ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطاناً » .

(٨) ط : « خضرمي » ، صوابه في س ، ه . تعمج : تلو . ط ، ه : « تقمح »

صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيماد في (٦ : ١٩٢) .

الكِرْمَانِي عَنْ أَنْسٍ - وَلَا أَدْرِي مَنْ أَنْسٌ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

شَنَاحِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّأْوِ مِنْ أُسْطَعٍ حَشْرٍ (١)

والحباب : الحية الذكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبَ الْحَمْرِ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ (٢) ، وَتَيْسُ الرَّبْلِ (٣)

٤٦ وَضَبُ السَّحَا (٤) . وَالسَّحَا (٤) بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ (٥) مَنْ أَكَلَهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قَنْفُذٌ بُرْفَةٌ (٦) » لِأَنَّهُ يَكُونُ أَخْبِثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى قَدْرِ طَبَائِعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَةِ الْعَامِلَةِ فِي طَبَائِعِ الْحَيَوَانِ .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلة » بالحاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتييس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتطرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الربل ينفذ رأسه أذاة به من صائلك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرفة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تبت^(١) لم يزل ضاحكا مسرورا ، من غير عجب^(٢) حتى يخرج منها .

ومن أقام بالموصل حولا ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا . ومن أقام بالأهواز حولا فتفقد عقله^(٣) ذو فِرَاسَة وجد النقصان فيه بيّنا . كما يقال في حمى خيبر^(٤) ، وطحّال البحرين^(٥) ، ودمايل الجزيرة^(٦) ، [وجرب الزنج^(٧)] . وقال الشماخ^(٨) .

- (١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذلك الإقليم الصيني .
- (٢) العجب : ما يتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمّار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت في نعت أهلها : « والتبس فيهم عام حتى إنه ليظهر في وجوهها منهم » ! .
- (٣) ط ، ه : « قوته » ، صوابه في س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .
- (٤) خيبر ، هي الولاية التي كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيبر » أيضاً ، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد في الأمثال : « به الورى . وحى خيبرى » . أمثال الميداني (١ : ٩٥) وفي العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صحّتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .
- (٥) قالوا : من سكن بالبحرين يعظم طحاله ، وقال شاعرهم :
ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما في بطنه وهو جائع
- (٦) هذه الجزيرة هي المسماه « جزيرة أقور » ، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشتمل على ديار بسكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والزها والرقّة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميفارقين والموصل . انظر معجم البلدان .
- (٧) هذه الزيادة من ه . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث في ذلك حديثا طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتي في ١٣٩ في الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .
- (٨) س : « شماخ » .

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رِيثَةَ الْقَلُوعِ (١)
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتُهُ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وَرِدُّهَا وَقَلَاهَا (٣)
وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَى خَيْبَرَ تَمَلَّهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مهبة (٦) ، وفي أصول النخل

حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطة »
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريثه » ، صوابه في المعجم
والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلاها » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملا ، بالضم :
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم
أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصحبا ،
وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيمة : موضع قريب من الجحفة .

أَتِيحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرِ لِحْمُهُ مُتَكَوِسٌ^(١)
 تَرَاهُ إِذَا يَمْنُضِي يَحْكُ كَأَنَّهَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
 فحدَّثني أبو زُفَرَ الضَّرَّارِي^(٣) قال : مات ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تَسْعِينَ
 سَنَةً بِالذَّمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَا احْتَمَلَهَا
 مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وكذلك القولُ في طَوَاعِينِ الشَّامِ . قال أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
 مِنْهُمْ بِطَوَاعِينِ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرَّيْحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي نِ
 مَنْ يَنْزِلِ الشَّامَ وَيَعْرَسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
 أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانِهِمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
 وَمَنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجِبَ الْعَاجِبُ^(٧)
 طَعْنٌ وَطَاعُونَ مِنْ أَيَّاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا السَّكَاتِبُ

- (١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل :
 « سوطه » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى
 بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القصيرى » س :
 « القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » .
 متكأوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متكأوس » س . « متكأوس »
 تصحيحه من معجم البلدان .
- (٢) الحكك : مشية فيها شبه المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية
 المعجم : « أبدأ إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط :
 « كأنما » صوابه في س ، هـ والمعجم .
- (٣) ط : « الضاررى » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : « أبو زرعة » فقط .
- (٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .
- (٥) عرس به ، كفرح : لزمه .
- (٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطه . لم يقصص لهم شارب : أى لإنهم في
 مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .
- (٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س :
 « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ،
 وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، عَلَى
عَمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجِ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ،
وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقُّ
بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ
أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ ^(٤) . فَلَمَّا
أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .
قَالَ : اذْكَرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَتَذَكَّرُ
حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنِّْي السَّاعَةَ ! يَرِيدُ أَنْ
الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَاقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بُعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي تَمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنِمِ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرَّوَايَةِ
فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) تَمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٧٢) :
« فَإِنَّ حَوَائِجَهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهِ الْعِدَاءَ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أُثْبِتُ مِنْ سِوَا وَجْهِ .

(٥) انظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢) سِ ١٣ ، ١٤ .

(طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

مَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالَهُ وَيُعْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر دُكَيْنُ الرَّاجِزُ ، إلى أبي العباس^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الْعُمَانِيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النَّسَبَةُ .

(جرب الزنج)

وحدثني يوسف الزنجي أنه لا بدَّ لسكَّالٍ مَنْ قَدِمَ مِنْ شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزَّنجِ الْأَيَّالِ جَرِيًّا ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيذِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارَجِيلِ ، طَمَسَ الْخَمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في (٢ :
١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيستان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيستان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العماني نسبة إلى عمان ، يضم العين بعدها مهم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصري ، كما في الأغاني . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبّرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصّوم بالمصيصة (١) في أيام الصيف ، حاج به المرار . وأن كثيراً منهم قد جُذوا عن (٢) ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأما قصبة (٣) الأهواز ، فإنها قلبت كل من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم (٤) ، ولا بد للهاشمي ، قبيح الوجه كان أو حسناً ، أو (٥) دمياً كان أو بارعاً رائعا ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يُبين بها من جميع قريش وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله (٦) ، ولقد تحيّفته (٧) وأدخلت الضيم عليه ، ويئنت أثرها فيه ؛ فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس (٨) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لأراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهي بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ه : « من » .

(٣) ط ، ه : « قضية » ، صوابه في س . وقصبة الأهواز ، أي أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أي طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفي معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما في ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تحيّفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه في س ، ه .

(٨) في ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضَّيَاعُ الفاشية ، ينجَّبون من البنينَ والبناتِ ما يجُئُه أوساطُ أهلِ الأمصارِ على الثَّرْوَةِ واليَسَارِ ، وإن طال ذلك . والمالُ منبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المُوَيْلَ^(١) اليسيرَ ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّينَ^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس في الأرضِ صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم في شئٍ منه نصيبٌ وإن خَسَّ^(٤) . ولم أرَ بها وَجَنَةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيبةً ، ولا دمأً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قَتَالَةٌ للغُرَبَاءِ .

وعلى أَنَّ حُمَّاهَا خاصَّتهُ ليست للغريبِ بأسرَعٍ منها إلى القريبِ . ٤٨
ووباؤها^(٥) وحُمَّاهَا ، في وقت انكشافِ الوَبَاءِ ونزوعِ الحمَّى عن جميعِ البُلدانِ .
وكلُّ محمومٍ في الأرضِ فإنَّ حُمَّاهُ لا تنزِعُ عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءةَ ، إلى أن يعودَ إلى الخلطِ ، وأن يجمعَ في جوفه التمسادَ^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نما نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال في رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذي كان يرضاه قبل ذلك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أي هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خَسَّ : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . وبعدها في المعجم « أودق أوجل » ، ويقوت بدون ريب ينقل كلام الجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاود من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَثٍ ، كما تعاود أصحابَ الحَدَثِ ؛
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهَمِ^(١) ، ومن قِبَلِ الخُلْطِ والإِكْتَارِ ،
وإنَّمَا يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ البلدة .

وكذلك جمعت سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ في جبلِها الطَّاعِنِ في منازلها ،
المطلِّ عليها ؛ والجَرَاراتِ^(٢) في بيوتِها ومقابرِها ومنابرِها . ولو كان في
العالمِ شيءٌ هو شرٌّ من الأفعى والجَرَارة ، لما قَصَّرَتْ قِصْبَةُ الأهوازِ عن
توليدِهِ وتلقيحِهِ . وبلِيَّتُها^(٣) أنها من ورائِها سِبَاخٌ^(٤) ومناقِعُ مِياهٍ غليظةٍ
وفيها أمهارةٌ تُشَقُّها مَسَائِلُ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومِياهٌ أمطارهم ومُتَوَضَّأَتِهِمْ^(٦)
فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مقابِلَتُها لذلك الجبلِ ، قبل

(١) الأولى : « التنخم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرارَات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » .

وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباح ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهي الأرض تعلوها ملحوة ولا تسكاد
تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها

مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها

وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء

مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »

وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأهصار ، والمعروف :

« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :

« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة

فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جملة بعضهم لحنا . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . في ثمار القلوب

« ميضآتهم » .

بالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِه (١) تَلَكَ الْجَرَّارَاتِ . فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُبَسِّأُ وَحَرَارَةً ،
وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً ، قَذَفَتْ مَا قَبِلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ تُنَحِّثُ [تَلَكَ] السَّبَّاحُ (٢) وَتَلَكُ الْأَنْهَارُ (٣) بُخَّارًا فَاسِدًا ، فَإِذَا
التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا تُنَحِّثُ السَّبَّاحُ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ ، فَسَدَ الْهَوَاءُ . وَبِفَسَادِ
الْهَوَاءِ يَفْسُدُ (٤) كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مَشِيخَةٍ (٥) مِنْ
أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، عَنْ الْقَوَابِلِ ، أَنَّهُنَّ رَبَّ مَا قَبِلْنَ (٦) الطِّفْلَ الْمَوْلُودَ ، فَيَجِدْنَهُ
فِي تَلَكِ السَّاعَةِ مَحْمُومًا . يَعْرِفْنَ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثْنَ بِهِ .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قَالَ (٧)] : وَيَعْرِضُ لِفَرَاحِ الْحَيَّاتِ مِثْلُ الَّذِي يَعْرِضُ لِفِرَاحِ
الْخَطَّاطِيفِ ؛ فَإِنَّ نَازِعًا لَوْ نَزَعَ عَيْونَ فَرَاحِ الْخَطَّاطِيفِ ، وَفَرَاحِ الْحَيَّاتِ ،
لَعَادَتْ بِصِيرَةٍ (٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخه » وهي صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أن السلحفاة والرقّ ، والضفدع ، تما لا بدّ له من التنفس ، ولا بدّ لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض زتكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء ؛ وذلك للنسب الذى بينها وبين الضبّ^(٣) ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أن ما^(٤) كان فى البرّ من الضبّ والورك والحرباء ، والحلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرقّ ، والتّمساح ، والضفدع ؛ وأنّ تلك الأجناس البريّة وإن اختلفت فى أمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنّ هذه الأجناس البحرية من تلك ، كسكلب الماء من كلب الأرض .

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزهم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، ه .

(٣) س : « وذلك النسب » الخ . ط ، ه : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أما » صوابه فى س ، ه .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد السكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطة » ه : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامٌ أُبرَصَ (١) من العَظاءِ ،
والتَّمساحِ ، تسكنُ في أعشمتها (٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البردِ (٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحياتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ
٤٩ في صُدوعِ الصَّخرِ .

وليسَ لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمائةَ سنةً . والوجهُ الآخرُ : أنَّ الفيلةَ مائةٌ [وهذه الأجناسِ مائةٌ (٤)]
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

(داهية الغَبرِ)

قال : وسَمِعْتُ يُونُسَ بنَ حَبِيبٍ (٥) يقولُ : « داهيةُ الغَبرِ (٦) » . قال : وقيلَ

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، ه ، ط ، ه :

« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربعة الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في

(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستنقع ، كما يفهم من

التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمت أن الغبر عين ناه

يعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيبى » ،

وبه نخل ، ومياهه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه في س ، ه .

ذلك لأنها ربّما سكنت بقُرب ماءٍ ، إمّا غديرٍ وإمّا عينٍ ، فتَحْمِي (١)
ذلك الموضوع . وربما غبر ذلك الماء في المنقَع حيناً وقد حمتَه .
وقال الكذّابُ الحرّمازِي (٢) :

يا ابنَ المعلَى نزلتَ إحدىَ الكبَرِ (٣) دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وصَمَاءُ الغَبْرِ (٤)
قال : وسأل (٥) الحَكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبدِ الله
ابنِ غطفانٍ ، قال : [أفعى (٦)] إنْ أيقظَها لسَعَتِكَ ، وإنْ تركَها
لم تَضِرْكَ .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر (٧) قال : نُهَشَ رجلٌ من أهلِ البادية كثيرُ
المال ، فأشفي على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرقيه ، فما تُعطوني (٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحمس » وفي هـ : « فتحمي »
محرقتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أي يامنذر . وفي اللسان أنه
يملح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وستل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :

« تعطوني » وهو جائز . وفي المعنى : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام
والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه على ثلاثين درهما^(١) ، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط ، فلما أفاق قال : الرّاقى والمداوى: حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما فى نفثاتٍ نفثتها ، وحمضٍ سقاه^(٢) ! لا تعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدّثنى بعضُ أصحابينا عن سُكْرِ الشُّطرنجِيِّ ، وكان أحقَّ القاصِّين^(٣) ، وأحدقهم بلعب الشُّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خرمة أنفه^(٤) فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنه خرج إلى جبيل^(٥) يتكسَّب بالشُّطرنج ، فقدم البلدة وليس معه إلا درهمٌ واحد ، وليس يدري أينجَح أم يُخْفِق ، ويحدُّ صاحبه الذى اعتمده أم لا يجده^(٦) ؟ فورد على حواءٍ وبين يديه جُونٌ عِظَامٌ^(٧) فيها حياتٌ جليمة .

والحيّة إذا عضّت لم تكن غايتها النهش أو العض^(٨) ، وأن ترضى بالنهش ،

- (١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه ن س ، ه .
 (٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . ه : « وحرس سقى » والكلمة الأولى فى ه محرفة .
 (٣) جمع قاص للقصص . س ، ه : « العالمين » .
 (٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كسكتابة : البرة تجمل فى الأنف . ولا وجه لها .
 (٥) جبيل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطئ دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .
 (٦) ط : « ويجملو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجه » الخ صوابهما فى ه .
 (٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .
 (٨) ط : « والعض » .

ولكنّها لا تعضُّ إلاّ للأكل والابتلاع . وربّما كانت الحيّات عظاماً جدّاً ولا سمومَ لها ، ولا تعقر^(١) بالعضّ ؛ كحيات الجولان^(٢) .

وفي البداية حيّة يقال لها الحفّات^(٣) والحفّات من الحيّات تأكل الفأر وأشباهه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصّولة ؛ وليس وراء ذلك شيءٌ^(٤) . والجاهل ربّما مات من الفزع منها . وربّما جمعت الحيّة السّمّ وشدّة الجرح ، والعضّ والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحوائِ وقد أخرج من جُونه أعظمَ حيّاتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ الترياق ، فقال له سُكّرٌ^(٦) : خذْ مِنِّي هذا الدرهمَ وارقتي رُقيةً لا تضرُّني معها حيّةٌ أبداً ! قال : فأبى أفعل . قال : فأرسلَ قبل ذلك حيّةً ، حتّى ترقيتني بعد أن تعضّني ؛ فإن أفقتُ علمتُ أن رُقيتك صحيحة . قال : فأبى أفعل ، فاخترتُ أيتهنّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضُّ للأكلِ دونَ السّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنّ هذه إن قبضتُ على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فأبى لا أريد غيرها . وظنّ أنّه إنّما زوّاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أُبيت إلاّ هذه فاخترتُ موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترتُ أنفه ، فناشده وخوفه ، فأبى إلاّ ذلك

(١) تعقر : تجرح . وفي ط : « تنفر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّات ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ،

ه : « الحفّات » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيبا » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردُّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوَّاءُ وطواها على يده ؛ كي لا يدعَها تنكُرُ^(١) فتقطع أنفه من أصله . ثمَّ أرساها عليه . فلما أنشبت أحدَ نَابَيْيَها في شِقِّ أنفه صرَّخ عليه صرَّخةً جمعتُ عليه أهلَ تلكَ البلْدة ، ثمَّ غَشِي عليه ، فأخِذَ الحوَّاءُ فوُضِعَ في السِّجْنِ ، وقتلوا تلكَ الحَيَّاتِ ، وتركوه حتَّى أفاقَ كأنَّه أجنُّ الخلقِ ، فتطوَّعوا بحمله فحملوه مع المِكَارِي^(٢) ، وردُّوه إلى البصرة ، وبقيَ أثرُنا بها في أنفه إلى أن مات .

(ما يعتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياءُ من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضا ولا أولادها^(٣) بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحرٍ جُحره ، فتخرجهُ منه ، أو تأكله إن^(٤) ثبت لها .

والعربُ تقول للمُسيءِ : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لأنَّ الحَيَّةَ لا تتخذ لنفسها بيتاً . وكلُّ بيتٍ قصِدت نحوه هرب أهلهُ منه ، وأخلَّوه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورل يقوى^(٥) على الحياتِ ويأكلها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شدَّةٍ يلقاها

(١) تنكُرُ ، آخره زاي ، كافي س . وفي ط ، هـ : « تنكُر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المِكَارِي : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى »

صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « وليبضا ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقوى » صوابه في س ، هـ .

ذو جُحْرٍ منها فهي تلقى مثلَ ذلك من الورل . والورلُ أَلْطَفُ جَرْمًا
من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ
حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرَاعَى
الذِّئْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضبّ)

وبرائن الورل أقوى من براين الضبِّ . والضبابُ تحفرُ جحرَها
في الكدَى ^(٢) . والورل لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضبَّ من بيته .
فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائته . ويمنع
الحياة أن تحفر بيتها] أن ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي
تحفر بالأفواه والأيدي ؛ كالنمل والذرّ وما أشبه ذلك] . والحياة ^(٦) لا ترى
أن تعانى ذلك ، وَحَفَرُ غَيْرِهَا ومعاناته يكفيها .

(١) استرعاه : جملة راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس
في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كمنية : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا .
والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة .
وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فهمي » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثلِ بظلمِ الحِيَّةِ ، يقول مضرُّ بن لقيط^(١) :
لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوَ أَخْصِمُ حِيَّةً إِلَى فُقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فُقْعَسُ^(٢)
إِذَا قَلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخْرَ يَقْبِسُ^(٣)
فَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ
ذِئَابُ الغَضَى وَالدِّئِبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(٤)
وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتدُّ ظلمة اللَّيْلِ فهو أخفى له ، ويكون
حينئذٍ أحبَّث له وأضرى .

وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةَ العَدَوِيُّ^(٥) ، لنبى جعفر بن كلاب ، وضربَ جَوْرَ ٥١
الحِيَّةِ وَالدِّئِبِ فِي الحُكْمِ مثلاً ، فقال :

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحرى الشعر في حماسه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئب والحيات
وبها يضربون المثل في الظلم - لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ،
أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . في البيان : « أنى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غيرة إلى سواد . ط : « طلسى »
صوابه فى س ، ه والمراجع المتقدمة . وقد روى البحرى أبياتا بعد هذا
فى حماسه .

(٥) هو حريز ، بجاء مهمله وزاى ، ابن عيدة ، أحد بنى زيد بن نَشْبَةَ بن عدى بن أسامة
ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤلف ٧٢ . وفى الأصملى : « جرير »
مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س :
« نسة » محرفة .

كَانَتْ بِي حِينَ أَحْبَبُوا جَعْفَرًا مِدْحَى أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٌ غَيْرَ مَشْرُوبٍ (١)
 وَلَوْ أَحْصَيْتُمْ أَفْعَى نَابِهَا لَشِئْتُ أَوْ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمَّ الْأَهَاضِيبِ (٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا لِإِبَاءٍ ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْفُوبٍ (٣)
 وَلَوْ أَحْصَيْتُمْ ذَنْبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّبِّبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشحو والضم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفذ نابها .
 وكذلك كل [ذى (٦)] فم واسع الشحو ؛ كضم الأسد . فإذا اجتمع له سعة
 الشحو وطول الأحين ، وكان ذا خطم وخرطوم فهو أشد له كالخزير ،
 والذئب والكلب . ولو كان لرأس الحية عظم كان أشد لعصتها (٧) ،
 ولكنه جلد قد أطبق (٨) على عظمين رقيقين مستطيلين بفكها الأعلى
 والأسفل . ولذلك (٩) إذا أهوى الرجلُ بحجرٍ أو عصاً ، رأيتها تلوى رأسها

(١) ماء طروق ، بالفتح ، بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقتة . غير مشروب : غير
 صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينظف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، ه :
 « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي
 بالنون في س . وفي ط ، ه : « باب » ، وهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيلى ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . ه ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر
 ما سبق قريباً .

(٨) كذا في س ، ه . وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمنعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بضعف ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثر ما يكون في أعناقها تحصيرٌ^(١) ولصدورها أغبابٌ^(٢) ، وذلك في الأفاعى أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقُّ إنما هو شيءٌ كههيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجراب ، مُنْضَمُّ الأثناء^(٣) ، مُشْنَى^(٤) الغضون . فإذا شئتَ أن تفتح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتحُ فمِ الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيدي^(٥) ، ولولا أن الحالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا^(٦) بيد إنسان .

وهذا مما يعدُّ في مجون ابن هاني .

وكذلك حُلوق الحياتِ وأعناقها وصدورها ، قد تراها فتراها في العين دقيقةً ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراهة الحية والأسد)

وهي تبتلعُ فراخ الحمام . والحيةُ أنهمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلعُ البضعةَ العظيمةَ من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج .

(١) تحصير : أى دقة في وسطها .

(٢) جمع غيب ، وهو اللحم المتدل تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التفصلات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، ه . وفي ط : « الأثناء » وفي س ، ه : « الأثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، ه : « مشنى » .

(٥) س ، ه : « أيدي » صوابه في ط .

(٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، ه .

(تَنْبِيْنُ أَنْطَاكِيَّةِ)

[و] مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةِ ^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ الثَّلْثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةِ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلْثَيْنِ الْأَسْفَلَيْنِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلْثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَنْبِيْنَا ^(٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَرَفَّعَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَذَفَتْ ^(٤) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِيَّةِ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَليْسَ فِي قَوْلِ زَهْرِي :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِيَّةِ فَوْقَ عَقْمَةِ وَرَادِ الْحَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عَنَدِمِ

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِيَّةِ فَوْقَ عَقْمَةِ كَجِرَّةِ نَخْلِ أَوْ كَجِنَّةِ يَثْرِبِ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ، لِأَنَّهَا لِلنِّسْبَةِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةِ .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْوَى »

صِرَابِهِ فِي س . وَالْكَلَامُ بَعْدَ هَذِهِ السُّكْلَمَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ

مِنْ س .

(٣) التَّنْبِيْنُ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَسْمِيْنَا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التنين)

ولم يزل أهل البقاع^(١) يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون في مجلس وفيه عشرون رجلاً ، فيجرى ذكر التنين فينكره بعضهم . وأصحاب الثبت^(٢) يدعون العيان . والموضع قريب ، ومن يعاينه كثير . وهذا اختلاف شديد .

(قول الأعراب في الأصلة)

والأعراب تقول في الأصلة^(٣) قولاً عجيباً : تزعم أن الحية التي يقال لها الأصلة لا تمر بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وتزعم الفرس أن الأجدهاني^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناساً فبتلع من كل جهة فم ورأس إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « الثبيت » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والثغويون يختلفون في تحليتها ، أي نعمتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان . فسألت^(١) أعرابياً عن ذلك فزعم أن ذلك حق . فقلت له : فن أي جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيهما تأكل وتعض ؟ فقال : فأما السعى فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرمل . وأما الأكل فإنها تتعشى بضم وتغذى بضم . وأما العض فإنها تعض برأسها معاً !! فإذا به أكذب البرية .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرانق الأسد)

ومثل شأن التنين مثل أمر فرانق الأسد^(٣) ؛ فإن ذكره يجري في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسمعتُه !

(١) ط ، ه : « فسئت » صوابه في س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب

من « پروانك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدثين : إنَّ من أعظم ما خلق الله الحية والسّرطان والسّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإنَّ الناس لم يجدوا حيةً قطُّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها ^(١) .
وذلك لأمر : منها قولهم إنَّ فيها شياطين ، وإنَّ فيها من مسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لي الفضلُ بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [نُحَّان ^(٢)] ، وأنَّ طولَ كلِّ نخٍّ تسعة عشرَ ذراعاً ^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذي يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وقد أثبتتها اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسي معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجرذ والزرع ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذوات شعر ، ومنها ذوات قرون . [وأرسطو ينكر ذلك ^(٢)]
ولمّا يتخلق لها في كل عام قشرٌ وغلاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلود فإنّ الأرمينيّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقش من جلده
وينسلخ في كل شهرٍ مرّةً . قال : فجمع ذلك فوجد فيه ملء جراب
أو قال : أكثر .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونبّه على ما فيها من الآيّة العجيبة
والبرهان النسيّر ، والحجّة الظاهرة ، [فإني ^(٤)] في قلب العصا حيّة ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الديمري . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض لها في ط ، ه .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهولَ به القومُ وسَحَرُوا منْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وجاعوا به من الإفك
قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ^(١)] فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ
بَهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿ ،
إلى قوله : ﴿ فَأَلْقُوا حِبَابَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ ^(٢) ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّلَ العصا ثُعْبَانًا لأنهم جاءوا بحبال وعصى
فحوَّلَها في أَعْيُنِ النَّاسِ كلها ^(٣) حَيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العَصَا حَيَّةً ^(٤)
على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ جَعَلُوا حِبَابَهُمْ
وعصِيَّهُمْ ذُنُوبًا في أَعْيُنِ النَّاسِ ونُمُورًا ، لَجَعَلَ اللهُ عصا موسى ذنُوبًا أو نَمْرًا ،
فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ في بدن الحية .

قلنا: الدليل على باطل ما قلتم ، قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَآرِبٌ أُخْرَى . قَالَ أَأَلْقِيهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿
وقال الله عزَّ وجلَّ ^(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(٦) ﴾

(١) هذه التكلفة ليست في س : ه . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها في ط
كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحتقتها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧
من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي
الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، ه : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، ه .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ه .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سأتيكم منها فجبر أو آتيكم
بشهاب قيس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١) ﴿ فَقَلْبُ (٢) الْعَصَا جَانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصَى . وقال الله (٣) : ﴿ قَالَ لَنْ اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بَشِيءٌ مُبِينٌ . قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ (٤) العصا حيّة كان في حالات شتى (٥) . فكان هذا هذا مما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يمته الله لديغا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديغا (٦) وأن تكون ميثته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيّاً أو قتله نبيٌّ » ، كأنه كان في المعلوم (٧) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يتهياً أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « قلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مشتقان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهي بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « العلوم » وهي ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أشرار^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذي اتَّفَقَ من قتل أبيِّ بن خلفٍ بيده^(٢) ، والنَّضْر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبي معيط^(٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، ه : « شرار » ولم أجدها فيهما في مادة (شرر) ورأيتهما في شعر صخر أخي الخنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) :
* والله لا أمّحها شرارها *

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أي محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنأ منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً - أي تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بني عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله علي وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هي من أروع أبيات البيان العربي ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسه ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمنت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - هبيثة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء فقول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أقتل من بين قریش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قلدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجدها فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » ، صوابه في س ، ه كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغي =

وحدثت^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صيفي بن أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصاري^(٢) يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهدم^(٣) وأعوذ بك من التردى^(٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق^(٥) ، وأعوذ بك من الحرق والهرم^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموت لديعاً » .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسد [و^(٨)] الأسود ، وأعوذ بك من الهدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب الثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
 (٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .
 (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن يهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .

- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .
 (٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائي والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
 (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في هـ .

- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .
 (٨) هذه الزيادة الضرورية من الديميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صَفِيرًا ، والرجل يَصْفِرُ بِالصَّفِيرِ للتنفير ، وباللدوابِّ وبيعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَارَةُ [يَصْفِرُ بِهَا ^(١)] للحام وللطير فى المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :

وَإِذَا جَنَّا لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ نَأْوَهَا وَصَفِيرًا

(لسان الحية)

والحياة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندى غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى اقتراق طرف اللسان ^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجبية الضب)

ويقال : إن ^(٣) للضبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضبِّ نَزْكَاً ^(٤) . قال الشاعر ^(٥) :

= والنسأى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فىك ، وشر ما خلق فىك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سألخ ؛ لأنه يسلمخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « ترك » ه : « ترك » س : « نرك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحران ذى النصة » وكان قد أهدى =

كَضَبٌ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٍ^(١)
قال أبو خَلْفٍ النَّمْرِيُّ : سئل أبو حِيَّةِ النَّمِيرِيُّ عن أير الضَّبِّ ،
فزعهم أن أير الضَّبِّ كلسان الحِيَّةِ : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعمون أن الله عاقب الحية حين أدخلت إبليس
في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَخَدَعَهُمَا عَلَى لِسَانِهَا ، بعشر خِصَالٍ :
منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحية إذا ضُرِبَتْ لِلْقَتْلِ كيف
تخرج لسانها لِتَرِي الضَّارِبَ عِقُوبَةَ اللَّهِ ، كأنها تَسْتَرْحِمُ . وصاحب هذا
التفسير لم يقل ذلك إِلَّا لِحِيَّةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ تَتَكَلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر
آدمُ كلامها ، وإن كان إبليس لا يَحْتَمِلُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْحِيَّةِ ، ولا يَحْتَمِلُ
بشئٍ غير مموه ولا مشبه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسري . انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات
الشاهد . وقال ابن السيد في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خاند ولاء بعض البوادي
فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
حمران قفصاً مملوا ضبابا وكتب إليه . » وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نركان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نرك) ،
سبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب السكاكيب
١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
وفي ط « طركان » و هـ : « نركان » صوابه في سـ والمراجع . والناعل :
من يلبس نعلا . سـ : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ مِنَ الْحَيَاتِ (١) كما يقال أرضٌ مَضْبَبَةٌ وَضَبْبَةٌ مِنَ الضَّبَابِ (٢) ، وفئرةٌ مِنَ الْفَأْرِ (٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ (٤) » :
إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لِابْنِهِ : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرْشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قَالَ : وَذَلِكَ
أَنَّهُمْ يَزْعَمُونَ أَنَّ الْحَرْشَ تَحْرِيكُ (٥) الْيَدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ لِيَخْرُجَ إِذَا
ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قَالَ : وَسَمِعَ ابْنَهُ صَوْتَ الْحَفْرِ فَقَالَ : يَا أَبَاهُ هَذَا الْحَرْشُ ؟ قَالَ :
يَابْنِي ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ ! فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكلها أكلا ذريعاً . ٥٥

- (١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .
(٢) أرض مضببة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضببة »
و ه : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ
المضعف . ط ، ه : « ضببية » صوابه في س . والضباب ، بالسكسر :
جمع ضب .
(٣) في الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .
(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والميداني
(١ : ١٧٠) والبيدادي في الخزانة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .
(٥) ه : « تحريد » بالذال . والتحرير : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحياتِ ، وذواتِ الإبر^(١) ، سريعةٌ في الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكاً ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكلُ الحياتِ العقبانُ ، والأياثِلُ ، والأراوى^(٢) ، والأوعالُ ، والسنانيرُ والشَاهِرْمَرَكُ^(٣) ، والقنفذُ . إلا أن القنفذُ أكثرُ ما يقصدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل : قال الرّاجز :

* قنفذ ليل دائم التجّابِ^(٤) *
وهذا الرّاجز هو أبو محمد الفقعسى .

(التّشبيه بالقنفذ)

وكذلك يُشَبِّه النَّمَامُ ، والمُدَاخِلُ ، والدَّسِيسُ^(٥) ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطيب :

أَعْصُوا الَّذِي يُلْقِي الْقَنَافِدَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحاً وَهُوَ السَّمَامُ الْأَنْقَعُ^(٦)
يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ حَرْباً كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ^(٧)

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجّاب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب الهلاد

ويكسب المال » . ط : « التجّاب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ؛ بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « اللدسيس »

صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، هـ : « ترخى » صوابهما =

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فؤادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشَعَّشٌ^(١)

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول (٣)] مجنون بنى عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تقبل^(٥) » الطبايع ما كانت

لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ

والتَّمِيمَةَ :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خَلَّانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَدَعُوا قَنَافِذَ بِالنَّمِيمَةِ تَمَزَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاسة البحرى ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد الأخدعين ، وهما عرقا الرقية . س ، ه : « الفروق » صوابه في ط والحجاسة .

(١) شمع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوائيل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، ه :

« القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشر بها .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل :

« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحجاسة : « فهم إذا دمست » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودي^(١) :

كقنفذ القنِّ لا تخفى مدَّارجهُ خبُّ إذا نامَ عنهُ الناسُ لم ينم^(٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفي عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تقتلوا قنْفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنها في قرن ، أى جبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والحففة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفي اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرح » بالراء صوابه في ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودي : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ - ٤٢) . والبيت في ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفي ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرقة . وفي ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وِرْلاً وَلَا تَصِيدُوا^(١) ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ^(٢) . وأكثرُ ما يجتلب أصحاب
صنعة الترياق والحواءون الأفاعى من سجستان . وذلك كَسَبٌ لهم وجرْفَةٌ
ومتجرٌ . ولولا كثرةُ قنْفِذِهَا لمباكان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذ لا يبالي أى موضع قبض من الأفعى . وذلك أنه إن قبض
على رأسها أو على قفاها فهي مأكولةٌ على أسهل الوجوه ، وإن قبضَ على
وسطها أو على ذنبها ، جذب ما قبض عليه ، فاستدار وتجمّع ، ومنحه سائرَ
بدنه ، فتى فتحت فاهها لتقبض على شيء منه ، لم تصل إلى جلده مع شوكة الثابت ٥٦
فيه . والأفعى تهرب منه ، وطلبه لها وجرأته عليها ، على حسب هربها منه
وضعفها عنه .

(أمثال في الحية والورل والضب)

وأما قولهم : « أضلُّ من حيّة » ، و « أضلُّ من ورل » ، و « أضلُّ
من ضب » - فأما الحية فإنها لا تتخذ لنفسها بيتاً ، والدُّكْرُ لا يقيم في الموضع ،
وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على الكسب والتماس
الطعم ، ثم تصير الأنثى سيّارةً ، فتى وجدّت جُحراً دخلت واثقةً بأن

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا وِرْلاً تصيدونه » س : « ولا وِرْلاً »
تصيدوه . وصوابه ما أثبت من ه . وعند ياقوت : « ألا يقتل في بلدهم
قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فا من
بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَقَامَ فِصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فِصَارَ الْبَيْتِ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحياتِ ^(١) وكسرتها لِأَتَعَرَّفَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا هُوَ بَيْضٌ مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَخْضَرَ ، وَفِي بَعْضِهِ نَمَشٌ وَلَمَعٌ ^(٢) . فَأَمَّا ^(٣) دَاخِلُهُ فَلَمْ أَرَقِيحًا قَطُّ ، وَلَا صَدِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا أَسْمَجٌ مِنْهُ وَأَقْدَرُ . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْبَيْضِ جِدًّا ، وَأَنَّ السَّلَامَةَ فِي بَيْضِهَا [عَلَى ^(٤)] دُونَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بَيْضِهَا يَكُونُ مَنْضُدًا فِي جَوْفِهَا طَوِيلًا عَلَى غِرَارٍ ^(٥) وَاحِدٍ ، وَعَلَى خَيْطٍ وَاحِدٍ .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهرِ . وكان ذلك بعضَ ما زاد في شِدَّةِ بدنِها ^(٦) .

(١) ط : « الحياة » صوابه في س ، ه .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء . وأثبت الصواب موافقا ما في الديميري (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمة ، بالضم ، وهي كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، ه : « فإذا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، ه : « غرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، ه عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتنا هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكي » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلاً)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخنزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرج من أجواف العقارب عقاربٌ صغارٌ ، كثيرة العدد جداً .
وعامة العقارب إذا حبلت كان حنْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقها أكلت بطون الأمهات حتى تنقبها^(٣) . وتكون الولادة
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زعم أن بيضة^(٤)
واحدة من بعض الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحمِلُ ، ولدقة حبه^(٦) وصغره . ولكن يعترها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أنَّ الذكورة في أوانِ ولادة الإناث تتبعُ أذنابها ، فكلما زحرت
بشيء التقمته والتهمته .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

-
- (١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من ه .
(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلاً عن الجاحظ : « ولادتها » .
(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقبها » و ه : « يشقها »
مخرفتان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .
(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .
(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .
(٦) أي حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائية وقتلها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر لخنًا ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قوية المنة قل حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمن الرجال لا يكاد يعترهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنحل . إذا قويت النخلة
وكانت شابة ، وسمن بجمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضبِّ على خلاف ما ذكرتم .
قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً^(١) . ولولا أن الضبَّ
يأكلُ ولده لانتفشيت الصحارى ضباباً . والضبُّ لا يحفر إلا في كدبية^(٢)
وفي بلاد العرّاد^(٣) . وإذا هرمت تبلّغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدلُّ

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدبية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العرّاد : حشيش طيب الرائحة . ط ، ه : « العرار » محرفة ، صوابه بالبدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْنِ والعفن^(١) .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاذ الحيات)

وليس للحيات سفاذٌ معروفٌ يَنْتَهِي إليه علمٌ ، ويقف عليه عيانٌ ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يَرَوْنَ من ملاقاتِ الحيَّةِ [للحيمة^(٣)] والتواءِ كلِّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خلخالٍ مفتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرجٍ يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أيمٌ ، فإنما يريدون الذكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عندَ جودةِ الانسيابِ ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (عرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكنا ملتبدا *

(١) أي أن سكنى الضباب في الكوى وهي بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التي تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : « على بعض طبيعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وَحِفَّةِ الْبَدَنِ ، كَمَا تَذَكُرُ الشُّعْرَاءُ فِي صِفَةِ الْحَيْلِ الْجَرَادَةَ الذَّكَرَ (١)
دُونَ الْأُنْثَى . فَهَمَّ وَإِنْ أَلْحَقُوا الْهَاءَ فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الذَّكَرَ . قَالَ بَشْرُ
ابْنِ أَبِي خَازِمٍ :

جَرَادَةٌ هَبْوَةٌ فِيهَا اصْفِرَارٌ (٢)

لَأَنَّ الْأُنْثَى لَا تَكُونُ صَفْرَاءَ ، وَإِنَّمَا الْمَوْصُوفُ بِالصُّفْرَةِ الذَّكَرَ (٣) ؛ لِأَنَّ
الْأُنْثَى تَكُونُ بَيْنَ حَالَتَيْنِ (٤) : إِمَّا أَنْ تَكُونَ حَيْلِيًّا بِيضِهَا (٥) فَهِيَ مُثْقَلَةٌ
وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ [قَدْ (٦)] سَرَاتٍ وَقَذَفَتْ بِيضِهَا (٧) ، فَهِيَ أَوْضَعُ
مَا تَكُونُ .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلْمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى فِي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ (٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر
دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملى ٧٥ .

(٢) الهجوة : العبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأسدي (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزباني ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلي بيضها » س ، ه : « إن حيل بيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثبانِ والرملِ ، بينَ مواضعٍ مزاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر (١) :

كَانَ مَزَاحِفَ الحَيَّاتِ فِيهَا قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيِّاطِ (٢)
وكذلك يعرفون آثار العطاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بِهَا ضَرَبُ أَذْنَابِ العَطَاءِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ تَحْطُّ وَتَمصَعُ (٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حَيَّات :

كَانَ مَزَاحِفِهَا أَنسَعُ جُرْرَنَ فُرَادَى وَمَشَاتِهَا (٤)
وقال ثمامة الكلبي :

كَانَ مَزَاحِفَ الهَزَلَى (٥) صَبَاحاً خُدُودُ رَصَائِعِ جُدِلَتْ تَوَامَا (٦)

(١) هو المتخلف الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كان وغي الخموش أميم فيها وغي ركب أميم أولى زيات

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كان مزاحف الحيات فيه » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مزاحفها » . هـ : « مزاحفها » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلي من الحيات . قال جرير أو غيره :
 ومن ذات أصفاءٍ سُهبٍ كأنها مَزاحِفُ هَزَلِيٍّ بينها متباعدٌ (١)
 وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى
 أي شئٍ صارت :

وإذا نَظَرْتَ إلى الثَّرَى بِعِرَاصِهِمْ
 قَلْتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ (٢)

وقال البعيث :

لَقِيَ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بِيَتْنٍ لِلضِيافَةِ أَرَشِمًا (٣)
 مُدَامِنٌ جَوْعَاتٍ كَانَ عَرَوْقُهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبْنَ سَمَسِمًا (٤)

- = وهي سير مضفور في أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
 « صنيع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط :
 « خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما :
 جمع توأم . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .
- (١) ذات أصفاء : أي أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
 جمع صفاة . ط ، ه : « إصفاء » صوابه في س . وفي اللسان (صوى) : « أصواء »
 مع تفصيل في الشرح . والسهبوب : المستوية الواسعة . واليتن : البعد ، إن جعل « بينها »
 مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أي مزاحف متباعد بينها . ط ، ه :
 « بيتها » صوابه في س .
- (٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهي أخبث الحيات
 وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .
- (٣) اللق ، بالفتح : الذي لا يدري لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « قتي »
 س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والافتضاب ٣٤٦
 واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقي) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
 دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكفى عن زنى
 أمه . واليتن : الذي يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاهمون
 به ، نحو وجهه مقلوبا . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
 « أرشما » ، س ، ه : « أرشما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
 وأدب الكتاب ١٢٧ .
- (٤) مدامن جوعات : أي هو يلسن الجوع . وفي الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وَقَشْرُ الحِيَّةِ
أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صُنْعَةً وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قيصَرَ ملكٍ ، فشبَّهه بِسَلْخِ الحِيَّةِ ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المالَ أودَى بِفَضْلِهِ حقوقٌ ، فكرهَ العاذلاتِ يوافقهُ
يجرُّ سِرْبَالاً عليه كأنه سبىءٌ لَهْزَلِي لم تقطعْ شَرَانِقَهُ^(٢)

والسبىء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نصلَ الأظفارُ وانسبأَ الجلدُ^(٣) *

= كأن عروقها « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربته : مشين
فيه . وفى الأصل : « يسربن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشربن سسما » بالشين المعجمة . والسسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم فذقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .
(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرائق : سلخ
الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، ه : « سرائقه » ، صوابه من
اللسان (سبى) وما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ وَالْأَفْعَى صُمٌّ لَا تَسْمَعُ ، وكذلك هما من بين جميع الخلق . وسندكرُ من ذلك في هذا الموضع طرفاً ، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة^(١) ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب^(٢) أن يجعل سمعه هدفاً لتوليد^(٣) السكذابين ، وقلبه قراراً لغرائب الزور . ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطرف ، لا يقف على التصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ، ويتعلق بأدنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع .
والصنف الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أن ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزز^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنَّ الدليلَ على أنَّ الأفاعى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، ه : « وعودها كثير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقزز » صوابهما ما أثبت . وفي العبارة

قبله اضطراب .

أَنْعَتُ نَضْنَاضًا مِنَ الْحَيَّاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ^(١) لِرُقَاةِ

وقد ذكروا بالصَّمَمِ أجناساً من خبيثات الحيات ، وذهبوا إلى امتناعها

٥٩

من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِي عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :

وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفْعَى صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي

ويزعمون أن كلَّ نَضْنَاضٍ أَعْمَى . وقال آخر :

وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُحْمَةٍ كَالرُّشَا^(٢)

أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلِ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشُّدُقِ عَارِي النَّسَاءِ^(٣)

فزعم أنه أصمٌ سميعٌ ، فجاز له أن يجعله أصمٌ بقوله : « وَمِنْ حَنْشٍ

لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ » . وقال الآخر :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصَلِ حَدِيدَاتِ^(٤)

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإن قَلِعتَ عينه عادت .

وهو قائمُ العَيْنِ كَعَيْنِ الجُرَادَةِ ، كأنها مِسَارٌ مضروب . ولها بالليل شعاع

خفيٌ . قال الرَّاعِي يصفُ الأفعى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ؛ وهي مبالغة ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسمه . والنساء ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عصل » صوابه في ط .

وقبله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وَيُذَنِّي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ صِهْلٍ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ (١)
وهذه صفةٌ سَلِيمٍ الْأَفْعَى (٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّمَمِ ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطْرَاقِ .
قال الشاعرُ :

أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي الْقَرَا (٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِالذُّجْنَاتِ (٤)
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقِ وَإِخْبَاتِ (٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْحٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أَعْمَى بِقَوْلِهِ :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرَّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصَلٍ حَلِيدَاتِ (٧)
مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى «إلخ»
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قَدَّمَنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَأَسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسقع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : المملوغ .

(٣) القرأ : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطمور : الثوب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يشبته » صوابه في س ، هـ . والنفث : النفخ

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . س : « المغارات »

ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهرت الأشداق ، ثم وصفها بالسُّبَاتِ
وطول الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ^(٢) ، وخفّة الحركة ، إذا هَمَّتْ بذلك
وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحِية)

وقد وصفتها امرأة جاهليّة بجميع هذه الصِّفَةِ^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشَّعْرُ صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صِفَةِ الأفاعي مثلها .

وقد رأيتُ عندَ داودَ بنِ محمَّدِ الهاشميِّ كتاباً في الحيات ، أكثرَ
من عشرةِ أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .

ولقدُ ولَّدُوا على لسانِ خلفِ الأحمَرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازاً كثيرة . فما
ظنُّكَ بتوليدِهِم على ألسنةِ القدماء !

ولقدُ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ في الحُلاَقِ أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيْهِ
قط . فلو تَقَدَّرُوا من شيءٍ تقدروا من هذا الباب .

والشَّعْرُ الذي في الأفعى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتَلُنِي أَصَمُّ مَرَقَّشٌ^(٦) مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالْحَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٧)
خُلِقَتْ هَازِمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقُرْصِ فَلَطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أعرج . ه : « أعصل » مصحف .

(٢) نشطت الحية فنشط وتنشط : عضت بناها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثبت في س ، ه أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلمم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفتح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من ه . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمْرَاءٌ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرٍ (١)
 وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنَوُّفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورٍ (٢)
 وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ شَدَقَا عَجُوزَ مَضْمَضَتْ لِطُهُورٍ (٣)

فقد زعمت^(٤) كما ترى أنها تدير عيننا^(٥)، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
 إلا أن زعم أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها زول عن موضعها ، ولكنها
 أرادت أمها جواللة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والتميامنة
 والتمياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمیعة^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثراث
 وجوده الشم ، لا جودة السمع ؛ فإن الذين زعموا أن النعامة صمًا زعموا
 أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من^(٨)]
 قبل السمع لو كانت سمیعة . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصميات وعيون
 الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
 (٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
 والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤلف
 ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
 والتحوى ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسي .
 ورواية صدر البيت في المؤلف :

« وكان مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والظهور ، بالضم : التطهر .

(٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .

(٥) عنى الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .

(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك

وكفرحة ، وشريفة وشريف .

(٨) ليست بالأصل .

(٩) هو الزيادة كما سيأتي في ص ٢٨١ .

تَهْوِي إِلَى الصَّوْتِ وَالظُّلْمَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلَ لِأَقْيِ الْحَيْدَ فَاطَّلَعًا (١)

هذا بعد أن قال :

إِنِّي وَمَا تَبْتَغِي مَنِي كَلْتَمَسُ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرَّيَّ وَالشُّبْعَا

أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرٍ فِي مَقْدِمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعًا (٢)

اللُّونُ أَرِيدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عَصَلٌ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعًا (٣)

أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءَ أُيَسِّهَا أَوْ شَمَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا (٤)

فَقَدْ جَعَلَ (٥) لَهَا أَنْيَابًا عَصَلًا ، وَوَصَفَهَا بِغَايَةِ الْحُبِّثِ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولِّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلًا في ذلك

الأمر ، وليس كالأعرابي الذي إنما يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذي عليه ٦١

(١) التقور : التثني . وفي الأصل : « قومود » ، ولم أجد له وجهًا ، وصوابه في

اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل :

« الجيد » وصوابه ما سيأتى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل أنسياب الحية

في سرعتها وتلوها كأنسياب السيل إذا لاقاه حيد تثني وأشرف على طريق آخر .

(٢) في مقدمه : في مقدم الحجر . والعسيب : السعف لم يثبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة .

وعصل : معوجات . هـ : « عصل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع

« ثم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جعلوا » .

نَشَأً ، وَيَمَعْرِفَتِهِ غَدَى . فالعلماء الذين اتَّسَعَوْا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أُخْبِرُوا عنهم بنَجْر كانوا الثَّقَاتِ فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلُوا إلينا . وسواءً علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً^(١) ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً^(٢) .

ومتى أُخْبِرْتِ بِبَعْضِ هَؤُلَاءِ بِنَجْرٍ لَمْ أُسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِمَسْأَلَةٍ^(٣) الأعراب . ولكنه إن تَكَلَّمَ وَتَحَدَّثَ ، فَأَنْكَرْتُ فِي كَلَامِهِ بَعْضَ الإِعْرَابِ ، لَمْ أُجْعَلْ ذَلِكَ قُدْوَةً حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ بَمَنْ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الْخَفِيُّ قَبْلَ التَّفَكُّرِ . فهذا وما أشبهه حكمه خلافُ الأوَّلِ .

(الرُّقِيَّةُ)

والرُّقِيَّةُ تكون على ضروب : فمنها الذى يدَّعيه الحوَّاءُ والرِّقَّاءُ ؛ وذلك يُشَبِّهُ بِالَّذِي يَدَّعِي^(٤) نَاسٌ [من^(٥)] العزائم على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن في تلك الرُّقِيَّةِ عزيمة لا يمتنع منها الشيطان ، فكيف العامر^(٦) ؟ ! وأن العامرَ إذا سئل بها أجاب ، فيكون هو الذى يتولى إخراج الحيات من الصَّخْرِ . فإن كان الأمرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُروجِ الأفاعى الصمِّ وغيرِها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرُّقى

(١) ط : « أو حديثاً منشوراً » .

(٢) ط : « أو قصيداً موزوناً » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا في ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمي من سأل . وفي س :

« بمسألة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

وَالنَّفْسُ لَيْسَ شَيْئاً^(١) يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْمَلُ فِي الذِّبْيِ
مُخْرِجِ الْحَيَّةِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ [كَذَلِكَ^(٢)] فَالسَّمِيعُ وَالأَصَمُّ فِيهِ سَوَاءٌ .
وكذلك يقولون في التَّحْيِيبِ وَالتَّبْغِضِ ، وَفِي النُّشْرَةِ^(٣) وَحَلِّ الْعُقْدَةِ
وَفِي التَّعْقِيدِ وَالتَّحْلِيلِ .

(العزيمة)

ويزعمون أَنَّ الجِنَّ لَا تَجِيبُ صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ حَتَّى يَتَوَحَّشَ وَيَأْتِيَ
الْخِرَابَاتِ وَالْبَرَارِيَّ ، وَلَا يَأْتِسُ بِالنَّاسِ ، وَيَتَشَبَّهُ^(٤) بِالْجِنِّ ، وَيَغْسَلُ
بِالمَاءِ الْقَرَّاحِ^(٥) ، وَيَتَبَخَّرُ بِاللُّبَانِ الذَّكْرِ ، وَيِرَاعِي الْمَشْتَرِيَّ^(٦) . فَإِذَا دَقَّ
وَلطُفَ ، وَتَوَحَّشَ وَعَزَمَ ، أَجَابَتْهُ الْجِنُّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدَنُهُ يَصْلُحُ
هَيْكَلًا لَهَا ، [وَ^(٧)] حَتَّى يَلِدَّ دُخُولَهُ وَادِيَّ^(٨) مَنَازِلَهَا ، وَأَلَّا يَكْرَهُ
مَلَابِسَتَهُ وَالكَوْنَ فِيهِ . فَإِنَّهُ هُوَ أَلْحٌ عَلَيْهَا بِالْعَزَائِمِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ لِذَلِكَ أَهْبَتَهُ
خَبْلَتَهُ ، وَرَبَّمَا قَتَلْتَهُ ؛ لِأَنَّهَا تَنْظُنُّ أَنَّهُ مَتَى تَوَحَّشَ لَهَا ، وَاحْتَمَى ، وَتَنْظَفُ^(٩)

(١) هـ ، س : « شيء » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبهه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة

وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَفَقَطُ^(١) ، حتى يكونَ المعزَمُ مشاكلاً لها
فى الطَّبَّاعِ .

فيزعمون أنَّ الحياتِ إنما تُخْرِجُ إِخْرَاجاً ، وأنَّ الذى يخرجهَا هو الذى
يُخْرِجُ سُمومَهَا مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا^(٢) .

(التّعويذ)

والرُّقِيَّةُ الأخرى بما يُعْرَفُ مِنَ التّعويذِ^(٣) . قال أبو عُبَيْدَةَ :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ^(٤) : قَدْ جَاءَكُمْ أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَارْقُوهُ . قال :
فَعَوَّذُوهُ بِبَعْضِ الْعَوَائِذِ^(٥) .

والوجه الآخر مشتقٌّ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرَّجُلِ يَقُولُ : مازال
فلان يرقى فلاناً حتى لانَ وأجاب .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهليَّةِ والإسلامِ فى رقى الحيات ، وكانوا
يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقوال المتكلمين فى ذلك ،
وبالله التوفيق .

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم
فى طباها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ه ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » ه : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول »
وصوابها ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ »
جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عودة بالضم . و « المعاذات » بالفتح :
جمع معاذة .

[منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِخْرَاجَ الْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهَا إِلَى الرَّاقِي ، إِذَا مَا كَانَ لِلزَّيْمَةِ وَالْإِقْسَامِ عَلَيْهَا ، وَلِأَنَّهَا إِذَا فَهَمَّتْ ذَلِكَ أَجَابَتْ وَلَمْ تَمْتَنِعْ .
وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لَا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ الْعُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجِيبُونَ الْعَزَائِمَ بِإِخْرَاجِ الْحَيَّاتِ مِنْ بُيُوتِهَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَالْحَيَّةُ الذِّكْرُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِهَا أَمَّنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ بَدَأَ فِي مَشِيهَا رَزَمٌ ^(٣)
مَنْ خَلَفَهَا حُمَّةٌ لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كَانَ ثَبَتَهَا فِي جُحْرِهَا الْحَمَمُ ^(٤)
نَابٌ حَدِيدٌ وَكَفٌّ غَيْرٌ وَادِعَةٌ وَالخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشَّمِمُ ^(٥)
إِذَا دُعِيَ بِأَسْمَاءِ أَجَبْنَ لَهَا لِنَافِثٍ يَعْتَدِيهِ اللَّهُ وَالْكَلِمُ
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّ كَانَ عَذَبَهَا عَرَجَاءُ تَطَّلَعُ ، فِي أَنْبِيَائِهَا عَسَمٌ ^(٦)

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) في اللسان : « ووصف أمية الحية بالحنفة فقال :

والحية الحنفة الرقشاء أخرجها من بيوتها أمينات الله والكلم » .

وهي رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أنشأ المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ،
يعنى الحنفة .

(٣) في اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر
على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى في سعيها رزم » .

(٤) كذا في ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المحاز في « خلفها » كما يقول

القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أي هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم
الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفي س :
« من خلفها حية » ولا توافق ما سياتي من تعقيب الجاحظ في الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كف ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس
من شرها .

(٦) تطلع : تخرج وتغمر في سيرها . وفي الأصل : « تطلع » ، صوابه في الديوان .

والعسم ، بالتحريك : أصل معناه ييس في المرفق تموج منه اليد ، فهو أراد به
هنا الاعوجاج والانعقاد ، وهو من صفة ناب الحية . وفي الأصل والديوان أيضاً :
« غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَّتَهُ فذَاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ في سَمْعِهَا ، من رَهْبَةٍ صَمَمٌ (١)
فكَيْفَ يَأْمَنُهَا أُمٌّ كَيْفَ تَأْلَفُهُ وليسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ !

يقول : لو أَنَّهُا أُخْرِجَتْ (٢) حِينَ اسْتَحْلِفَتْ بِاللَّهِ لَمَا خَرَجَتْ ؛ إِذْ
ليسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ . ثُمَّ ذَكَرَ الْحِمَّةَ (٣) وَالذَّابَّ .

وقال آخرون : إِعْمَا الْحَيَّةَ مِثْلَ الضَّبِّ وَالضَّبَّعِ ، إِذَا سَمِعَ بِاللَّهِ وَالْهَدْمَ
وَالصَّوْتِ خَرَجَ يَنْظُرُ . وَالْحَوَاءُ إِذَا دَنَا مِنَ الْجَمْحَرِ رَفَعَ صَوْتَهُ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ،
وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَيَّةَ ، كَمَا يُخْرِجُ الضَّبَّ وَالضَّبَّعِ .
وقال كثيرٌ :

وَسَوْدَاءٌ مِطْرَاقٌ إِلَى مِنَ الصَّفَا (٤) أُنَى (٥) إِذَا الْحَاوِي دَنَا فَصَدَّاهَا (٦)
والتَّصْدِيَةُ : التَّصْفِيقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاةً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالتَّصْدِيَةُ : صوتٌ بَيْنَ التَّفْفِخِ وَالتَّصْفِيرِ .
والتَّصْدِيَةُ : تصْفِيقُ الْيَدِ بِالْيَدِ .

فَكَانَ الْحَوَاءُ يَحْتَالُ بِذَلِكَ لِلْحَيَّةِ ، وَيُوْهِمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بِالرُّقِيَّةِ

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى
« نافث » في البيت الذي قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفي الديوان :
« وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ،
بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا »
صوابه فى هـ .

(٥) أنى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أنى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ووسمت « فصداه » بالألف
وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فصداه » ، مصححة .

أخرجها ، وهو في ذلك يتكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوت رفيع . وهو لورفع صوته ببيت شعرٍ أو بحرافةٍ ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند الحية سواً . وإنما يُشكر الصوت ، كما يُنكره الضب وغير ذلك من الوحش .

ثم قال :

كففت يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا من القَوْلِ حتَّى صدقتُ ما وعى لها
وأشعرتها نَفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعى النَّفثَ بالها^(١)
تسللتها من حيث أدركها الرّقى إلى الكفِّ لما سالت ، وانسلاها ٦٣
فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفثاً بليغاً فلو ترى *

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مِسْمَعٍ إني امرؤ من قَبِيلَةٍ بَنَى لِي عِزًّا مَوْتَهَا وحياتها
فلا تُلمَسِ الأَفْعَى يديك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سَفَاتِهَا^(٣)

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي يخاطب معقل بن خويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو الصواب في النسبة .

(٣) السقاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفي ط ، هـ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والمملود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية في الجميع ما عدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ (١) فَإِنَّ أَبِي شَمَّ سَفَاً وَجَارِهِ (٢)
والسفا : التراب اليابس بين الترين . يقال سَفَاً وَسَفَاةً .

(تمويه الحواء والراقي)

والحواء [و (٣)] الرَّاقي يُرَى (٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جِحْرًا (٥)
لم يَخْفَ عَلَيْهِ : أجحرج حية هو أم جحرج شيء غيره ، فإن كان جحرج حية
لم يخف عليه أمي فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقِيَ وَعَزَمَ فامتنعت من الخروج ،
وخاف أن تكون (٦) أفعى صماء لا تسمع ، وَإِذَا أَرَاغَهَا (٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأُ
لم يأمن من أن تنقره نقره (٨) لِيُفْلِحَ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى (٩)
بأن يشمَّ من تراب الجحرج ، فلا يخفى عليه : أمي أفعى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاها

لسكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزباني بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التي

يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقي أو الحارثي .

(٢) أي إن أبي الحية أن يخرج ، شم الحارثي تراب جحرجه ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب في ط . وفي س ، هـ : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحرج حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما في هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أي ما في داخل الجحرج . فله وجه . وأثبت ما في هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفي الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحرج مما قد يكون

به من الأفاعي الصم والمؤذية .

* يدعو به الحية في أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ریح الأفعى)

وزعم لى بعضُ الحوَّائين أنَّ للحياتِ نِتناً وسهكاً ، وأن ریح الأفعى معروفةٌ . وليس شئٌ أعلقَ ، ولا أعنقَ^(١) ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو ترابٍ ، وَأَنَّهُ^(٢) إذا شمَّ من طينة الجحر لم يخفَ عليه . وقال : اعتبرِ ذلك بهذا الطين السداني^(٣) والراهطي^(٤) إذا ألتى في الزعفران والسكفور ، أو غير ذلك من الطيب ، فإنه متى وُضع إلى جنب روثَةٍ أو عذرةٍ ، قبلَ ذلك الجسم .

والرِّقاء يومهم النَّاسَ إذا دَخَلَ دورهم لاستخراج الحياتِ أَنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فإذلك يأخذُ قصبَةً وَيَشعَبُ رأسها ، ثم يطعن بها في سقف البيت والزوايا ، ثم يشمها ويقول مرة : فيها حياتٌ ؛ ويقول مرَّةً : بلى ، فيها حياتٌ ، على قدر الطمع في القوم ، وفي عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأمرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرفُه في الوجوه عجب . فمن ذلك أن منه

(١) أى أسرع . ط : « أعلق » س ، ه : « اعتق » ولعل نصابهما ما أثبت .

(٢) ط ، ه : « فإنه » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيراني » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب

المعتمد في الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطي : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة

المشهوره : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها^(١) السُرُورُ فتقلُّ حتى ترقُص ، وحيَّ رُبَّمَا رمى الرَّجُلُ بنفسه من حائق^(٢) . وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكْمَد . ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يُغشَى على صاحبه ، كنعو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الملحنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك من قبيل المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الحوخ ، ف قيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدِّق به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .

(٢) الحائق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهج من كان يدرس الشيء من ذلك دسا رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتا يوافق نعتي بهض مافها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من للسريالية إلى العربية وهو الذى فسر كنافس القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى في ط ، س : « بكى » . وفى ه : « بكاء »

وفد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوَابُّ تُصَرُّ آذَانَهَا (١) إِذَا غَنَّى الْمَسْكَرِيُّ . وَالْإِبِلُ تُصَرُّ آذَانَهَا إِذَا حَدَا فِي آثَارِهَا الْحَادَى ، وَتَزْدَادُ نَشَاطًا ، وَتَزِيدُ فِي مَشْيِهَا (٢) . وَيَجْمَعُ (٣) بِهَا الصَّيَّادُونَ السَّمَكِ فِي حِظَائِرِهِمُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضِيَّ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ (٤) ، فَتُقْبَلُ أَجْنَاسُ السَّمَكِ شَاخِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْغِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحِظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلأسَدِ وَقَدْ أَقْبَلْتُ ، فَتُرْوَعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتُ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْأَيَّامُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ وَالْغَنَاءِ . وَهِيَ لَا تَنَامُ مَا دَامَتْ تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ حَاذِقِ الصَّوْتِ . فَيَشْغَلُونَهَا بِذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِهَا فَإِنْ رَأَوْهَا مَسْتَرْحِيَةً الْآذَانَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ قَاعَةً الْآذِينَ فَلَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ .

وَالصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبَدْوَرِ .

وَزَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إِذَا وَافَقَ سِبَاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرّت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لا يجوز في فعله إلا العذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العططة : تتابع الأصوات واختلاطها .

في أعلى الماء رمت بيضها^(١) قبل انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل^(٢)]
فتسمع^(٣) الرعد الشديد ، فيتعضل^(٤) عليها أيّاما بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العكلى : أحبُّ السحابة الخرساء ولا أحبها !
فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تحرس حتى تمتلئ ماءً وتصب صباً
كثيراً ، ويكون غيثاً طبقاً^(٥) . وفي ذلك الحياء^(٦) . إلا أن الكماة لا تكون
على قدر الغيث . ذهب إلى أن للرعد في الكماة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٧) : سألت كسرى عن الكماة فقيل له : لانكون
بالمطر دون الرعد ، ولا بالرعد دون المطر . قال : فقال كسرى : رشوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح^(٨) . وقد علم جعفر أن
كسرى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحية واحدة من جميع أجناس الحيوان الذى للصوت في طبعه عمل .

(١) ط . ه : « ببيضها » صوابه ، في س .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) في الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتمصل : يمس خروج . وفي الأصل : « يتمطل » ، تحريف .

(٥) طبقاً : أى مالنا للأرض مغشياً لها .

(٦) الحياء ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته في (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التملح : أن يأتي بغير مليم . وأصل ذلك في الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث

ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ،

وصوابه في س ، ه .

فاذا دنا الحوَاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوته حتى زيّد (١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجحر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنّ الحيّة خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنّ العامر أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنّ المعزم مطاع في العمّار . والعامّة أسرع شيء إلى التصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الرُّوح ، وفي (٢)] أنّ البدن هيكلٌ لها ، يقول سليمان الأعمى (٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريّ . وكانوا لا يشكون بأنّ سليمان هذا الأعمى ، كان من مُستجيبى (٤) بشار الأعمى ، وأنّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدّين . وهو الذي يقول :

٦٥

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ (٥) مُعْتَبَرًا لَطَلُوبِ الْعِلْمِ مُقْتَدِسِهِ

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدي في نسكت الهميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أي من قبلوا دعوته . ط ، ه : « محبى » س :

« مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « في » ساقطة من ط ، ه . وكلمة : « الجسم » هي في الأصل : « العلم » ولا يتجه بها للشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هي في ط فقط « معتبر » محرقة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْفُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ (١)
لَا تَعِظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَا يُعَدِّلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدْتَهُ (٢) كَفُّ مُغْبَرِسِهِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْمَعُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العرب تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رَطْبَةً .
قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لِبُوسَ لَهْمٍ تَقِيهِمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهْمٍ رِطَابٌ (٣)
بِأَيَّةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدَّيْكَ الْغَرَابُ
وَأُرْسِلَتِ الْحِمَامَةُ بَعْدَ سَبْعِ تَدَلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلْمَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَانِيَةٌ بِهَا الْمَاءُ الْعِبَابُ (٤)
فِجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ (٥)

(١) عرفه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، ه ونكت الهميان : « عرفه » صوابه في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، ه . وفي س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فَلَمَّا فَرَّسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ (١)
إِذَا مَاتَتْ تَوْرَثُهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْسِلَابُ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن
منادمة الذئك الغراب ، واشترط الحمامة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على
ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَفْعَى تَرَبَّيْتُ لَدَيْهِ وَذَى الْجَنِّيَّ أَرْسَلَهَا تَسَابُ (٢)
فَلَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ يَأْمَنُهَا وَلَا الْجَنِّيُّ أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً (٣) ، وهذا من خرافات
أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية (٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني
سأنتهيك لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً ديانياً (٥) ، وترجماناً ، وصاحب
كتب ، وكان من ذهابة أهل ذلك الدهر .

قال عدي بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف
دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل فسسخها الله عقوبة لها ،
حين طاوحت عدوه على وليه . فقال :

= (٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أي على القطف . وأما ضمير
« عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : رباها . والتربيب : التربية . وفي الأصل : « تربها » محرف . وانظر

لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ (١) وَكَانَ آخِرَهَا أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دَعَاهُ آدَمَ صَوْتًا فَاسْتَجَابَ لَهُ

٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا (٢)
مُتَمَّتَ أَوْرَثُهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وَزَوْجَهُ صَنَعَهُ مِنْ ضَلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرِ طَيْبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا (٣)
فَكَانَتْ الْحَيَّةُ الرَّقِشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا رَى نَاقَةَ فِي الْخُلُقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدًا لِلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نَهِيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كِلَاهِمَا خَاطَ إِذْ بُزَا لِبُوسِهِمَا مِنْ وَرَقِ النَّبْتِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غَزِيلَا (٤)
فَلَا طَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طَوْلَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا (٥)
تَمَشَى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْنَاوَانِ سَهَلَا (٦)

فَأَتَعَبَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا

وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا (٧)

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه في ه .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، ه . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بزأ لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، ه : « برا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لا طها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذا قال ربك لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لاتموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : ببق زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فأتعبا أبوانا » . ط فقط :

« فأبقيا » محرفة . وفي س ، ه : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفَى بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عَلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحياة)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوقِبَتْ بَعَشْرَ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ
بَعَشْرَ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضًا بَعَشْرَ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْاِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الطَّلَقُ ، ثُمَّ
التَّزْوُجُ^(٤) ثُمَّ بَقْنَاعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْمَى^(٦) وَالنَّفْسَاءَ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَصْرُ فِي الْبَيْوتِ^(٧) ، وَالْحَيْضُ ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

(١) الأحلام ، العقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى :

علا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقليل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر
التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصاصة أن تكون بعد تاليئها .

(٦) وحم المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحى من وحام ووحاى . ط ،
س : « الوحم » ه : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه (١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوامِّ والسباع ، ونسكد العيش ، وبتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعرى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطرف (٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشى على
بطنها ، وبإعراء جلدها - حتى يقال : « أعرى من حيَّة » وبشقِّ لسانها -
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لترهيم العقوبة - وبما ألقى عليها
من عداوة الناس ، وبمخافة الناس ، وبجعلها لها أوَّل ملعون من اللحم والدَّم ،
وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحيَّة وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حيَّة » . وأما الكذب فإنها تنطوى فى الرَّمْل
على الطَّرِيق وتُدخِلُ بعض جسديها فى الرَّمْل ، فتظهر كأنها طبَّقُ خيزُرَان ،
ومنها حيَّاتٌ بيضٌ قصارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها
طَوَّقٌ [أو (٣)] خلدخالٌ ، أو سوارٌ ذهبٌ أو فضةٌ - ولما تلقى على نفسها من
السُّبَاتِ (٤) ، ولما تظهر من الهَرَبِ من الناس . وكلَّ ذلك إِمَّا تَغْرُهُمْ
وتصطادُهُمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنائيات النظر . وفى س :

« وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وَعَوَّيْتُ الْأَرْضَ حِينَ شَرَبْتُ دَمَ ابْنِ آدَمَ ^(١) بِعَشْرِ خِصَالٍ :
أَنْبَتَ فِيهَا الشُّوكَ ، وَصَيَّرَ فِيهَا الْفِيأَفِ ، وَخَرَقَ فِيهَا الْبِحَارَ ، وَمَلَّحَ أَكْثَرَ
مَائِهَا ، وَخَلَقَ فِيهَا الْهُوَامَ وَالسَّبَّاعَ ، وَجَعَلَهَا قَرَارًا لِإِبْلِيسَ وَالْعَاصِينَ ،
وَجَعَلَ جَهَنَّمَ فِيهَا ، وَجَعَلَهَا لَا تَرْبِي ثَمَرَهَا إِلَّا فِي الْحَرِّ ، وَهِيَ تَعَذِّبُ بِهِمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلَهَا تَوَطُّأً بِالْأَخْفَافِ ، وَالْحَوَافِرِ ، وَالْأَطْلَافِ وَالْأَقْدَامِ ^(٢) ،
وَجَعَلَهَا مَالِحَةً الطَّعْمِ .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
قال : وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَبِي مَرْيَمَ الْحَنْفِيِّ ^(٣) :
« لَأَنَا أَشَدُّ لَكَ بُغْضًا مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ ! » .

وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيرًا من دماء
الإبل خاصة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جودة العسل من رداسته ، قَطَّرُوا عَلَى الْأَرْضِ

(١) هو الذي تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته في سورة
المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) في الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
في عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقيّة الحديث فيه : « قال :
أفتستنعي لذلك حقًا ؟ قال لا ! قال : لاضرير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت (١) كأنها قطعةُ زَبْقٍ ، ولم تأخذْ مِنَ الْأَرْضِ ولم تُعْطِهَا (٢) فهو المادىُّ الخالصُ الذَّهَبِيُّ . فإن كان فيه غشوشةٌ (٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدرُوا على اللحم الغريص (٤) دَفَنُوهُ وِغْرَقُوهُ فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجدوه غَضًّا طريًّا ؛ لأنَّه ذهبىُّ الطَّبَاعِ ، ليس بينه وبين سائر الأجرامِ شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذَّهَبُ إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنَّهم قد كانوا يقولون :
 إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيِّنَةً ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
 الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ . وقد قال العجاجُ ، أو رُوِّبه (٥) :
 أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطَيْنِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيراً ممَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّه قال : مكتوبٌ فى التوراة
 أنَّه إنما قال : « نجدُ فى الكتبِ » ، وهو إنما يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه
 من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل (٦)] كتب إشعياء (٧) [وغيره (٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريص : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفى أن الحيةَ قد كانت تسمعُ وتنطقُ ، يقول النَّابِغَةُ^(٢) فى المثل الذى ضَرَبَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يجبُ سَراحنا فيعذرنا من مُرَّةِ المتناصرة^(٤)
ليهنكم^(٥) أن قد نفيم^(٦) بيوتنا محلَّ عبِيدانِ المحلِّ باقره^(٧)

= فى التنبيه السابق : فن هذه للكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الديميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدي .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والديميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضه العرب على السنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى ه . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جازتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلِّ باقره » بكسر اللام من المحلِّ ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، ه : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لللاقٍ من ذوى الضغنِ نَكْبَةٌ بلا عثرةٍ والنفس لا بدَّ عاثرَه (١)
 كما لقيت ذات الصفا من حليفها
 وما انفكت الأمثالُ في الناسِ سائرة (٢)
 فقالت له : أدعوك للعقلِ وافرًا ولا تعشيني منك للظلمِ بادرَه (٣)
 فوائقها بالله حتى تراضيا فكانت تديه الجزع خفيا وظاهره (٤)
 فلما توفي العقلَ إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جأره (٥)
 تفكر أني يجمع الله شمله (٦) فيصبح ذا مال ويقتل واتره
 فظل على فأسٍ يحدُّ غرابها (٧) ليقتلها، والنفس للقتل حاذرة (٨)
 فلما وقاها الله ضربة فأسه والله عين لا تغمض ساهره (٩)
 فقال : تعالني نجعل الله بيننا على العقل حتى تنجزى لي آخره (١٠)

(١) الخزانة : « فإني لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ،
 وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز
 فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان :
 « وكانت تديه المال غيا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة
 أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفي العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أني يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .
 ورواية الشعراء : « تذكر أني يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميداني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميداني والسديوان :
 « مذكرة من المماول بآره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميداني : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالني نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزىها . س ، هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ (١)
أَبَى لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاكِهًا وَضَرْبَةً فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقْرِه (٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَّاتِ مَذَهَبَ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصخور والأشجار في ماضى الزمان)

وَأَنْشَدَنِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ :
فَكَانَ رَطْبِيًّا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا (٣) طَلَحُهَا وَسَيَّأُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْنَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
كَانَتْ خَضِيدًا (٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .
وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشُّوكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَّارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فقالت لعل يجعل » صوابه ، في ط والديوان والخزانة والميداني . ويرى :
« على المال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد
القسم كثير في كلامهم . وفي الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ .
وانظر لهذا البحث أمالي المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥)
والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيما ما أسلف إلى أخوك الذى قبره مواجهه لنا
وكان أخوه فيما زعموا - ضربها بفأس ، فانتمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان
والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن ألدع أو أن أضمن وفاءك
وصدق التعاهد والتوائق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار .

(٣) فى الأصل : « نضيدا » ، صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصل .
« خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنى مفعول وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقِ ، وكان أحدَ رواةِ والْحَامِلِينَ عنه - إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصُّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرِ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .
٦٩ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى عَلَيْهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاهَا ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحِجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَمَحْوٍ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلَقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة ^(٤) . ونعوذ بالله من الهذر والتكلف وانتحال ما لا أقوم به . أقول : إنه لولا مكان المتكلمين هلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكان المعتزلة هلكت العوامُّ من جميع النحل . فإن لم أقل : ولولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم هلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإني أقول : إنه قد أنهج لهم سبيلًا ، وفتق لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابًا ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وإن قدام إبراهيم عليه السلام أثرتا » ، ويكون صواب ما في ط :

« وإن قدامي » للخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الحججة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بدياً^(١) إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألا يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاحه لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السابقي إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابن هرّمة ، حيث يقول :

إنّ الحديثَ تغرّ القومَ خلوته حتّى يلجّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مجرٍّ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

- (١) بدياً : أى بدءاً . وفي الأصل : « ندباً » .
- (٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرّفة في الأصل ، فهى في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابى » .
- (٣) خلوته : أى أن يختلئ بعضهم ببعض لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « خلوته » بالخاء المهملّة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجبّد موضع الاستشهاد بهذا البيت .
- (٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وأمالي القائل (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍّ في الخلاءِ مسرُّ » ، يجعل « مسرُّ » اسم مفعول من « أسره » أى أفرجه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أن أعزَّ من نفسي ، عند غيبة خصمي ، وتصفح العلماء
لكلامي ، فإني أعلم أن فتنَةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدَّ من فتنَةِ النساءِ ، والحرص
على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ مني حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ،
أولُّ ذلك العلةُ الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ،
والرابعة أني لو تكلفت كتاباً في طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمَّ كان من
كتب العرَض والجوهر ، والطفرة^(١) ، والتولد^(٢) ، والمداخلة^(٣) ، والغرائز^(٤)

- = بلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
في (١ : ٨٨) .
- (١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما في الفصل (٥ : ٦٤) ،
وهي قوله : إن المسار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم
يقطعها هذا المسار ، ولا مر عليها ، ولا حاذها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ - ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س
٢ . وفي الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .
- (٢) التولد : مبحث كلامي ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهماً فجرح به إنساناً ، أو
غيره ، وفي حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجهادات ، فقالت
طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حي ، فهو فعل الإنسان والحي .
واختلفوا فيما تولد من غير حي ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام
فيه في كتابه (٥ : ٥٩ - ٦٠) . وانظر مذهب الجبائي والنظام في الفرق
١١٥ وبشر ، في الفرق ١٤٣ . وفي الأصل : « التوليد » وصوابه بما
سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .
- (٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل في حيز واحد . الفصل
(٥ : ٦٠ - ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .
- (٤) الغرائز ، أي الطبايع الموجودة في الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للفلح ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفزع فيه إلى تلقط الأشعار^(٢) ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ، وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تنسكرو ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنت لم أتمس به إلا إتمامك مواقع الحجج لله ، وتصاريف تدبيره ، وانذى أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - كما تعرضت لهذا المكروه .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من ياتمس لصاحبه الخارج ، ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (١٤ - ١٥) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ ساسي .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط هـ :

« التماس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أي ألبأ . وفي الأصل : « أفرع » محرقة . والتلقط : التقاط الشيء

من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلقظ » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
فلينظر فيه على مثال ما أذب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجميلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
والجرجسة (١) ، ألا تحقير تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما
عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك (٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و (٣)] من ذلك التدبير ،
كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوْحَادِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
وَطَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامر بن عبد قيس (٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصفار . ط : « الحرجسة » ، صوابه
في س ، ه .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جازر في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٢٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسى بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له .
 وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْمَدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فأحذر من أن تكون منهم ، ومن
 ينظر إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، ومن^(١) يبصرها بفتح العين واستماع
 الآذان ؛ ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه
 وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يعرض عنها . وقد
 قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
 وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
 كانوا صمماً بكماً وكانوا هم لا يعقلون ، لما عبرهم بذلك ، كما لم يعبر من خلقه
 معتوهاً كيف لم يعقل ، ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يلم^(٢)
 الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكن سمي البصير المتعاصي أعمى ، والسميع
 المتصائم^(٣) أصم ، والعاقل المتجامل جاهلاً .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
 انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيات الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
 من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانظُرْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، وانظرْ من الجهة التي دَلَّكَ مِنْهَا ، وخذْ ذلك بِقُوَّةٍ .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ (١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القَوْلُ إلى ما في الحيات من العِلْمِ والعِبْرَةِ ، والفائدةِ والحِكْمَةِ ؛ ولذلك قال أبو ذَرٍّ العِفْرائِيُّ : « لقد تَرَكَنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وما يَمُرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدنا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القولُ مُصَحِّحٌ عن أبي ذر ، ولم يَخْصَّ أبو ذرٍّ خَشاشَ الطَّيْرِ من بُغائِها وأحْرارِها ، ولا ما يَدْخُلُ في بابِ (٢) الهمج . وقد أريناك من تحقيق قولهِ طَرَفًا . ولعلك إن جمعتَ نظركَ إلى نظرنا ، أن (٣) تستمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ (٤) أَشِيرًا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ
وقال الأحنف : « ما منَ الناسِ أحدٌ إلا وقد تعلَّمتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأُمَّةِ الوَرْهَاءِ والعَبْدِ الأورَه (٥) » .

(أنواع الحيات)

والحياتُ مختلفاتُ الجهاتِ جدًّا ، وهى من الأُممِ التي يَكْثُرُ اختلافُ أجناسِها في الضَّررِ والسَّمِّ ، وفي الصَّغَرِ والعِظَمِ ، وفي التَّعَرُّضِ للنَّاسِ

-
- (١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبني إسرائيل . بقوة : يجد وعزيمة .
اذكروا ما فيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أو تفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب ط » : « باب هـ » ، وأثبت تصحيح ما فى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأوره : الأحقق ، والأثنى ورهء .

وفي الهرب منهم . ففنها مالا يؤذى إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قَدْ آذَوْهَا مَرَّةً .
وَأَمَّا الْأَسْوَدُ فَإِنَّهُ يُحْقِدُ وَيُطَالِبُ ، وَيَكْمُنُ (١) فِي الْمَتَاعِ حَتَّى يُدْرِكَ بِطَائِلَتِهِ .
وله زمانٌ يُقْتَلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ نَهَشَهُ .

وَأَمَّا الْأَفْعَى فَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا ، وَلَكِنَّمَا تَظْهَرُ فِي الصَّيْفِ مَعَ أَوَّلِ
الليل ، إِذَا سَكَنَ وَهَجُّ الرَّمْلِ وَظَاهِرُ الْأَرْضِ ؛ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ حَتَّى
تَسْتَدِيرَ وَتَطْحَنَ (٢) كَأَنَّهَا رَحَى ، ثُمَّ تُلْصِقُ بَدَنَهَا (٣) بِالْأَرْضِ وَتُشْخِصُ
رَأْسَهَا ، لثَلَا يُدْرِكُهَا السُّبَاتُ ؛ مَعْرَضَةً ، لِثَلَا يَطَّأُهَا إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ فَتَنْهَشَهُ .
كَأَنَّهَا تَرِيدُ أَلَّا تَنْهَشَ إِلَّا بِأَنْ يُتَعَرَّضَ (٤) لَهَا ، وَهِيَ قَدْ تَعَرَّضَتْ
لنَهَشِهِ بِاعْتِرَاضِهَا فِي الطَّرِيقِ وَتَنَاوُمِهَا عَلَيْهِ ! وَهِيَ مِنَ الْحَيَّاتِ الَّتِي تَرُصِدُ (٥)
وَتُوصَفُ بِذَلِكَ . قَالَ مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ (٦) :

أَبَا مَعْقِلٍ لَا تَوَطِّئَنَّكُمْ بَغَاضَتِي

رُمُوسَ الْأَفَاعِي فِي مَرَاصِدِهَا الْعُرْمِ (٧)

- (١) كُنْ يَكْمُنُ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ وَسَمِعَ : اسْتَخْفَى . س : « وَيَكْمُنُ » مَحْرَفَةٌ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَنْطَحِنُ » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . الْجَوْهَرِيُّ : طَحَنَتِ الْأَفْعَى : تَرَحَّتْ
وَاسْتَدَارَتْ ، فَهِيَ مَطْحَانٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :
بِخَرِشَاءِ مَطْحَانٍ كَأَنَّ فَحِيحَهَا إِذَا فَزَعَتْ مَاءَ هَرِيقٍ عَلَى بَجْرٍ
(٣) ط : « بَدَنِهَا » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ س ، ه .
(٤) ط : « يَتَعَرَّضُ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا كَتَبْتُ مِنْ س ، ه .
(٥) تَرُصِدُ : أَيِ تَكْمُنُ . وَالْمَرَاصِدُ : الْمَسْكَاةُ .
(٦) مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ يَالِيلِ الْهَذَلِيِّ ، شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ أَدْرَكَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَكَانَ أَبُوهُ رَفِيقَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى أِبْرَهَةَ . مَعْجَمُ الْمَرْزِبَانِيِّ
٣٧١ وَالْإِسَابَةُ ٨١٣٠ .
(٧) يُخَاطَبُ أَبَا مَعْقِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيْبَةَ ، كَمَا فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّ لِلْسُّكْرِيِّ ٣٨٣ تَحْقِيقٌ
فِرَاجٌ . وَالْبَغَاضَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْبَغْضُ . وَرَوَايَةُ الْأَسَانِ (رُصِدٌ ، بَغْضٌ ، عُرْمٌ)
وَالْمَخْضَرُمُ (٧ : ١٩٤) : « لَا تَوَطِّئَنَّكَ » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكلُّ منقطة^(٢) فهى عرّماء ،
من شاةٍ أو غير ذلك .
وقال آخر :

وكم طوت من حدشٍ وراصيدٍ للسفرِ فى أعلى البيات قاصدٍ
والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمانٍ . والشُّجاع^(٣) يواثبُ
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربّما بلغ رأسه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوّقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر - شىءٌ كأقاطيع الشياهِ إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وقّعت بين أرجلها كان
همتها نفسها ، ولم يكن لها همةٌ إلا التخلّصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء .
فإن نجت من وطء أيديها ، لم تنج من وطء أرجلها . وإن سلمت من واحدةٍ
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن كجأ ، وهو يصف إبله :

* تعرّض الحياتِ فى خِرشائها^(٤) *

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمرصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطة » ، تحريف . وفى المخصّص (٨ : ١١١) : « الحية العرّماء
التى فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رهوس الأفاعى فى مرابضها العرم *

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابهما « تفرش » . والتفرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عسامها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام (١) :

* تُعْجَلُهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَزِ (٢) *

ومن ذلك أن العُقْرَبَ تَقَعُ فِي يَدِ السَّنُورِ ، فِيلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ
وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخذيةٌ لا تضربه . والسنانير من الخلق الذي
لا تسرع (٣) السُّمُومُ فِيهِ .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربما باتت الأفعى عند رأس الرّجّل وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثر ما يوجد ذلك من القائض (٤) والراعى . قال الشاعر (٥) :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحبّ مستمع السرار (٦)
قال : الحبّ : الحبيب (٧) . والنضناض من الحيات : الذي يحرك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي . وهو كذلك لقب لنويع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائض . وانظر المؤلف ١٧٩ ومعجم المرزباني ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه . في الأصل : « المنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القائض : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما في اللسان (حب ، نضض) وأملى القائل (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحققي .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرار » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعي أنه سأله جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية للنضناض منه مكان الحب يستمع السرار
ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمَّة : ما النضناض ؟
فأخْرَجَ لسانه يحرِّكه (١) .

وإِذَا يَصِفُ الْقَانِصَ وَأَنَّهُ يَبِيْتُ بِالْفَقْرِ . ومثله قولُ أبي النجم (٢) :

تَحَكَّى لَنَا الْقَرْنَائُ فِي عِرْزِهَا جَرَى الرَّحَى تَجْرَى عَلَى ثِفَالِهَا (٣)
العِرْزَالُ (٤) : المِكَانُ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو وَجْرَةَ (٥) :

تَبِيْتُ جَارَتَهُ الْأَفْعَى وَسَامِرَهُ رُمْدٌ بِهِ عَاذِرٌ مِنْهُنَّ كَالْجَرْبِ (٦)
وَقَوْلُهُ : رُمْدٌ (٦) ، يَرِيدُ الْبَعُوضَ . وَعَاذِرٌ : أَثْرٌ (٧) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمي ، فلما أصبح يحيى

(١) في المخصص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه في فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروي للأعشى ، كما في اللسان .

(٣) الحية القرناء : التي لها لحتان في رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك في الأفاعي . هـ : « الفرما » س : « الغرما » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عزل ، قرن) . و « لنا » هي في ط : « بها » وفي اللسان : « له » . و « عزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاي . وفي الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثقال الرحي : الجلد يبسط تحتها ليق الطحين من التراب .

(٤) في الأصل : « الغروال » تحريف . وفي اللسان : « عزال الحية : جحرها » .

(٥) في الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاي المعجمة . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغاني (١١ : ٧٥) .

(٦) في الأصل : « ريد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما في اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد اعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعوذ بربى أن ترى لى صحتي يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ في ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربما باتت
في لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ في قيصه عامّة يومها ، فلا تلسعه .
فهى بالأفعى أشبهه .

فأما سائرُ العقاربِ فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فوّت^{٧٣}
كما يصنع المسمي الخائف للعقاب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغمى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كل أسود سألخ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدّث أبو إسحاق المكي قال : كان في دار نصر بن الحجاج السلمي

(١) السليم : اللدغ . وأراد معقوداً به حل التمام ، فقلب .

(٢) في الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : «العقارب» ، ضوابه في س ، ه .

عقاربُ إذا لسعت قتلت ، فذبّ ضيفٌ لهم على بعض أهل الدار فضربتهُ
عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرضُ به :
وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانَهَا أَقَامَ الْحُدُودَ بِهَا الْعُقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ عِقَابَهَا تَضْرِبُ^(١)
قال : فأدخلَ النَّاسُ بِهَا حَوَائِجَ ، وَحَكَّوْا لَهُ شَانَ تِلْكَ الْعِقَارِبِ ،
فقال : إن هذه العقارب تستقي من أسود ساليخ . ونظر إلى موضع في الدار
فقال : احفروا هاهنا . فحفروا عن أسودين : ذكرٍ وأنثى ، وللذكر خصيتان
ورأوا حول الذكر عقارب كثيرة فقتلواها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عباس حين راهنه عقرب بالشعر^(٢) ، وقيل
لسكلٌ واحدٍ منهما : لست في شيء حتى تغلب صاحبك . فقال الفضل :
قَدْ تَجَرَّ الْعُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامْرَحِبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) في المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفي محاضرات
الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الديرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد
هذا البيت :

فلا تأمن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب
(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل في المثل والتسويق ،
فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أنجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس
ابن عتبة بن أبي طيب ، من أشد الناس اقتضاه ، فاتفق أن عقرباً عامل الضر ،
وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبتة ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتي .
ه : « راهنته عقرب » ، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب)
وأمثال الميداني (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن
والمسوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنه .
وانظر الاستدراكات .

(٣) في اللسان وأمثال الميداني وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قه تجرت في سوقنا عقرب » .

كل عدوُّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ مُخْشَى من الدَّابِرَةِ (١)
كلُّ عدوٍّ كِيدُهُ في اسْتِهِ فغَيْرُ ذِي أَيْدٍ ولا ضَائِرَةٍ (٢)
قَدْ ضَاقَتِ العَقْرَبُ واسْتَيْقَنَتِ بَأَنَّ لادُنْيَا ولا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ العَقْرَبُ عُدْنَا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حَاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر (٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب اللبني الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَلَيْسَ لَهَا لَاتِبَالِي مَنْ ضَرَبْتُ ! » .

وقال الضبي : أنا عقربٌ ، أضربٌ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الجِرَّارَةُ (٥) بعسكرٍ مُكْرَمٍ (٦) ، أو بجنديسابور ،

- (١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أي
تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذي كيد ولا نائرة » . والنائرة : الحقد
والعداوة ، والسكائنة تقع بين القوم .
(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٧٧) .
(٤) في (٥ : ٣٥٣) : « القيني » .
(٥) الجرارة : ضرب من المقارب الصغار تجرر بأذناها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، ه .
(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأتنن ، حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو مُحْضَرٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أن الوخزة التي وُخِزَها كانت من جرارة .

وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حجّاماً ، يحجّم ذلك الموضع ويمصّه ، قبل أن يتفشى فيه السمُّ ويدخل تلك المداخل . فكان الحجّام لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرَ كثيرة . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحجّام في ذلك من الضرر . وذلك أن وجهه ربما اسماراً واربداً ، وربما عطلت مقاديم أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بُخار الدّم ، ومن ذلك السمِّ المخالط لذلك الدّم . ثمّ إنهم بعد ذلك حشّوا أذنان^(٢) المهاجم بالقطن ، فصار القطن لا يمنع قوّة المصّ والجذب ، ولم يدعّه يصل إلى فم الحجّام . ثمّ إنهم بعد مدّة سنّيات^(٣) أصابوا نبتةً في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عاجلوا الملسوعَ بها حسّنت حاله .

والجرّارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع النارية . وسمّها نار .

(١) خر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، ه .

(٣) جمع سنّية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهمله !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفي الأصل : « الأتاتين » بتونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلينِ فتقتلُ أحدهما
ويقتلها الآخرُ^(١) ، وربما نجت ولم تمت ، كما أنه ربما عقرت ولم تفت ،
ونجدها تضربُ رجلين في ساعةٍ واحدةٍ ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدها
تختلف مواضعُ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدر
مواضع الجسد . ونجدُ واحداً يعالج بالمسوس^(٢) فيحمده ، ونجد آخرَ يدخلُ
يده [في^(٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمده ، ونجد آخرَ
يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ،
ونجد كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ما يوافقه ، ثم إننا نجدُه يعاود ذلك
العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ،
وفي الزمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلف الذي وافقه على حسب
اختلافه .

وكان يقول : إن قولَ القائل في العقرب : شرُّ ماتكون حين تخرج
من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتون وبالها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion

وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣

وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) ط ، ه : « ما لاقاه » صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة - ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : في أوَّل ما تخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكثِّها في غير عالِمِنَا وغذائِنَا وأنفاسِنَا ومعاشِنَا .

(زعم العامة في المقرب)

والعامةُ زعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخوة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبي إسحاق . كأنَّهُ كان يَرى^(٢) أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخَنَ كان شرًّا .

ونحن نجدهم يصرُّخون مِنْ لسعتها اللَّيلَ كُلَّهُ ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلةٌ من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن .
وسمومها بالليل أشدُّ ، إلا أن يزعم أن أجوافَ الناس في برد الليل أسخن وفي حرِّ النهار أقر .

(الدساس)

وزعم لى بعضُ العلماء^(٣) ممن قد روى الكتب ، وهو في إرثٍ منها ، أن الحية التي يقال لها : الدساس^(٤) ، تلد ولا تبيض ؛ وأن أنثى النمر لم تضع نمرًا قط إلا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي التميمي : « الدسامة بفتح الدال : حية صماء تنس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أنّ الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطْرَةً صَيْفِيَّةً ،
فيستحيل بعضها أفاعي . فسمِعَ هذا الحديثَ مني بعضُ الرؤساءِ الطائِفينِ (١) ،
فزعم لي أنه عاينَ كمأةً ضخمةً فتأملها ، فإذا هي تتحركُ ، فنهض إليها
فقلعها ، فإذا هي أفعى . هذا ما حَدَّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله
من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنّ الوزغة والحيات تأكلُ الأحمَ والعُشب .
وزعم أنّ الحيات أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلّة شربِ الماء .
وأنّ الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا
شمّت ريحَ السّذاب ، وربّما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها
وقد سكرت .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشب .
وزعم أنّ الحيات تسلخُ جلودها في أوّل الرّبيع ، عند خروجها من
أعشّتها (٢) وفي أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أي تندفن . وفي اللسان : « أبو عمرو : الدساس من
الحيات الذي لا يدرى أي طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس في التراب
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . وانظر لولادة الدساس ، مافي
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت مافي س ، ه .

(١) جمع طائي ، نسبة إلى قبيلة طيى على الشذوذ . س : « الكمايين » ه :
« الكماين » . وكنت حسبها : « الكمايين » لكن وجدت تعقيب
الجاحظ لايسف بهذا .

(٢) المعروف في جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة - كعنية - فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .

وهي تسلخُ من جلودها في يومٍ وليلةٍ من الرأس إلى الذَّنْب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسلخ الجنينُ من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المحزَّز^(٣) الجسد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبْر^(٤) وكذلك السَّرطان ، يسَلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسلخ جلودها مراراً .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامة الحيوان : أمَّا الطير فتحسيراها^(٥) ، وأمَّا ذوات الحوافر فسَلخها عقائقها^(٦) ، [وسلخ الإبل طرحُ أوبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسلخ الأيائل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير الممهود استعمال العش لجر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جملة هنا للحية ، كما جملة أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يبيئُ عشه ووكره ، ذا سبعة أجمرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

- (١) بتقديم النون على الباء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون ما لهم : ما يقومون عليه » .
- (٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .
- (٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المحزَّز » .
- (٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .
- (٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيراها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ما سبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .
- (٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .
- (٧) هذه التكلمة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبةٌ تنسلخُ فتصيرُ فراشةً . وقال الطِّرِمَاحُ شعراً :
وتجرَّدَ الأسرُوعُ واطَّرَدَ السَّفَاً وجرت بِجَالِيهَا الحِدَابُ القَرَدَدُ (١)
وانسابَ حَيَاتُ الكَثِيبِ وأقْبَلَتِ وَرُقُ القُرَاشِ لما يَشُبُّ الموقِدُ (٢)
يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوصُ ينسلخُ ، فيصيرُ إمَّا بعوضةً وإمَّا فراشةً .

(انسلخ البرغوث)

وزعم ثمامةٌ عن يحيى بن برمك (٣) أنَّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وأنَّ البعوضة التي من سلخ دعووص ربَّما انسلخت (٤) برغوفاً .
والمثل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّرُ خَلْقُها ، وذلك هو سلخها . وهُلِكُها
يحين عند طيراتها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حذب ، وهو ما أشرف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجندج

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه بيا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه
بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجِزُ (١) :

* مَلْعُونَةٌ تَسْلَخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ (٢) *

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّبَاعِ ذواتِ الأربَعِ ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدانِ ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ (٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقاربِ نَصِيِّينَ (٤) ، وثعابينِ مصر ، وهِنْدِيَّاتِ (٥) الخرابات .

وفى الشَّبَثانِ (٦) ، والرَّزَّابِرِ ، والرُّتِيَّلاتِ (٧) ما يقتل . فأما الطَّبُوعُ (٨)
فإنَّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمجِ (٩) أذى لا يبلغُ ذلك .

(١) هو عوف بن ذروة ، كافي نوادر أبي زيد الأنصاري ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما ساقى في (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقيل البيت :
* من كل سفاء القفا والحدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هذرايات » وأثبت صوابه من ه .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من المعناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كنتور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة مثنتة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Gimex . وفى الأصل : « اللسخ » محرقة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر ، يُخْرَج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال : والأَيْلُ إذا ألتى قُروَنَه علم أَنَّهُ قد ألقى سلاحَه ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أَنَّهُ يُطَلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أَوَّلَ ما ينبت قرْنُه يعرّضُه
للسمس ؛ ليصلب ويجف . وإن لدغت الأَيْلَ حَيَّةَ أَكل السَّرَاطِينِ ؛ فلذلك
نَظَنُّ أَن السَّرَاطِينِ صالحةٌ لِلدَّبِغِ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأَيْلِ ولدًا أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ^(١) أَن
المشيمة شئٌ يتداوى به من علة النفاس .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هربت^(٢) دفعت جِراءَهَا^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيبتها ، وإذا تُلِحَتْ^(٤) صعِدَتْ في الشجر وحملت
معها جِراءَهَا .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كافي ه .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجِراءُ : جمع جِرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لطفه وألقته : أدركه . وقرئ في القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهد إذا عراه الذاء الذي يقال له : « خانق الفهود » أكل العذرة فبرى منه (١) .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .
قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر (٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغترًا جليًا .
وقد فعلت ذلك مرارًا ، وربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصغتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح .
قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغم ، فإنه يذبحها (٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق « بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، ه : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما في س .

(١) وجاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زيل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتى فى (٥ : ٣٢٠) .

٧٧ وزعم أن القنافذ لا ينفخ عليها شيء من جهة الريح وتحولها وهبوبها ،
وأنه كان بقسطنطينية رجل يقدم ويعظم ؛ لأنه كان يعرف هبوب
الريح ويخبرهم ^(١) بذلك . وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من
هيئة القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيون الحمر للعرض المفاقر ، كعين الغضبان ، وعين السكران ،
وعين الكلب ، وعين الرميد .

(العيون الذهبية)

والعيون الذهبية : عيون ^(٢) أصناف البزاة من بين العقاب ^(٣) إلى الزرق .

(العيون التي تسرج بالليل)

والعيون التي تسرج بالليل : عيون الأسد ، وعيون النور ، وعيون
السنانير ، وعيون الأفاعي ^(٤) .

(خبز وشعر في العين)

قال أبو حية :

غضابٌ يُشِيرُونَ الدُّحُولَ ، عِيُونُهُمْ كَجَمْرِ الغَضَى ذَكَيْتُهُ فَنُوقَدًا ^(٥)

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، ه : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو النار . س ، ه : « الدحول » صوابه =

وقال آخر^(١) :

وَمَدَجَّجٍ يَسْعَى بِشِكَّتِهِ
مَحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ^(٢)
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحارِ العبدى : يا أحمَر ! قال : والذهب أحمَر ! قال :
يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !
وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ سُكَّلَةٍ عَيْنِهَا
كَذَاكَ عِتَاقُ الطيرِ سُكْلٌ عُيُونُهَا^(٣)
وقال آخر :

وَسُكَّلَةٌ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا
لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَايَ وَمَسْمَعًا^(٤)

= في ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكوبه وتزيد اشتعالا . ط ، هـ :
« ذكيتنه » ، ووجهه ما أثبت من ص .

(١) انظر ماسبق في (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الميم وفتحها ، كما في المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين .
وأراد به التنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة :
السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ لبيسك :

ومدججا يسمى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه .
وسيماد البيت فى (٥ : ٢٣٠) .

(٤) هـ : « لو خيبت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية .
والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كحلاء ، وهي أبصرُ بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضيائهما)

وفي حمرة العينين وضيائهما يقول محمد بن ذؤيب العُمانيُّ ، في صفة

الأسد :

أَجْرًا مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَمَّاسٍ^(٦) عَضَنْفَرٍ مَضْبِرٍّ رَهَّاسٍ^(٧)

(١) المغرب ، بفتح المراء : الأبيض . ه : « الغرب » س : « العذب »
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، ه :
« الأسجر » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقه إحلى العينين وسواد الأخرى . ه : « والأحتف »
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفي الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذي يطأ
الأرض وطناً شديداً .

مَنَاعُ أُخْيَاسٍ إِلَى أُخْيَاسٍ (١) كَأَمَّا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ (٢)

* شِعَاعٌ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ (٣) *

وقال المرار :

* مِثْلُ مَا وَقَدَّ عَيْنَيْهِ الشَّجَرُ (٤) *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحية ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبّ والحية والورل : فَحَّ يَفْحُ فحياً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّي فِلا أَفْرَقَ أَنْ تَفِحِّي (٥) وَأَنْ تَرَحِّي كَرَحِّي المَرِحِّي (٦)

أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحَّ (٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الْأَبْحِ (٨)

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى

مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس »
صوابهما في ه .

(٢) أي في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شملة النار تقبّس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدوره :

* حنق قد وقدت عيناه لي *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « يا حي

لا أفرق » ، أي يا حية .

(٦) يقال رحح الحية ترحو ، وترحت ترحى : إذا استدارت . وأما رحح ترحى

بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا ينفي صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى .

وهذا البيت وما قبله سيمادان في (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هي في الأصل : « أصبح » تحريف .

ورواية اللسان : « يكاد من تمنح وأح » . قال : « يصف رجلاً بنحيل إذا

سئل تمنح وسعل » .

(٨) النشر ، محرّكة : الممن القوى . والأبح : السذى غلظ صوته من داء .

ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحية من فيها . والكشيش والكشيش (١) :
صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاجزُ (٢) في صفة الشَّخْبِ
والحَلْبِ :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضٍ حراءٍ منها شَخْبَةٌ بالمُخْضِ (٣)
لَيْسَتْ بِذَاتِ وَبَرٍّ مَبِيضٌ كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا المَرْفُضُ (٤)
* كَشِيشٌ أَفْعَى أَجْمَعْتُ لَعَضُ (٥) *

ويقال للضَّبِّ والورل : كَشَّ يَكْشُ كَشِيشًا . وأنشد أبو الجراح :
رَى الضَّبَّ إِن لَمْ يَرْهَبِ الضَّبُّ غَيْرَهُ يَكْشُ لَهُ مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُهُ (٦)

بَاب

من ضرب المثل للرجل الداهية وللحي الممتنع بالحية

قال ذو الإصبع العَدَوَانِيُّ :

عَدِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدَوَانٍ كَانُوا حِيَّةَ الأَرْضِ (٧)

(١) في الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتز بن قطبة ، كما في تاج العروس (كشش) .

(٣) حراء : أي ناقة حراء .

(٤) المرفض : الذي يتتابع سيلانه وترشته . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »
صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكتاب
١٢٥ والاقطصاب ٣٤٥ والسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو الغزم على الشيء . وفي الكتاب : « فأجموا أمرم » .
س ، ه : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :
* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقطصاب وأمال الزجاجي ١٢٠ والسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعي في خشى أشخما

(٦) في الأصل : « مستنكرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بَعْضُهُمْ ظَلَمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضٍ (١)
 وفيهم كانت السادات والموفون بالقرض (٢)
 يقال: «فلان حية الوادي»، و«ماهو إلا صيل أصلال (٣)». والصِّلُ:
 للداهية والحية. قال النابغة:

ماذا رزئنا به من حية ذكر
 نضناضة بالرزايا، صيل أصلال (٤)
 وقال آخر:

صِلُّ صفًا تنطف أنيابه سمام ذيفان مجيرات (٥)
 وقال آخر (٦):

مُطْرَقٌ يرشح سماءً ، كما أطرقَ أفعى ينفض السمَّ صِلُّ
 ومن أمثالهم: «صمى صمام (٧)» و«صمى ابنة الجبل (٨)» وهي الحية.

- (١) روايته في حاسة البحري ١٦٩: «بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا» .
 (٢) القرض: ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول:
 هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلهما. وفي ذلك
 المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما في ط، ه.
 والشعراء ٦٩٠.
 (٣) ويقال ضل أصلال، كما في اللسان (ضلل) والمزهر (١: ٢٢٣).
 (٤) رزئنا به: أصبنا. وفي ط، ه: «رأينا» وس: «رأيت»، وصوابه
 من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميداني (١: ٢٤). من
 حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التي تحرك لسانها. أدتها ناظراً لفظ الموصوف.
 (٥) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنظف»، صوابه في س، ه.
 والسمام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم الناتج.
 (٦) هو تأبطشرا، كما سبق في (٣: ٦٨) والحامسة (١: ٣٤١)، وشرحها
 (٢: ١٦٠ - ١٦١).
 (٧) صم يصم، بفتح الصاد قيمها. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل
 يأتي بالداهية. اللسان وأمثال الميداني (١: ٣٦٢).
 (٨) ابنة الجبل: الحية. أي لا تجيبى الراقي ودوى على حالك. يضرب للفريقين إذا أبيا
 الصلح ولجا في الخلاف. أمثال الميداني. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة،
 والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونادى بها : صَمِي ابْنَةُ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولههم : جاء بأم الرُّبَيْقِ على أَرَيْقِ)

ومن أمثالهم : « جاء بأمَّ الرُّبَيْقِ على أَرَيْقِ^(٢) » أمُّ الرُّبَيْقِ : إحدى

الحيات . وأَرَيْقِ : أمُّ الطَّبَقِ^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩
من الحيات قال :

إذا وجدتَ بوادِ حِيَّةٍ ذَكَرًا

فأذهبْ ودَغْنِي أمارسُ حيةَ الوادِي^(٤)

(١) يقول : إذا لقي السفير السفير ، فأخر الفاعل ، و «ها» و «لها» يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا فشل السفيران المنتديان - بكرم الدال - للصلح وفض النزاع ، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نهي إليه المنصور :

قد طرقت ببيكرها أم طبق فذسروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترجيها وتحويلها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلتسه . و « أريق » من الحيات ، كما في قول المعجاج :

وقد رأى دوني من تهجسي أم الربيق والأريق الأزمن

بدلالة قوله : « الأزمن » وهو الذي له زئمة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شيء .

ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى في المخصص (١٦ : ١٠١) : « [١٥] رأيت ... الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة » ، يعنى (١) الصبي الذى يدرج ويتناول كل شىء سنح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركيه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله (٢) فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفسٍ وعينٍ لامة (٣) » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاعَ وذو الرأى (٤) الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبتت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا (٥)

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٢٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أى القامة - الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فرجما أتى على بعض الهوام ، كالمعرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ لإسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) الامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : التقبيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

كَلْفْتَمُونَا رَجَالَا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْيَسْرُ (١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عَدَّتْ خِصَالَهُمْ خَصْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا (٢)
 قَدْ أَنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَمَّهُمْ بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالنَّذْرُ (٣)
 يَأْتُوا رُقُودًا عَلَى الْأَمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا (٤)
 نَمَّتْ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءَ حَيَّتَهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةَ الذَّكْرُ (٥)

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وما أكثر ما يذكر حية الماء ؛ لأن حيات الماء (٦) فيها تفاوت .
 إما أن تكون لا تضر كبير ضرر ، وإما أن تكون أقتل من الحيات
 والأفاعى .

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه
 بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أن يدخلوا قداحه في قداحهم ، فيفعلون
 ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعي
 قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال
 الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتمونا ، وليسوا منا ولا نحن منهم ،
 كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق
 السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، صوابهما ما أثبت من الديوان
 والميسر والقداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قروا » ، صوابه في ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديات يؤخذون بها ولا يكون لهم إيجاب ما قروا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النثر من الأرض ، أو ما تخفض منها في سهولة

واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأماط ليلهم » ولبله .

(٥) في الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هي في الأصل : « المساء » مخرفة . وفي الأصل : « حية » .

(الهنديّات)

ويقال إنَّ الهنديّات^(١) إنما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ؛ لأنَّها تُحمَلُ في القُضْبِ^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلاً شديداً ، فربما فتحَ رأسَ كُرْزِه^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد^(٤) ، وقد ضَرَبَه برُدِّ السَّحَرِ ، وقد
تراكم بعضه على بعض ؛ لأنَّها موصوفةٌ بالصَّرْدِ^(٥) .

والحياتُ توصفُ بالصَّرْدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك

قال الشاعر^(٦) :

- (١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديّات » مصحف .
- (٢) أي في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علقت الحيات
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .
- (٣) الكرز ، بالضم وتقدم الراء : ضرب من الجوائق ، أو هو الخرج الكبير يحمل
فيه الراعي زاده ومثاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كنده » وهما
تحريف ما أثبت .
- (٤) كلمة « لذى » هي فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتي إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فرما » الآتية .
- (٥) من صرد ، كفرح : وجد للبرد سريعاً .
- (٦) هو صخر بن الجهد الحضري ، كما في نقد الشعر ٤٣ والأغاني (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من خدير يملك له جنان ، وبحضرتة أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكي ، وقال
الشعر الآتي .

بليت كما يبلى الوكاه ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلق^(١)
 ألوى حيازيمى بن صباية كما تتلوى الحية المشرق^(٢)
 وإنما تشرق إذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .
 وربما اجترف صاحب الكرز الجراد^(٤) ، فأدخله كرزَه ، وفيه الأفعى وأسودُّ
 صالح ، حتى يُنقل ذلك إلى الدور ، وربما لقي الناس منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمر ، فى شعره المزوج :

يا عجباً والدهر ذو عجائب من شاهدٍ وقلبه كالغائب
 وحاطب يحطب في بجاده^(٥) فى ظلمة الليل وفى سواده
 يحطب^(٦) فى بجاده الأيم الذكر والأسود السالخ مكره النظر

(شعر فى حية الماء)

فمن ذكر حية الماء ، عبد الله بن همام السلولى فقال :

كحية الماء لانتحاش من أحدٍ صلب المراس إذا ما حلت النطق^(٧)

(١) الوكاه ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .
 والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق
 فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التى يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « للجراد » وفى س : « فرما احترف » محرفان .

(٥) البيجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت للنطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :

جمع نطق ، وهو شبه إزار فية تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خَوْصُ الْعِيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا نَفَصَدْنَا مِنْ حَرِّ الصَّيَّاخِيدِ (١)
وَكُلُّهُنَّ تَبَارَى نِسَى مُطْرِدٍ كحبةِ الماءِ وَلِيَّ غَيْرِ مَطْرُودٍ (٢)

وقال الأخطل :

ضفادعُ في ظِلِّمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فدل عليها صوتها حَيَّةُ الْبَحْرِ (٣)

وقال أيضاً :

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِذَةُ الْعُدْرِ
فإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالِ مُذْبَذَبٌ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو النَّسَاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مِنْعَنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ (٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى (٥) وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَرَكْتَ حَيَّاتُنَا لَكَ حَيَّةً تَحْرُكُ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ (٦)

وقال نَفِيعٌ (٧) [يعيره (٨)] بالكُحَيْلِ (٩) :

(١) يقول : تلك الإبِلُ الغائرةُ العيونُ تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حرِّ الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصّد أصلُ معناه الهلاك ،
وأراد به تغييرها بعد السمن .

(٢) أي كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشْر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار الحاربي ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « تقيع » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها

تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكم بديجة غرقت فما أشبهت قتلى حنين ولا بدر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بديجة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة والحضر^(٢)
ولو كنتم حيات بحر لكنتم

٨١

غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في الغمر^(٤)

(ما يشبه بالأيام)

فالأيام الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية المحدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالأيام ؛ لأن الحية الذكر ليس له غيب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .
قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » ، وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كذات الكحيل »
س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء معطبة .
هـ : « تقومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدي : « يلبون » من ألب
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : ما فوق الحضر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتيق . انظر المزهري (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر^(١)
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدري^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكفَّات أوردني حوضَ المنيَّة قتالٍ لئن علقا^(٣)
 أصمُّ منهرتُ الشدقين ملتبداً لم يُغذَّ إلا المنايا من لدن خُلِقا^(٤)
 كأن عينيه مسماران^(٥) من ذهبٍ جلاهما مدوسُ التَّلاقِ فاثلقا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابن ميادة :

- (١) السَّعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .
- (٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .
- (٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه ، « السفاة » ، صوابه في س .
- (٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يغذ » صوابهما ما أثبت .
- (٥) في الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخبء . وقد ذكر الدميري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .
- (٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها ممن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتلاق : تفعلال من ألق ، بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! واثلقا : لمعا وبرقا . وفي الأصل : « فابثقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأنَّ عيونَ القومِ في نبضة الجمرِ (١)
وفي حمرة العين من جهة الحلقة ، يقول أبو قردودة ، في ابن عمارة (٢)
حين قتله النعمان :

إني نهيتُ ابنَ عمَّارٍ وقلتُ له : لا تأمننَّ أحمرَ العينينِ والشعرة
إنَّ الملوكَ متى تنزلُ بساحتهمْ تطرُّ بنارك من نيرانهم شرَّره
ياجفنة كإزاء الحوض قد هدمتْ ومنطقاً مثلَ وشي اليمنة الحبرة (٣)

(معرفة في الحية)

وأكثرُ ما يذكرون من (٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لجا :
* يلزق بالصخر لزوق الأرقم * .

وقال آخر :

ورقع أولى القوم وقع خرادل (٥) ووقع نبال مثل وقع الأساويد

(١) ط ، س : « القراري » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حين حديثه فحمله
على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ،
قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبان ٢٣٦
ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد الطعام جفنة ؛ لأنه يضحها ويطعم الناس فيها . اللسان
(جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أن الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى (١) » .

(أمثالٌ وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ (٢) » وهى التى تحرى (٣) ، وكلمتا
كبرت فى السن صغُرَتْ فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شِدَّةِ اسوداد
أسود سالخ :

مُهَرَّتِ الأَشْدَاقَ عَوْدٍ قَدْ كَمَلْ (٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعَلْ (٥)
وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبَعَانِ (٦) :

وأعور من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ (٧)

٨٢

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان - وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام - يعظ اليهود مبشراً بهيمى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالخاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كبرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه

للمبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النهافى ، واسمه عدى بن أوس ، أو سمحة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية

هذا البيت :

رَفَعَتْ لَهُ مَشْبُوبَةٌ يَلْتَوِي بِهَا يَكَادُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
فَلَمَّا اسْتَوَى جَنبَاهُ لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
قال : ويقال : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كما يقال : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وقال الراجز :

* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) *

وقال آخر^(٤) :

أَسْوَدُ شَرَى لاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَساقَوْا عَلَي حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ^(٥)

- = وأعور من نهبان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور
كما هو عند الآمدي والمرزباني وفي الديوان ٢٦٥ . والذي أوهم الجاحظ ذلك
أن في القصيدة بيتا آخر ، يروي بهذه الرواية التي أثبتها ، ولكن موضعه
في نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ من ٣ ، ٥ .
- (١) مشبوبة : أي ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا
جاءت الرواية هنا . وهي في الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .
- (٢) استوى جنباه : أي برزا من امتلائهما . في الأصل : « استوت » محرفة . لاعب
ظله : أي جعل ذلك النهاني يلاعب ظله مما طراً عليه من السرور . وضهير « ظله »
راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .
وفي الأصل : « عروض أفاعي الحالتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية
في الديوان .
- (٣) الأسحم : الأسود . وفي الأصل : « الأشجع » ، صوابه في (٦ : ٤٣٩) . وفي الديرى
« فأما العقاب فهنا السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .
- (٤) هو الأشهب بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨
ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .
- (٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة في سواد
الكوفة . هـ : « حفية » بالخاء المهملة صوابه في ط ، س والمراجع المتقدمة
وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد :
الغضب . وروى في المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش .
وقبل البيت :

ضَرَبَ المَثَلَ بِمَجْنِسِينَ مِنَ الأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا (١) عِنْدَهُ الغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سَمُومِ الحَبَّاتِ .

(مَا إِشْبَهَهُ بِالأَسْوَدِ)

وَفِي هَوْلِ مَنْظَرِ الأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ (٢) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ نُ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَحَقِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ (٣)
وَالصَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِخٍ لِأَبْلِ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ الأَسْوَدُ (٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الغَايَةَ شَبَّهُوا بِالأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ العَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنَّ أَمْرًا نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ (٥)
وَلَا فَاحِمٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزْهَاهَا لَعِينِكَ أَبْطَحٌ (٦)

= وَإِنَّ الذِّي حَانَتْ بِفَلَجٍ دَمَاؤُهُمْ هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أَمَّ خَالِدٍ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذِّي يَتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفِّ لَاتِنُوهُ بِسَاعِدِ

- (١) فِي الأَصْلِ : « كَانَ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .
(٢) هُوَ حَسْبِيلُ بْنُ عَرَفَةَ ، الذِّي تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انظُرْ نَوَادِرَ
أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيَوَانَ المَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .
(٣) النَافِجَةُ ، بِالْجَمِّ بَعْدَ الفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الأَصْلِ وَكَذَا دِيَوَانَ المَعَانِي :
« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النَوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الأَصْلِ :
« قَلْبٌ » صَوَابُهُ مِنَ المَرَاجِعِ المُتَقَدِّمَةِ .
(٤) مَكَانٌ : « أَحَبَّهُمَا » بِيَاضٍ فِي س .
(٥) التَّوْفَلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الأَمْتِشَاطِ ، وَفَسَّرَهُ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَّخِذُهُ نِسَاءُ
الأَعْرَابِ مِنْ صَوْفٍ يَكُونُ فِي غَلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْتَشِي وَيَعْطَفُ ، فَتَضَمُّهُ
المرأةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَحْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرِوَايَةُ الدِّيَوَانَ وَالسَّانِ : « عَلَى للرَّأْسِ
بِعَنَى » . وَالتَّرَائِبُ . جَمْعُ تَرِيْبَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ القَلَادَةِ . وَضَحٌ : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ
بِعَمَى مُشْرَقَةٌ .
(٦) الأَبْطَحُ : بَطْنٌ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ . الدِّيَوَانَ : « لَعِينِكَ » ، وَالسَّانِ :
« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحٌ » .

(استطراد لغوى)

قال : والحرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها ،
وجماعة الحراشي^(٢) ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحية : سلخها حين تسلخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضِبُوا يَغْضِبُ لِيَذَا كَمْ كَمَا يَنْسَلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يروون أن تعليق الحلى ، وخشخشة الخلاخيل على السليم ، مما
لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقال زيد الحلي :

أيم يكون النعل منه ضجيجه كما علقت فوق السليم الخلاخيل^(٤)
وخبزنى خالد بن عقبة ، من بنى سلمة بن الأكوع ، وهو من بنى
المسيح ، أن رجلاً من حزن ، من بنى عذرة ، يسمّى أسباط ، قال في تعليقهم
الحلى على السليم :

-
- (١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .
(٢) جماعه : أى جمعه . وفي ط ، ه : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الحراشي » هى فى ط ، س : « الحراش » وفى ه :
« الحراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .
(٣) س : « تنسلخ » . وخرشاء ، هى مقصورة فى الأصل ، والصواب مدها ، كما فى المفضليات
٢٤٠ والمقصود والمدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .
(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلل ، ذاك الحلى . وكان العرب يلقون الجلاجل
أيضاً على اللديع ، جمع ججل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرقت فلم تطعم لي العين مهجعاً وبث كما بات السليم مقرعاً (١)
كأني سليم ناله كلم حية ترى حوله حلّى النساء مرصعاً (٢)
وقال الذبياني :

٨٣

فبت كأني ساورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
يسهد من ليل التمام سليمها حلّى النساء في يديه قعاقع
(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين ترجع إليه نفسه . وهو قول النابغة :
تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع^(٤)
وقال العبدى^(٥) - إن كان قاله - :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلّى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعاً ، بالتخفيف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .
(٢) مرصعاً : معقوداً . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهي صحيحة
من وضع الباني الحجر ، بالتشديد : تضد بعضه على بعض .
(٣) في التاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق -
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم - وطلق ذليق ، رطاق ذلق بضمين ، وكصرد
وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . في الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والسكامل
٥٠٧ ليسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين ويكسرهما ، بمعنى
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور في البيت السابق ، والمعنى
تحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا أخ
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنتن مأكولا فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق =

تَبَيَّتْ أَلْمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعُدُنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)

وَأُنشِدُ :

تُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)

وَالْعِدَادُ : الْوَقْتُ . يَقَالُ : إِنْ تَلَّكَ الْأَسْعَةُ لَتَعَادَهُ (٣) : إِذَا عَادَهُ الْوَجَعُ

فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

(حَدِيثُ الْحَمَلِ الْمَصْلِيِّ)

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمَلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،

الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَنَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنْ تَلَّكَ الْأَكْلَةُ

لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدني » س : « تفديني » هـ : « تعديني » ، وصوابه ما أثبت من

الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية في المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاق من

تذكر » . وقد أتحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من

تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل

داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعادته » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ،

لا لحم . وتأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبية

والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة

سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف

(٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل

لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة

(غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف

الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية

في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري » . =

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقي^(١) البيض .

(ما يشبهه بلسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعي يؤخذ الترياق الذي
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعي . قال كثير :
وما زالت رقاك تسأل ضغني ومخرج من مكامنها ضبابي^(٤)
وترقييني لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول في مرضه الذي توفي فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الغرقي ، كزبرج : القشرة المتزقة ببياض البيض .

(٢) في الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، ه : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والسكر ، وهو الضغن والعداوة .

وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصناعتين

٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد

لهذين البيتين .

(٥) ترقيني ، كذا في الأصل ، وهي صحيحة . وفي السكتاب : « إلا الذي آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حججتُ فإنا لنى وَقَعَةَ مَعَ قوم (١) نزلوا منزلنا (٢) ، ومعنا امرأة ، فنامت (٣) فانتهت وحيّة منطوية عليها ، قد جمعتُ رأسها مع ذنبها بين ثدييها (٤) ، فها لها ذلك وأزعجنا ، فلم نزلْ منطويةً عليها لا تُضُرُّها بشيء ، حتّى دخلنا أنصاب الحرم (٥) ، فانسابتُ فدخلتُ مكة ، ففحصينا نسكنا وانصرفنا ، حتّى إذا كنّا بالمكان الذى انطوتُ عليها فيه الحيّة ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتُ فنامتُ واستيقظتُ ، فإذا الحيّة منطويةً عليها ، ثم صَفَرَتُ الحيّة فإذا الوادى يسيلُ حياثٍ عليها ، فنهشتها حتّى نَقَتُ (٦) عظامها ، فقلتُ لجاريةٍ كانت لها : وَيْحَكَ ! ٨٤ أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغتُ ثلاثَ مرّاتٍ ، كلَّ مرّةٍ تأتى بولدٍ ، فإذا وضعته سَجرتُ التَّنُّورُ (٧) ، ثم ألقته فيه .

- = بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت في ص ١٩٣ . والرواية في المراجع : « ويريقي » . والحاوون : جمع حاو . وفي ط ، س : « الخادون » . وه : « الخاؤون » محرفان ، صوابهما في المراجع المتقدمة .
- (١) الوقعة ، بالفتح : النوم في آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه في ه .
- (٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ه : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .
- (٣) س : « فقامت » .
- (٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .
- (٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما في القاموس واللسان .
- (٦) نق العظم نقياً : استخراج نقيه . والتقى بالكسر : مخ للعظام .
- (٧) سجرت التنور : أهميته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : البوقود . وفي الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال: ونظرت امرأة إلى عليّ، والزبير، وطلحة، رضى الله تعالى عنهم، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا، فقالت: من هذا الذى كأنه أرقم يتلمظ؟ قيل لها: الزبير. قالت: فمن هذا الذى كأنه كسير ثم جبر^(١)؟ قيل لها: عليّ. قالت: فمن هذا الذى كأن وجهه ديناراً هرقل^(٢)؟ قيل لها: طلحة.

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد: نهشت أنهشُ نهشاً. والنهش: هو تناولك الشيء بفيك، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه. وكذلك نهش الحية. وأما نهش السبع فتناوله من الذابئة بفيه، ثم يقطع ما أخذ منه فوه. ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣)، وهو انتزاع اللحم بالثنايا؛ للأكل. ويقال نشطت العقد نشطاً: إذا عقدته بأرشوة^(٤). ونشطت الإبلُ تنشطُ نشطاً: إذا ذهبت على هدى أو غير هدى، نزعاً أو غير نزع. ونشطته الحية فهي

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن، أفضس الأنف، دقيق الذراعين. المعارف ٩١.

(٢) الدينار الهرقل نسبة إلى هرقل. قال الأب أنستاس ماري في حواشي النقود العربية ٢٥: «وكان ذهبه من أحسن الذهب، وشكله حسناً بديعاً». وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة في عيون الأخبار (٤: ٢٥) برواية أخرى.

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النس) فقالوا: نهش اللحم: أخذه بأضراسه. ونهسه: أخذه بأطراف الأسنان. وسوى بعضهم بينهما.

(٤) الأنشطة، بالضم: عقدة يسهل انحلالها. ط، هـ «بالنشوة»، صوابه في س. وفي اللسان: «ونشطت العمد: إذا عقدته بأنشوة».

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضَهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكَزُهُ نَكَزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا (١) . فَالْتَنْكَزُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . وَيُقَالُ : نَشَطَتْهُ شَعُوبٌ نَشْطًا (٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة آسمية النهيش بالسالم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرة (٣) . قال ابن ميادة :

كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرَّقَاةِ سَلِيمٌ

(شعر في الحية)

وَمَا يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ

الْقَيْبِيِّ (٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ (٥) أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحِجَّاجِ تَغْرِيرُ

-
- (١) في الأصل : « فيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .
(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أي تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .
(٣) الطيرة ، كعنية : ما يتشاهم به من الفأل الرديء . فالعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نهبان بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتسب بقر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتبي » وصوابه من المؤلف ٢٤ . ودن نسخة كوبرلي الجزء السابع . وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الأمدى :

* إني لأعلم والأقدار غالبية *

لَنْ ذَهَبَتْ^(١) إِلَى الْحِجَاكِ يَقْتُلُنِي إِنِّي لِأَحِقُّ مِنْ مُخَدِّي بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحِقًّا صُحْفًا تَدْمِي طَوَائِعَهَا^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَاكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ: يقال للحية الذكر أيم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْنَ وَلَيْنَ ، وَهَيْنَ وَهَيْنَ . قال الشاعر^(٣) :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ دَوُو يَسِرٍ سَوَاسُ مَكْرَمَةِ أُنْبَاءِ أَيْسَارِ
وَأُنْشِدُ فِي تَخْفِيفِ الْأَيْمِ وَتَشْدِيدِهِ^(٤) :

وَلَقَدْ وَرَدَتْ الْمَاءَ لَمْ تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرَدَ أَيْمٍ مَتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الآملي :

* لَنْ حدى بي *

(٢) استحقب الشيء : حمله في مؤخرة الرجل . ط : « مستحليا » س :
« مستحفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤلف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرهما ، وهو الخاتم الذى يختم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابها
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه في (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته في :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلي ، كما في ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأما القائل (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقيل البيت ، كما في
تنبيه البكري ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة جلد القوى في كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهي

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » في البيت الآتي . وروى في الأمالي ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هى في الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عمر ، صيف ،
غضف) والامالي .

الصَّيْفُ ، يعني مَطَرُ الصَّيْفِ (١) . والعواسر : يعني ذئابا رافعة أذناها : ٨٥
والمراط : السهام التي قد تمرط ريشها . ومُعَيِدَةٌ : يعني معاودة للورد .
يقول هو مكانٌ لخلائه (٢) يكون فيه الحياتُ ، وتَرَدُّه الذَّئَابُ . ومتغصِّفٌ
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تنفي الحيَّة .

وأُشْدُّ لابن هند (٣) :

أودى بأُمَّ سُلَيْمَى لاطى لَيْدٌ كحِيَّةٍ مَنْطَوٍ من بين أحجار (٤)
وقال محمد بن سعيد (٥) :

قريحة لم تدنِّها السَّيَاط ولم تورَّدَ هِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرٍ (٦)
كنطوى الحِيَّةِ النَّضْناضِ مكمنها في الصَّدْرِ ما لم يهيجها على زورٍ
الليث لَيْثٍ منسوبٌ أَظافره (٧) والحِيَّةِ الصَّلُّ نَجْلُ الحِيَّةِ الذَّكْرِ

(١) في الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) في الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القائل : « هذه المسكان لخلائه ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا تردم الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما في العقد (٦ : ١٢٧) .

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفي العقد : « بحب سليم » ، وهو الصواب .

(٥) ط ، ه : « سعد » ، وأثبت ما في س . وقد ذكر المرزباني من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمي ، وهو عربي بغدادى وأُشْدُّ له الأبيات التي أولها :
سأشكر عمراً إن تراخت مني أيادي لم تمن وإن هي جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، في الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التي ينعمها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراقاً : أى أوردها المساء مزدهجة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نعص الدخال

وفي الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه في س ، ه .

وقال ذو الرمة :

وأحوى كأيام المضال أطرقَ بعدما حبا تحت فينانٍ من الظلِّ وارفٍ (١)

قال : ويقال انبست الحيات (٢) : إذا تفرقت وكثرت . وذلك عند

إقبال الصيف . قال أبو النجم :

* وانبست حيات الكئيب الأهيل (٣) *

وقال الطرمّاح :

وتجرّد الأسروعُ وأطرّد السّفا وجرت بجاليها الحداب القرّد (٤)

وانساب حيات الكئيب وأقبلت ورق الفراش لما يشب الموقد (٥)

قال : ويقال جبا عليه الأسود من جحره : إذا فاجأه . وهو جبا

جبتاً وجبوا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وما أنا من ريب المنون بجبا وما أنا من سيب الإله بيأس (٦)

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبست ، بالسین ، كما فى س واللسان . وفى ط ، ه : « أنبست » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من ه .

(٣) ط ، ه : « وانبست » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكئيب » صوابه فى ه . والكئيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش » ، وتصحيح الرواية ما سبق فى ص ٢٢٥ .

(٦) الجبا ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبیيات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فغطَّ إنياءك . كأنهم يرون أن الجنَّ تشرعُ فيه^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود^(٣) لعمر ، حين سأله وقد استهوته الجنَّ : ما كان طعامهم ؟ قال : الرِّمَّةُ . يريد العظم البالي . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجَدَفُ . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخَمَّرُ^(٤) .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلا في اللبن . وأما النَّاسُ فيذهبون إلى أن الحَيَّات تشرع^(٥) في اللبن ، وكذلك سامُّ أبرص ، وكذلك الحَيَّات تشرع في كثير من المرق .

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث : « لا تبيئوا في المعصفر^(٦) ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

- = (١٦ : ١٢) : « فأنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى في المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإله بآيس » ، على القلب .
- (١) محتضر : يحضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقد أنك » محرف .
- (٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفي الأصل : « تشرع فيه » ، مصحف .
- (٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .
- (٤) لا يخمر : أى لا يغطى .
- (٥) في الأصل : « تشرع » . وانظر ما سبق قريباً .
- (٦) المعصفر : المصبوغ بالمعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « المعصفر » ، صوابه في س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)

أَجْبُنَا فِي الْكَرِيمَةِ حِينَ تَلَقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخَلَاءِ !!

فَلَوْلَا اللهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبَوْلُ عَوَّجَلًا بِالْحِصَاءِ

وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا يَا^(٤)

فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَنْوُؤُ بِخَصْرِهَا وَعِثًا رَوَادِفُهُ وَأَخْتَمٌ نَاتِيًا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجنون .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلي إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : التميمص . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تعيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغاني والمختار . وفى س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأختم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتيا . ورواية الأغاني والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقَبِّضًا رِخَّوًا حَمائلَهُ وَجَلْدًا بِأَلْيَا (١)
أَدْنَى لَهُ الرِّكَبِ الحَلِيقَ كَأَنَّمَا أَدْنَى إِلَيْهِ عَتَارِبًا وَأَفَاعِيَا (٢)
وقال آخر (٣) :

مَرِيضَةٌ أَتْنَاءَ التَّهَادَى كَأَنَّمَا تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أَنْ تَقْطَعَا (٤)
تَسِيْبَ انْسِيَابِ الأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدى يَرْفَعُ مِنْ أَطْرَافِهِ مَا تَرْفَعُنَا (٥)

(شعر في العقربان)

وقال إياسُ بنُ الأَرْتِ (٦) :

كَأَنَّ مَرَعَى أَمَّكُمْ سَوَوَّةَ عَقْرَبَةٍ يَكُومُهَا عَقْرَبَانٌ (٧)

- (١) في المختار : « منتشر العجان مقلصا » ، و الأغاني : « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :
- ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتني وطردت أم عياليا
- (٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنان في المختار .
- (٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .
- (٤) التهادى : مشى في تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في سن ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحماسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلبن المشية ودقة الخصر .
- (٥) يقول : تتدافع في السير تتدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهى في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعاني : « فرفع من أعطافه » .
- (٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .
- (٧) مرعى : اسم أهمهم . يكومها : يخاطبها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلها زَوَلٌ وفي شَوَلها وَخَزُ حَدِيدٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانُ (١)
كلُّ امرئٍ قد يُتَّقَى مُقْبِلاً وَأُمَّكُمْ قد تُتَّقَى بِالْعِجَانِ (٢)
وقال آخرٌ (٣) لَمْضِيفِهِ :

تَبِيتُ تَدَهْدُهُ الْقِدَانُ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرُبَانُ (٤)
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلاً سَمِيناً شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانٌ (٥)

= ويسمها العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميا علماء الإفرنج : Centipede .
وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده .
وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرني المقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاي : طعن لا يتخذ .
حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه في ط والحاسة .
وفي س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآق هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها
مثناة تحية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزباني في معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته في (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
نزل في البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرأ وأسقاه لبناً وقام
يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآق . وقبل البيت الأول :

خبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزباني . وقد روى القالي في أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام
يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآق .

(٤) يدهله : يدحرج أو يقلب بمضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ،
كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بمضه في إثر
بعض . والمقربان سبق شرحه في التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالي
في شرح هذا البيت : « واختلفوا في المقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزباني .
ورواية القالي :

فلو أطعمتني خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فلو يستطيعون دبّت لنا مَذَاكى الأفاعى وأطفأها^(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أمرٌ وُلاقِ السُّوءِ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ^(٢) عَلَيْهِم حَيَّةٌ ذَكَرُ

ذو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الحَيَّاتُ صَوْلَتَه عَفُّ الشَّمَائِلِ قَدُّشَدَّتْ لَهُ المِرْرُ^(٣)

لَمْ يَأْتَهُمْ خَبْرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَن نَفْسِهِ الخَبْرُ

وقال بشار :

تَزَلُّ القَوَافى عَن لِسَانى كَأَنَّهَا حُمَاتِ الأَفَاعى رِيَقَهُنَّ قَضَاءُ^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدِ كانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُم شَجَاعٍ لَهُ نَابٌ حَديدٌ وَمُخْلِيبٌ^(٦)

أَخٍ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلَهُ لَوْ عَصَصْتُمْ رُمُوسِ الأَفَاعى عَضَّ لا يَتَيْبُ^(٧)

٨٧

(١) المَذَاكى : جمع المذكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسمن من كل شيء .

(٢) كَذَا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحيات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حمة »

محذف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : ه :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاه

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لمضغتم » ، وبذا يضطرب نبح البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعيُّ الوليد، في ذكر الأسودِ بالسَّمِّ من بين الحياتِ :

فإنَّ أنتَ أقررتَ الغدَاةَ بِدِسْبِي عُرْفَتُ وَإِلَّا كُنْتُ فَقْعًا بِقَرَدَدِ (١)

ويشمتُ أعداءُ ويجذَلُ كاشحُ عَمَرْتُ لَهُمْ سَمًّا عَلَى رَأْسِ أَسْوَدِ (٢)

وقال آخر :

ومعشرٍ منقَعٍ لِي فِي صُدُورِهِمْ سَمُّ الْأَسْوَدِ يَغْلِي فِي الْمَوَاعِيدِ

وسمَّتْهُمُ بِالْقَوَافِي فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ وَسَمَّ الْمَعِيدِيَّ أَعْنَاقَ الْمَقَاحِدِ (٣)

وقال أبو الأسود (٤) :

لَيْتَكَ آذَنْتَنِي بِوَاحِدَةٍ جَعَلْتَهَا مِنْكَ آخِرَ الْأَبْدِ (٥)

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء مما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أي لو شكرتم فعله لشارككم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تفحمت الصعبة لتتحمها معكم .

(١) الفقع : كدأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميداني (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطننة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أي أبقيت للأعداء .

(٣) أي جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعيد » بتشديد الباء الموحدة المسكورة ، وهو الذي يعيد الإبل ، أي يطيئها بالقطران ليعالج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعدي نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأديباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقدة (٣ : ٢٩٧) إلى أبي زيد . وصواب نسبه أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغاني (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكفى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهري (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلي البصري ، أول من أسس للنحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعياً . انظر بقية نعته في بغية الوعاة ٢٧٤ . توفي سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ أَلَّا تَبْرَنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي (١)
إِنَّ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ (٢)
وَقَالَ أَبُو السَّفَّاحِ (٣) يَرْتِي أُنْحَاهُ يَحْيَى بْنُ عَمِيرَةَ (٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشَّجَاعِ (٥) :
يَعْتَدُو فَلَآ تَكْذِبُ شِدَاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بُوَادِي السَّبَاعِ
يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاةً مَعًا نَمَّتْ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشَّجَاعِ (٦)
وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَّمَا (٧)
وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيْطٍ (٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ (٩) :

شَمُوسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

- (١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .
(٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحه » . و صواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .
(٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
(٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريع ، يرفى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزنة الأدب (٢ : ٥٢٧ بولاق) .
(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
(٦) ينباع : يثب ويسطو .
(٧) روى : « وأطرق » في حناسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١ : ٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المعنى الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزباني ٢١٣) :
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَابِيهِ الشَّجَاعِ لَقَدِ أَرَمَ
(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .
(٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الدرّى وأغدو على همّي وإن بت طأويًا
 ولأني أهض الضيم مني بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قد بنى ليا (١)
 وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابئةٌ مستوية ، فإن أنكرت شيئاً
 فدشطتها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أراي بطوى الحسّ وذات قرنين طحون الضرّس (٢)
 نضاضةٍ مثل انشاء المرّس (٣) تدير عيناً كشهاب القبس
 لما التقينا بمضيقٍ شكس (٤) حتى قنصت قرنها بخمس (٥)
 وهم يتهاجون بأكل الأفاعي والحيات . قال الشاعر :

فأياكم والرّيف لا تقرّبته فإن لديه الموت والحتم قاضياً
 هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم حلولٌ تشتوون الأفاعياً
 وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولما فقدت الصّوت منهم وأظفئت مصاييح شبت بالعشاء وأنور (٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) في الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الديمري .

(٣) المرّس ، وأصله المرّس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفي الأصل :
 « الررس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) في اللسان .

(٥) أي بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفي س : ط : « قبوتها »
 وصوابها في هـ .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد في الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
 وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند
 الهيثمي (١ : ٣١٨) .

وغاب قميرٌ كنت أرجو مغيبه وروح رعيان وهومٌ سمرٌ
ونفضت عنى الليل^(١) أقبلت مشية الـ حجاب ، وركنى خيفة القوم أزور^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضرب كلثوم بن عمرو المثل بسم الأسود ، فقال ^(٤) :

تلوم على ترك الغنى ^(٥) باهلية ^(٦) طوى الدهر عنها كل طرفٍ وتاليد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكساء^(٧)

مقلدة أجيادها بالقلائد

يسرك أئى نلت ما نال جعفر من الملك ، أو ما نال يحيى بن خالد^(٨)

(١) يروى : « ونفضت عنى العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيّب والطف . ورواية العبنى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحجاب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا

منصور النرى قد أخذ الأموال ، فحل نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ،

وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ،

ويذكر عاقبة حجة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر

الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون

الأخبار (١ : ٢٣١) والمقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج

الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحامدة ابن الشجرى ١٤٠

ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، ه : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » ه : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفر بن محمد بن خالد البرمكى ، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَىٰ نِي مَعْصَمًا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَارِدِ! (١)
ذَرِينِي تَجْنِسْنِي مِيتِي مُطْمَئِنَّةً وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ (٢) تَلِكِ الْوَارِدِ
فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ (٣)

(حيات الجبل)

وفي التشنيع لحيات الجبل ، يقول اللعين المنقري (٤) * لرؤية
ابن العجاج (٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصه مؤسفة ، رويها المسعودي في مروج الذهب .
وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
(١) أغضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
والفرر وعيون الأخبار وحاسة ابن الشجري والأغاني : « أغصني مفضهما » .
والمرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة ، لا تتثنى .
وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قلى
وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحاسة
ابن الشجري والمروج والزهر . وفي العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيعات المعالي » ،
والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحاسة : « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد :
« وجدت لذاذات الحياة » ، والأغاني : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعاني
(١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى في حماسه ص ٨ البيتين منسوبين إلى المسكبر الضبسي . والعين المنقري
سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والعين ٢ :
٤٠٤ منسوباً إلى العين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُوبُ ، والحية الصماء في الجبل (١)
أبا الأراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الأراجيز جلب اللوم والكسل (٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثني ابن أبي طرفة (٣) ، قال : مرَّ قومٌ حجاجٌ من أهل
الين مع المساء ، برجلٍ من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسأله القرى ،
فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مسقاة ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقتنا
حق قرانا ! فأخذ القرية فتقلدها يسقيهم ، فهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب (٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكمته (٥) حية فمات ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعلمت (٦) أن كل شيء لا أعرف
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته (٧) .

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى للبحري : « إن كنت
تنكرني » . قوله : « والحية الصماء » أي وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحري : « أبا لأراجيز » . في س ، ط :
« يوعدن » صوابه في هـ وحماسة البحري . وروى : « خلت اللوم والفشل » برفع اللوم
والفشل ، على الإقواء . وعند البحري : « إن الأراجيز رأس اللوم والفشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختناث فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشرب منه . وفي الأصل : « اجتنث »
بدل : « اجتنث » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منسأ . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكمته الحية : لدغته .

(٦) في الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلة أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه
يحمل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سلخِ الحيةِ :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ (١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَائِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّهِ الرَّأْسَ وَنَهَشَ الرَّجْلَيْنِ (٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهِزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أن السِّلخَ للحيةِ مثلُ البزُولِ والقروحِ للخفِّ والحافرِ .
قال : وليس ينسلخ إلا بعد سنين كثيرة ، ولم يقفوا من السنين
على حدِّ .

وزعم بعضهم أن الحيةَ تسَلخُ في كلِّ عامٍ مرَّتينِ - والسَلخُ في الحياتِ
كالتَّحسيرِ من الطيرِ - وأنَّ الطيرَ لا تجتمع قوياً إلا بعد التحسيرِ وتنام
نباتِ الرِّيشِ . وكذلك الحيةُ ، تضعفُ في أيامِ السِّلخِ ثمَّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيُّ : أخبرني أبو رفاعة (٣) ، شيخٌ من أهل البادية ، قال :
رأيتُ في المنامُ كأنِّي أتخطى حياتٍ . ففطرت السماء ، فجعلت أتخطى سيولاً .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، ه : « أبو رفاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

(شعر للعرجي والشماخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنهوش :

وأشربَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمِيًّا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي المِسْوَعِ سَمُّ العَقَّارِبِ
وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُدوعِ

الصَّخْرِ ، فقال :

تَنَاتَى بَلِيلٌ ذُو سَعَاءِ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظٌ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا^(٣)
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابِسِ إِذَا الرِّيْحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
أَبْرًا عَلَى الحُوءِ^(٤) حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَاهُ^(٥) مَحَامَاةً مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) للermاء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاء ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشرط ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فإنه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت للنايف ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشبحاً سامعاً ، ثمّ إنها إذا بُعثت لم تَأُلْ إِلَّا تَقَدُّماً^(١)
قال : ويقال : تطوّت^(٢) الحية . وأنشد العرجي :

ذكرتني إذ حيةٌ قد تطوّتُ برقا عند عرسه في الثياب^(٣)
وقال الشماخ ، أو البعيث^(٤) :

وأطرق إطراق الشجاع وقد جرى على حدّ نأبيه الذعافُ المسمّم^(٥)

(ما ينبح من الحيوان)

والأجناس التي تُذكرُ بالنباح : الكلب ، والحية ، والظبيُّ إذا
أسنَّ ، وألهدهد . وقد كتبنا ذلك مرة ثمّ^(٦) .

قال أبو النجم :

والأسد قد تسمعُ من زئيرها وبانت^(٧) الأنفى على محفورها
تأسيرها يحتكُ في تأسيرها^(٨) مرّ الرّحى تجرى على شعيرها

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية ما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصبين
محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .

(٤) ليس البيت في ديوان الشماخ .

(٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنباح الهدهد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التأسير ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،
وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هي في الأصل « يحتك » بالنون .
وصوابه ما أثبت .

كَرْعَدَةَ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا (١) تَضْرُمُ الْقَصَبَاءَ فِي تَنُورِهَا (٢)
تَوْقِرُ النَّفْسَ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا
• فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا •

(قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وسنذكر مسألةً وجوابها . وذلك أن ناساً زعموا أن جميع الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير ، وشيء يمشى ، وشيء يعوم ، وشيء ينساح .
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروب الخلق ، ثم قَصَرَ عن الشيء الذي وَضَعَ عليه كَلَامُهُ (٣) ، فلم يذكر ما يطير وما يعوم . ثم جعل ما ينساح ، مثل الحيات والديدان ، مما يمشى ، والمشى لا يكون إلا برجل ، كما أن العَضَّ لا يكون إلا بفم ، والرَّمْحُ لا يكون إلا بحافر . وذكر ما يمشى على أربع ، وهاهنا دوابُّ كثيرة تمشى

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجراء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباة بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كعممة الأباة المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاء » و : ه :

« الغضا » و س : « القصباء » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن تفقّد قوائمَ
السّرطانِ وبناتِ وِرْدَانَ ، وأصنافَ العناكبِ - عرّف ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التّأويلِ وحدّه . فما الدّليلُ على أنّه
وضع كلامه في استقصاءِ أصنافِ القوائمِ ؟ وبأى حُجّةٍ جرّمتهم على ذلك ؟
وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَوَّذَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشّياطينِ والنّارِ لهم آكلٍ ، وعدابهم بها أشدّ . فترك ذِكْرَهُم من غيرِ
نسيانٍ ، وعلى أنّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزّ وجلّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١) ، أخرج
من هذا العموم عيسى بنَ مريمَ ، وقد قصّد في مخرج هذا الكلام [إلى (٢)]
جميعِ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدّهِرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أدخَلَ فيها آدمَ وحواءَ . ثم قال على صلة الكلام :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحواءَ
وعيسى بنَ مريمَ . وحسُن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَع على جميع ما تعرفه
التّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللفظِ . فقلوه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (٣) كان على
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنّ كلَّ شيءٍ يمشى على أربع فهو مما يمشى على
رجلين ، والذي يمشى على ثمان هو مما يمشى على أربع ، وعلى رجلين .

٩١

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشى على أربع » في ط ،
س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في ه .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبّرت أنّ لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إنّ المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فينبغي أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ؛ لأنّ السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفي هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أما وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشاعر : « ما هوَ إلا كأنه حية » ، و : « كأن مشيته مشية حية » يصفون ذلك ، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكور الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنّه أجره مجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه بفسدٍ بعيرٍ ، وطعنه فى سنامه ، وقال : « هذا فصدّه^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفي هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفسد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفضلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميداني (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إنّ أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عزة فأمرته أم منزله أن يفسد لها ناقة ، فنحرها ، فلانته على نحره إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعني تمرًا (١) فكان تمرى كهرةً وزبرًا (٢)

وذم بعضهم (٣) الفأر وذكر سوء أثرها في بيته ، فقال :

يا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بالعقابِ لِعامراتِ البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرجل ، « مانرى من خيرك

ورفدك إلا ما يبلغنا من حطبك (٤) علينا ، وقتك في أعضادنا (٥) ! »

وقال النابغة في شبيه هذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتابِ

ووجه آخر : أن الأعراب تزعم - وكذلك قال ناسٌ من الحوَّاثين

والرقائين - إن للحية حزوزا (٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت حزوزه (٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عمير » ، والحيوان (٥ : ٢٢) :

« قالت أفاطم عميرا » . وروى في الخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني

عميم تمرًا » ، وهي رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عميم :

تصغير عم . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . وللزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٥ :

٢٥٨) وديوان المعاني (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفي اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .

وفي الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « حطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا

بتكلف . وما يبلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) نت في ضده : رام لإصراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .

ط : « وقتك » صوابه في س ، ه والبيان . وفي ط ، ه : « أعضادنا »

صوابه في س والبيان .

(٦) ط ، س : « حزوزا » صوابه في ه .

(٧) ط ، س : « حروزه » صوابه في ه .

وإذا تَرَكَ المشيَ تراجعت إلى مكانها ، وعادت تلك المواضع مُلْساً . ولم
تُوجَدَ بعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلغها إلا كلُّ حَوَاكٍ دَقِيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربيِّ ؛ فإنه يظهرها كالدُّلو ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجع ذلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروق الكَلَى^(١) إلى المئانة التي يجرى فيها
الحصى المتولد في الكَلِيَّةِ إذا قَدَفْتَهُ^(٢) تلك العروق^(٣) إلى المئانة ، فإذا
بال إنسانٍ انصمت العروقُ واتصلت بأماكنها ، والتحمت حتى كان
موضعها كسأراً ما جاوز تلك الأماكن .

ووجه آخر : وهو أن هذا الكلام عربيٌّ فصيحٌ ؛ إذ كان الذي جاء به
عربياً فصيحاً ، ولو لم يكن قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثم كان كلامَ
الذي جاء به ، وكان ممن يجهل اللحنَ ولا يعرف مواضع الأسماء في لغته ،
لكان هذا - خاصةً - مما لا يجمله .

فلو أننا لم نجعل لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً في نبوةٍ ، ولا مزينةً
في البيان والفصاحة ، لكننا لا نجد بُدّاً من أن نعلم أنه كواحدٍ من الفصحاء .
فهل يجوز عندكم أن يخطيء أحدٌ منهم في مثل هذا في حديثٍ ، أو وصفٍ ،
أو خطبةٍ أو رسالةٍ ، فيزعم^(٤) أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك
الذي قال^(٥) ليس من لغته ولا من لغة أهله ؟ ! فعلومٌ عند هذا الجواب ،
وعند ما قبله ، أن تأويلكم هذا خطأ .

(١) ط : « الكلا » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت في ط ، س بالألف .
وفي هـ : « الحصى » صوابهما ما أثبت . وفي الأصل : « قذفها » بدل : « قذفته » .

(٣) في الأصل : « في تلك العروق » . والوجه حذف « في » كما أثبت .

(٤) في الأصل : « فزعم » .

(٥) أي الذي قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وحلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾
وأصحابُ الجنة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأيِّ شئٍ يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ماشغلهم إلا في افتضاضِ الأبكار ، وأكلِ فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان
على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
من جهة الحلبة ^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِيَّيْكَ أَسْأَلُكَ عَنِ
الْحَيْلِ ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئِلَ عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشياً . وقد صدَّق القرآن ، وصدق
المفسِّر ، ولم يتناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرُ
ذهبَ إلى الموجودِ ، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رُوِيَ عن عمر أنَّه قال : « مُتَمَتِّعَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَى عَنْهُمَا وَأَضْرَبُ عَلَيْهِمَا (٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباسية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَا سْتَمْتِعْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتَّوَهَّنَّ
أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » ، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويطبّقون^(١) إذا ركعوا ، فنهى
عن ذلك إمام من الأئمة ، وضرَبَ عليه ، بعد أن أظهرَ النَّسخ ، وعرفهم
أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلًا قال : أتناها عن شيء ، وقد كان على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدّم الاحتجاج^{٩٣}
في النَّاسخ والمنسوخ^(٢) .

ومن العجب أن ناسًا جعلوا هذا القول على المنبر من عيوبه . فإن
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما في الأرض أجهل من عمر حين يُظهِرُ
الكُفْرَ في الإسلام على منبر الجماعة ، وهو إنما علاه بالإسلام . ثمَّ في شيء
ليس له حُجَّةٌ فيه ولا علة . وأعجبُ منه تلك الأمة ، وتلك الجماعة [التي^(٣)]
لم تنكِرْ تلك الكلمة في حياته ، ولا بعدَ موته ؛ ثمَّ تركَ ذلك جميعُ
التَّابعين وأتباعِ التَّابعين ، حتى أفضى الأمرُ إلى أهلِ دهرنا هذا .
وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُمان على أن سيّر رجلاً^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قوله
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يضيعون » ، وهو تحريف صوابه عما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثمَّ أمروا بإلغاق الكفين
رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبو ذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عُمان ، وسيره إلى الربرة ، وهي من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ اللَّيْلِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْسَ الْمَهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونحى ^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكلِّ لصٍ في الأرض ، ولكلِّ خائن في الأرض : دونك ؛ فقد أبيحت لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جعل لها خزائن وخزنة . وإلّا هذا على مثال ما ذكرنا . وهذا كثيرٌ في كلام العرب .

والآي التي ذكرنا في صدق هذا الجواب ، كلها حُججٌ على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين ^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ .
واسم أبي ذر جنذب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فترسكب الكبيرة إذا لم يبق فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

يَرُونَ الْمَوْتَ دُونِي أَنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًّا لِنَابِيهِ ذُبَابٌ^(١)
مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفِ طُودٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقُوته الذُّنَابُ^(٤)
كَأَنَّ دَمًا أَمِيرًا عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أَمِيرًا بِهِ كُيَابٌ^(٥)
إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتُ أَبْدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التي تحرمت بذلك السكف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاوطها أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطيع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحارون » ، صوابه في س ، ه . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ، وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر للدم بما شئت » . والمأثرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمأثرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجهها ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢ من قول عنتره :

رقود صحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمد

(٧) كذ وأعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت الصهابي : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعفي :

فجئنا إلى الموت الصهابي يهدما تجرد عريان من الشر أهدب » .

إذا ما الليلُ ألبسه دُجَاهُ سرى أصمى تصيحُ له الشَّبابُ^(١)
فقلت لحَيَّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لِمَ^(٤)] قال موسى بن جابر
الحنفي^(٥) :

طَرَدَ الأَرَوَى فما تَقَرَّبُهُ وَتَنَفَى الحَيَّاتِ عَن بَيِّضِ الحِجْلِ^(٦)
قال : لأنَّ الذُّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . [قلت^(٧)] : فلم قال خلفُ الأَمر :
* ولا تسرى بعقوته الذناب * ؟

قال : لأنَّ الذُّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س ه . و « تصيح » هي في
س : « تصحج » . ولو كانت « تصيحج » لزادت حسنا .
(٢) ط : « حيات » صوابه في س ، ه .
(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢) :
(٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،
فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي !
فعله هذا .

(٤) زيادة يقتضها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن الفريمة ، وهي أمه ، كما أن حسان
ابن ثابت يقال له ابن الفريمة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزباني في معجمه ٣٧٦
إنه نصراني جاهل ، يلقب أزيق النيامة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعراً
في الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحماسة (١) :
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفي شرح الحماسة للبريزي
(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب
من سمي موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن
وسمى المسلمون أبنائهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، ه .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحدس : الخزر والتخمين .

(منافضة شعرية لازيادي ويحيى بن أبي حفصة)

وقال الزبيدي في يحيى بن أبي حفصة (١) :

إني ويحيى وما يبغى كملتَمِسِ صَيْدًا وما نال منه الرِّىَّ والشَّبَعَا ٩٤
 أَهْوَى إِلَى بَابِ جُحْرِ فِي مَقَدَّمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ قَرَعَا (٢)
 اللَّوْنُ أَرْبَدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ عُصْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قَطْعَا (٣)
 يَهْوَى إِلَى الصَّوْتِ وَالظَّلْمَاءِ عَاكِفَةٌ تَقْوَرُ السَّيْلُ لَاقِي الْحَيْدِ فَاطْلَعَا (٤)
 لَوْ نَالَ كَفْلَكَ آبَتُ مِنْهُ مَخْضِبَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ جَلَّتْ أَنْيَابُهَا قَرَعَا (٥)
 بِيَعَتْ بَوَكْسٍ قَلِيلٍ فَاسْتَقَلَّ بِهَا مِنْ الْهَزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعَا
 فَرَدَّ عَلَيْهِ يَحْيَى فَقَالَ :

كَمْ حِيَّةٍ تَرْهَبُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ (٦) قَدْ غَادَرْتَهُ قَطْعَا

- (١) هو جد مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) :
 « وليحيى أشعار كثيرة » .
 (٢) العسب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها .
 والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .
 (٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سايلة » . وصوابه ما
 أثبت . وانظر ماسأقي في (٥ : ٣٣٤) . والعصل : المتلويات . وفي الأصل :
 « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .
 (٤) الحيد ، بالفتح : ماشخص من الجبل ومن كل شيء . والتقور : التثني . وفي
 الأصل : « تمود » . وانظر ماسأقي في ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى في مشيه
 كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
 لجره وتلويه .
 (٥) كذا ورد هذا البيت . وفي ط : « قذعا » بالذال المعجمة .
 (٦) أي تدركه الحمية والأنفة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناق*
 من الجبل . س : « لذيديه » .

يَلْقَيْنَ حِيَّةَ قَفٍّ ذَا مُسَاوِرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعًا (١)
 تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ ، قَزَعًا (٢)
 أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضْرَاءِ أَبِيسْبَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاه فَانْصَدَعَا (٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَّتَ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِلسَّفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ (٤)
 أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ (٥)
 مَنَهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى سَارٍ طَمُورٍ فِي الدُّجْنَاتِ (٦)
 ذِي هَامَةٍ رَقَطَاءَ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ (٧)
 صِلُّ صَفًّا ، تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)

- (١) القف : بالضم : مرتفع حجرى . و « يسق » هى فى الأصل : « تسق » .
 والوجه ما أثبت .
 (٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س :
 « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى ه .
 (٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .
 (٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .
 (٥) الأنياب العصل : المتلوية . ه : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .
 (٦) منهرت الشدق : واسمه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا »
 صوابه فى س ، ه .
 (٧) مقطوحه ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، ه .
 (٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسام ، بالكسر : جمع سم .
 والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ،
 ولعلها « ميرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ (٤)
 هَدَمْنَ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتٍ (٢)
 يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (٣)
 وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مِيَّتًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ (٤)
 وقال آخر ، وهو جاهليٌّ :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
 فَابَعَثَ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصْمٌ (٥)
 أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرَّقُطِ الْعُرْمِ (٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمَشِي بَدَمٌ ٩٥
 فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمٌ (٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضْضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقْمَ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والضمير عائذ إلى الضرسين .
 والسباخ بكسر السين : لغة في السباخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات
 جمع اللهاة ، وهي اللحمية المشرفة على الخلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيبه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفي ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المظنن

من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 ضمت الراء في (العرم) لضرورة للوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
 ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفي الأصل :
 « أفضل » ووجه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أي تسم الهواء
 ليغتذى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا لَخُوفٍ رَاعَهُ وَلَا لِيَهُمْ
 حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ (١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ (٢)
 بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمَّ (٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
 * وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ (٤) *

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون في غُلفٍ (٥) ، إذا
 وطئت على بطن أو كفها ترفعت المخالب ، ودخلت في أكمام لها . وهو قول
 أبي زبيد :

بُحْجِنُ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوخٍ يَقِيهَا قِصَّةَ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ (٦)
 وكذلك أنياب الأفاعي ، هي مالم تعضَّ فَمُصُونَةٌ في أكمام . ألا تراه
 يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمَّ (٧)

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
 في س ، ه .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . ه . « لمذوب » ، صوابه في س ، ه . والكم ،
 بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشنى : الخرز ، يذكر ويؤنث . والمطوف ، بالفتح : المطوف . وإذا أظهر
 لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أجره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، ه .

(٦) الحاجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زيد بنعته . والحاجن : جمع
 محجن ، وهو العصا المموجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالهاء المعجمة في آخره : هي
 من الأسد مفاصل مخالبه ، كما في القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة
 مصحف . والقصة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى
 الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « نخاضه » صوابه
 في س ، ه . ه . ه : « بمذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أنتمتُ نضناً كَثِيرَ الصَّقْرِ (١) مولده كمولدِ ابنِ الدَّهْرِ (٢)
كاناً جميعاً وُلدَا في شَهْرٍ يَظُلُّ في مَرَأَى بَعِيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَا فِي سَدِيرٍ وَصَخْرٍ (٣) *

وقال :

وكيفَ وقد أسهرتُ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنَابِي حِيَّةٍ قد تَرَبَّدَا (٤)
من الصَّمِّ يكفي مرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إِلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا (٥)

(شعر خلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر - وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيءٌ ، من الغبرة (٦)

- (١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .
- (٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
في الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز
أن ذلك الحية متقدّم الميلاد ، وذلك مما يزيد في شدة سمه .
- (٣) الحواقي : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب .
والسدر ، ككتف : البحر . وحيات المساء معروفة بالجرأة والنكر . وفي
الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
- (٤) تربد : صار أربد . والرَبْدَةُ : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ،
والحياة تذكر وتؤنث .
- (٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرّة » ، صوابها ما أثبت . والشطر الثاني
فيه تهكم .
- (٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحاً لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصفَ عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره -
وهو قوله :

أَفَعَى رَخُوفَ العَيْنِ مِطْرَاقِ البُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبر

صِلَّ صَفْماً ما ينطوى من القصر^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر
كأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الفِكرُ شُقَّتْ لَهُ العَيْنَانِ طُولاً في شَتْرُ
مَهْرُوتَةِ الشَّدِيقِينَ حَوْلَاءِ النِّظْرِ جَاءَ بِهَا الطُّوفَانُ أَيَّامَ زَخَرِ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدْرَ^(٥) نَشِيشُ جَمْرٍ عِنْدَ طَاهٍ مَقْتَدِرُ

(أحاديث في الوزغ)

هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها ٩٦
كانت تقتل الأوزاع .

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزُّهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في س .
ومطراق البكر : أى يطرق إطراقاً في الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمه
انتباهها فيكون على أشده في الليل .

(٢) صلال الصفا من أحيث الحيات . وقد بالغ الراجز في جعله الصل لا ينطوى من
شدة قصره . في الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وضوابه مما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون
مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عني أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدّر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبي أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة
ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر =

قالت : « سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويستق » .
قالت : « ولم أسمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .
قال (١) قالت عائشة رضی الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني (٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة
« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويستق » .

أبو بكر الهذليُّ ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغَ في بيتي . قال : إن تفعلِي فإنَّ الدَّوابَّ كُلَّهَا حين ألقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم في النَّارِ ، كانت تُطْفئُ عنه ، وإنَّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وبرِص » .

وهذه الأحاديثُ كُلُّهَا يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنَّ الأشياءَ كُلَّهَا كانتْ ناطقةً ، وأنها أمٌّ مجراها مجرى الناس .

(تأوَّل آيات من الكتاب)

وتأوَّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرة .
وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فليُنظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في سر ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وقال (١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ (٢) ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً ، وذهب ابن حائط (٣) ومن لفَّ لفه من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعموا (٤) أن الحجارة كانت تعقل وتنطق ، وإنما سلبت المنطق فقط . فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه .

قال : والوَطواط ، والصدرد ، والصفدع ، مطيعات ومثابات (٥) .
والعقرب ، والحية ، والحداة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .
(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقي .
(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة . وما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم » ، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد قولاً فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في ص ، هـ .

ولم أوقف^(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إنَّ الوزَّعةَ التي تقتلها على أمِّها كانت تُضرمُ النَّارَ على إبراهيم ، أهي هذه أم هي من أولادها فأخوذةٌ هيَ بذنبٍ غيرها ؟ أم تزعم أنَّه في المعلوم أن تكون تلك الوزَّعة لا تلد ولا تديصُ ولا تُفرخُ إلاَّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبا ؟ !

وليس هؤلاء يَمَنُّ بفهمٍ تأويلَ الأحاديث ، وأيَّ ضربٍ منها يكون مردوداً ، وأيَّ ضربٍ منها يكون متأولاً ، وأيَّ ضربٍ منها يقال ٩٧ إنَّ ذلك إنَّما هو حكايةٌ عن بعضِ القبائل .

ولذلك أقولُ : لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُ ، واختطفتُ واستترقتُ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون^(٢) .

(أحاديث في قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِيِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنَّ ابنَ عمرَ كان يقتلُ الوزَّعَ في بيته ويقول : هو شيطان !

هشامُ بنُ حسان ، عن خالدِ الرَّبَّيعِيِّ ، قال : لم يكن شيءٌ من خشاشِ الأرض إلاَّ كان يُطْفئُ النَّارَ عن إبراهيم ، إلاَّ الوزَّعُ ؛ فإنه كان ينفخُ عليه . حنظلة بن أبي سفيان ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنَّ الأوزاعَ كانت يومَ حُرُقِ بيتِ المقدسِ تنفخُه والوطاوطُ^(٣) بأجنحتِها .

شريكٌ عن النَّخَعِيِّ ، عن جابرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الوزَّعُ شريكُ الشَّيطانِ .

(١) ط : « أفت » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطاوط على وطاويط ووطاوط . كما هنا وكما في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ
اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ حَظِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعاً^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .
هشامُ بن حَسَّان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ،
عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنَّ أَقْتَلَ مِائَةَ مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ
مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بن يعمر لم يزعم
أنه يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابةٌ تُطاعمُ الحياتِ وتُراقها
وتقاربها ، وربما قتلت بعضتها ، وتكرع في المرقق واللبن ثمّ تمجّه في الإناء
فينالُ النَّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتله في سبيل
قتل الحياتِ والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ^(٣) يعملون منها سموماً أنفذَ من سمِّ البَيْشِ^(٤) ، ومن ريق

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبماً بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتمل
أيضاً أن تكون سبماً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأوّل رواه
الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥
بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة
تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجين . ولعلمهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا من يلون
أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذاً لما يوحى به إليهم
أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر » ، والأوفق ما أثبت كما في صيون
الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم
هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صيني وهندي ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق .
وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخِلون الوزغَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْتِ ما يغمُرُها ، ويضعونها في الشَّمْسِ أربعين يوماً ، حتَّى تخلط بالزَّيْتِ وتَصيرَ شيئاً واحداً . فإنَّ مسحَ السَّجِّينِ منه على رغيْفٍ مَسْحَةٌ يسيرةٌ فأكلَ منه عشرةٌ أنفُسٍ ماتوا^(١) . ولا أدري لِمَ توخَّوا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبوابِ^(٢) .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزُّبَيْرِ ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ وَهَنَانًا عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرْنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نُخَمَّرَ آيَاتِنَا ، وَأَنْ نُوكِيَ أَسْفِدَتَنَا ، وَأَنْ نُظْفِيَءَ سُرُجَنَا^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَإِنَاءً مُخَمَّراً لَمْ يَكْشِفْهُ ، وَسَقَاءً مُوكِيً^(٤) لَمْ يَحْلِهِ . وَإِنَّ الْفُوسِقَةَ^(٥) تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَتُضْرِمُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ . وَهَنَانًا عَنْ أَرْبَعٍ : نَهَانًا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ^(٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ

- (١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س ، ه .
(٢) أى دفنهم ما يقتلون من الأوزاع تحت عتب الأبواب .
(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخيم الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .
(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

- (٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .
(٦) اشتمال الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً ، فن ذلك ما قيل للصماء . وللفقههاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم رفعه من أحد جانبيه فيضمه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصباد » محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يَحْتَبِي الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ (١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى (٢) .
وهذا الحديثُ ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّارِ ، وهو يقع [بعد (٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

٩٨

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس (٤) ، وربيعة بن خثيم (٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً (٦) تُجْزَوُا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ إِلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلَ الْمِيلِ (٧) ؛ فَإِنَّهَا جَانٌّ (٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يجتبي الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، ه .
(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .
(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نهت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكثاله من س ، ه .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . ففي ط ، س : « إلى مثل الميل » وفي ه : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) ه : « فانه جاني » .

إسماعيل المكي^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيّةً فقتل كافراً .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّةً أو عقرباً قتلَ كافراً .

وهذا ممّا يتعلق به أصحابُ ابن حنّط^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) . عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله^(٦) : من قتلَ حيّةً أو عقرباً فكأنّما قتلَ كافراً . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليفُ الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما سألناهنّ مُدَّ حاربناهنّ »^(٨) .

-
- (١) في الأصل : « المكي » .
(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، ه : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .
(٣) في الأصل : « ابن حنّط » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .
(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حنّط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والظالم .
(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود البكوفي المسعودي ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعدي » ، وصوابه ما أثبت .
(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .
(٧) سعيد بن أبي عروبة اليشكري — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهرا . عن تقريب التهذيب .
(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عمرو^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ] (٢) قَتَلَ حَيَّةً مَخَافَةَ أَثَارِهَا (٣) فعليه لعنة الله والملائكة . »
الربيع بن صبيح^(٤) عن عطاء الخراساني^(٥) قال : كان فيما أخذ على الحيات ألا يظهرن . فمن ظهرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتلنَّ كقتال الكفار ، ولا يترك قتلهنَّ إلا شكاً .

وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حابط .

محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سألناهنَّ مذحارَ بناهنَّ » .
ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عمرو » ، صوابه ما أثبت من س ، ح . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فللقوله : « مخافة أثارها » ، فأخوف من الثار يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بشر الجن إذا قتل ، فرمما قتلت قاتله ، وربما أصابته بجبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ .
وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثار فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثارها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثار . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيبى الحفظ . قالوا أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهم ^(٢) ذا الغرتين ^(٣) » . قال : والغرة ^(٤) : حوة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلتقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذي غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعام النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهم : الذي لا شية فيه .

(٣) في الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت في

(٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والقرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما

كثبت في (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذي يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ،

يتخذ غذاه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « المعسل » ، صوابه في س ، ه .

(٦) ط ، ه : « فإن طعام النحل المعسل » س : « فإن طعام النحل المعسل » ، وقد

جمعت بينهما .

(٧) ه : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كما خلّد^(١) والفأر ، والنمل ، والنحل ، والضب . ومنه ما لا يتخذ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيات^(٢)] ؛ لأنَّ ذُكُورَةَ الحياتِ سَيَّارَةٌ ، وإناثُها^(٣) إنّما تُقيم في المكانِ إلى تمامِ خروجِ الفِراخِ من البيضِ ، واستغناء الفِراخِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شقوقِ الصُّخُورِ والحِيطانِ ، والمداخلِ الضيّقةِ ، مثل سامِّ أبرص .
قال : والحياتُ تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعظايا تألف المزابيلَ والحراياتِ . والوزغُ قريبةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادَشْتُ^(٥) أَنَّ العظايا ليستُ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعد ليقسيمَ السُّمومَ ،

- (١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .
- (٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .
- (٣) في الأصل : « وإناها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كبيشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين الجوسية ، وهو صاحب الأبيستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما في التنبيه والإشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبد ، فتأول الأبيستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .
- (٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبديل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، هـ : « لانه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ؛ كَالْأَفَاعِي ، وَالشَّعَابِينَ
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزْغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمَلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ (١) ، فَتَمِيرُهُ (٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَّرَ (٣) الْوَزْغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمِنْ لُعَابِ الْأَفَاعِي . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ (٤)
فَلِإِنَّهَا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدِ فَنِيَ (٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخِرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَا يَعْرُضُ لَهَا مِنَ التَّنْذِكْرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدٌّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزْغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْلَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ (٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعَلَةٌ ، مِنْ زَقَّ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيَمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَّرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلُ
إِذَا دَبَّرَ » ، فِي بَعْضِ الْقُرْآنِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيْبَةٌ كَسَامِ الْأَرْصِ . ط : « الْفِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قَنِيَ » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرَّ يَشُرُّ وَيَشُرُّ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — يَفْتَحُ الشَّيْنُ وَكَسَرَ الرَّاءَ —
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباطِ الوزغِ بنصيبه من السمِّ ، بقدرِ ما استَبانَ من تُشكَلِ العظايمِ ، وتسَلُّها وإحضارها ^(٢) وبكائها وحزنها ، وأسْفِها على ما فاتها من السمِّ .

(زعم زرادشت في خَلْقِ الفأرةِ والسَّنورِ)

ويزعم زَرَادُشْتُ ^(٣) ، وهو مذهبُ المَجوسِ ^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، وَأَنَّ السَّنورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَهْرَمَنْ ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذبُ فتيلاً المِصباحِ فتحرقُ بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمدنَ العظامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرِضُ دفاترَ العلمِ ، وكتبَ الله ، دقائقَ الحسابِ ، والصِّكَاكَ ^(٦) ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيَابَ ، وربَّما طلبتِ القُطنَ لتأْكُلَ بِزَرِهِ فتدعُ اللَّحافَ غَرَبالاً ، وتقرِضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأوْكِيَةَ الأَسْقِيَةِ والأزْقاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقعُ في الآنيةِ

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦

التنبيه الخامس .

(٤) ذلك الزعم مذهب المَجوسِ ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « هرمَنْ » ، وتصحيحه وإكاله من س ، ه . وانظر التنبيه السادس

من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصِّكُ بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل :

الصِّكُ عربي . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء

زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّج النَّاسَ إِلَى مُوْنٍ عِظَامٍ ، وَرَبَّمَا عَضَّتْ رِجْلَ النَّاسِ ؛ وَرَبَّمَا قَتَلَتِ الْإِنْسَانَ بَعْضَتَهَا . وَالْفَأْرُ (١) بَحْرُ اسَانٍ رَبَّمَا قَطَعَتْ أُذُنَ الرَّجُلِ . وَجِرْدَانٌ أَنْطَأَ كَيْفَةً تَعَجِزُ (٢) عَنْهَا السَّنَائِرُ ، وَقَدْ جَلَا عَنْهَا قَوْمٌ ١٠٠ وَكَرِهَهَا آخَرُونَ لِمَكَانِ جِرْدَانِهَا . وَهِيَ الَّتِي فَجَرَتِ الْمَسْنَاءَ (٣) ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْخَسْرِ (٤) بِأَرْضِ سَبَأٍ ؛ وَهِيَ الْمَضْرُوبُ بِهَا الْمَثَلُ . وَسَبِيلُ الْعَرَمِ مِمَّا تَوَرَّخُ بِزَمَانِهِ الْعَرَبُ . وَالْعَرَمُ : الْمَسْنَاءُ . وَإِنَّمَا كَانَ جِرْدَانًا . وَتَقْتُلُ النَّخْلَ وَالْفَسِيلَ (٥) ، وَتَحْرَبُ الضَّبَّعَةَ ، وَتَأْتِي عَلَى أَرْزَمَةِ الرِّكَابِ وَالْحُطْمِ (٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ .

وَالنَّاسُ رَبَّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَائِرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَاقِ الْفَأْرِ (٧) - فَكَيْفَ صَارَ خَلْقُ الضَّارِّ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلْقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟ !

-
- (١) أَرَادَ بِالْفَأْرِ هُنَا الْجَمَاعَةَ . ط : « الْفَأْرُ » صَوَابُهُ نِي س ، ه .
(٢) ط : « تَفْجُرُ » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .
(٣) الْمَسْنَاءُ : السَّدُّ الَّذِي يَمْرُضُ بِهِ الْوَادِي لِنَتْنِظِيمِ تَدْفِيقِ الْمِيَاهِ . وَفَجْرٌ ، تَقَالُ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ، بِمَعْنَى جَعَلَهُ يَنْفَجِرُ وَيَسِيلُ .
(٤) الْخَسْرُ : مَصْدَرُ حَسْرِ الْمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ : نَضَبٌ حَتَّى يَدَامَتِ حَتَّتَهُ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (بِرُسْمِ مَأْرَبِ) : « وَجَاءَ السَّبِيلُ بِالرَّمْلِ فَطَمَهَا » . وَطَمَهَا : مِنْ قَوْلِهِمْ : جَاءَ السَّبِيلُ فَطَمَ الرِّكِيَّةَ : أَيْ دَفَنَهَا وَسَوَّاهَا . ط : « الْخَسْرُ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ . وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، ه .
(٥) الْمَسِيلُ : جَمْعُ فَسِيلَةٍ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ . س : « النَّخْلُ وَالْمَسِيلُ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، ه .
(٦) الرِّكَابُ ، بِالْكَسْرِ : الْإِبِلُ . وَالْأَرْزَمَةُ : جَمْعُ زَمَامٍ . وَهُوَ مَقْوَدُ الْبَعِيرِ . وَالْحُطْمُ : جَمْعُ خُطَامٍ ، وَهُوَ مَا يُوَضَعُ عَلَى مِخْطَمِ الْبَعِيرِ لِيُقَادَ بِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى أَفْرَحَةِ الرِّكَابِ وَالْحَضَرِ » . وَهِيَ عِبَارَةٌ لَا تَنْجُ . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ .
(٧) بَوَاقٍ : جَمْعُ بَائِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ ، أَوْ الشَّرُّ .

والسُّنُورُ يُعَدَى به على كلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) من الحَيَّاتِ ،
والعقارب ، والجعلان ، وبناتِ وِردان . والفأرةُ لا نَفَعَ^(٢) لها . ومُؤَمِّها
عظيمة .

قال : لأنَّ السُّنُورَ لو بالَ في البحرَ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكةٍ !
فهلْ سمعتِ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أو بِحيلةٍ ، أو بأضحوكَةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على
تلقيحِ مرة^(٣) ، يبلغُ مؤنَّ هذا الاعتلالِ ؟ !
فالحمدُ لله الذي كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم^(٤) .
وأنشد أبو زيد :

والله لو كُنْتُ لهذا خالِصاً لَكُنْتُ عبداً آكل الأبارصا^(٥)
يعنى جماع^(٦) سامَّ أبرص : أبرص .

-
- (١) هذا مجازة من الجاحظ المعجوسى الذى يعارضه .
(٢) فى الأصل : « لا تفع » .
(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .
(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لا نعدم الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الحفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .
(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فأليته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قايلاً
بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى
الاقتضاب ٣٥٥ .
(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سمّ أبرص ونحوه)

وسامُّ أبرصٍ ربّما قَتَلَ أَكَلَهُ^(١) ، وليس يُؤَكَلُ إلّا من الجُوع الشَّدِيد .
وربّما قَتَلَ السَّنَائِرَ وَبَنَاتِ عِرْسٍ ، وَالشَّاهُرُكَ ، وَجَمِيعَ اللَّقَّاطَاتِ^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ^(٤)

وهو شيءٌ يعرض عن أَكْلِ دَسَمِ الضَّانِ ، وهو أيضا يلقى على دسمه^(٥)
النُّعَاسُ . وقد يفعل ذلك الحَبِيقُ^(٦) ، والحشخاش .

[والحشخاشُ] يسمّى بالفارسيّة « أَنَارُ كَبُؤُ^(٧) » ، وتأويله رَمَانُ الخَسِّ .
وإنّما اشتقَّ له ذلك إذ كان يورث النُّعَاسُ ، كما يورثه الخَسُّ .

-
- (١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أَكَلَهُ) و : (آ كَلَهُ) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت
من س ، ه .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعيم) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فتقل على قلبه فهو نعيم » . ومثل
هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي ، ولسان العرب (نعيم) ، مع رواية
البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالباء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها
لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما ساق من الكلام . والجمع : المتسع لليطان .
والطلى ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم
من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، ه . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما :
« يلقى عن دسمه » .

- (٦) الحيق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان .
ويقال فيه أيضاً (نلر) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يورث الدوار . وزعموا أن صبيًا من الأعراب فيما مضى من الدهر ، صاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سماني ، فأكلها فغثت نفسه ، فقال :

* نفسي تممّقس من سماني الأقبر^(٢) *

(استطراد لغوي)

ويقال : غثت نفسه غثياناً وغثياً^(٣) ، ولقيست تلقس لقساً ، وتممّقت^(٤) تتممّقس تممّقا : إذا غثيت^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنت بالبادية ، فرأيت ناساً حول نارٍ فسألت عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوونها ويأكلونها ؛ إذ نظرتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثاني (كبو) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كبيو ، كيبو ، كيو ، جيو) . وهذه الكلمة محرفة في الأصل . فهي في ط ، هـ : «أباركو» وفي س : «أباركو» . واعتمدت في تصحيحها على معجمي بالمرو وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من اليوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : «عثت نفسه عثياناً وغثياً» بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .

(٤) في الأصل : «وتممّقت» . والوجه ما أثبت .

(٥) س : «عثيت» محرف .

امتنعت عليه يمدّها كما يمدُّ عصبٌ لم ينضج . فما صرفتُ بصرى عنه حتى لبط^(١) به ، فما لبثت أن مات ، فسألت عن شأنه ، فقيل لي : عجّل عليها قبل^(٢) ١٠١ أن تنضج وتعمل النار في متنها .

(أكل الحوائن للحيات)

وقد كان في بغداد وفي البصرة جماعة من الحوائن ، يأكل أحدهم أي حيةً أشرت إليها في جونتته ، غير مشوية . وربما أخذ المرارة^(٣) وسط راحته ، فلطعها بلسانه ، ويأكل عشرين عقربانة^(٤) نيةً^(٥) بدرهم . وأما المشوي فإن ذلك عنده عرس^(٦) .

(شعر في الحيات)

وقال كثير :

وما زالت رُفَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي فَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَانِي^(٦)
وَتَرْقِينِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الْحِجَابِ^(٧)

(١) لبط به : صرع . وفي الأصل : « لبط به » ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أي مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة » هـ : « النواه » محرفة .

(٣) كذا في الأصل . ولعلها « عقربا » .

(٤) النية بالكسر والهمز : اللحم الذي لم ينضج . وفي اللسان : « وقد يترك الهمز

ويقلب ياء ، فيقال : في ، مشددا » . فاهو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .

(٥) العرس ، بالضم وبضميتين : طعام الولية .

(٦) س : « وتخرج » . وفي الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

في ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجي ، حين [كان]

صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثمير :

حَسِبْتَ ثُمَيْرًا يَا ابْنَ ثُرَوَانَ كَالأُلَى لَقَيْتَهُمْ بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)

كما ظنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي

بِجَمِيعِ الْكُؤَى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)

فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)

أراد قول رؤبة :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرٍ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا

لَوْ مَسَّ حَرْفِي حَجَرٍ تَقْصِدًا^(٦) . بِالشَّمِّ لَا بِالسَّمِّ مِنْهُ قَصْدًا^(٧)

فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وهذا لا يقوله مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارًا^(٨)

سُمُّ الْحَيَاتِ .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو صحنان » ، محرف .

(٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكؤى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهي الحرق في الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفي الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال

لا وجه له هنا .

(٧) كذا في ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفي

س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أودار » . وانظر نقد هذا المعنى في الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧

والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنتره :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعَا نَزَائِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا (١)
عَوَالِي سُمْرٍ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْتِه هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا (٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي ﷺ عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطَّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ » .
شَبَّهَ الْخَيْطَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَوْصِ الْمُقْلِ (٣) وَأَنْشَدَتْ لِأَبِي ذُؤَيْبٍ :
عَفَّتْ غَيْرَ ذُوِي الدَّارِ لِأَيَّأُ أُبَيْنُهُ وَأَقْطَاعِ طُفْيِ قَدَعَفَتْ فِي الْمَعَاقِلِ (٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بحوافرها . نزائلكم ، أى لا نزائلكم .
حفذف الناقى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتتو تذكر يوسف »
أى لا تفتتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأما المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته .
انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئاً نبحه ، حتى
إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقا »
فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ،
فكانه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبهتان من قصيدة لعنترة يقوطها فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عيس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البوالي وقاتل ذكراك السنين الخوالي

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) الثوى : حفير حول الخياء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كيجلس ، وهو المسكان تعقل فيه الإبل -

والطُّفَى^(١) : خَوْص المقل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المِرْأَةِ الهيفاءِ الخميصةِ البطنِ ، ببطنِ الحَيَّةِ . وهي^(٢)

الأيم . وقال العجاج :

* وَبَطْنَ أيمٍ وَقَوَامًا عُسْلَجًا^(٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدهم بن أبي الزعرار^(٤) ، وشبهه نفسه بحية :

١٠٢ وما أسودُّ بالبأس تتراحُ نفسهُ إذا حَلَبَةٌ جاءتْ وَيُطْرِقُ للحِسِّ

به نَقَطُ حمرٍ وسودُّ كأنما تَنْضَحُ نَضْحًا بالكحيلِ وبالورسِ^(٥)

= أى تشد ، وفي الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل
انظر اللسان (طقى) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويروى أيضا : « فى المنازل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضا على طقى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :
وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذلل الطقى من رقية الراقى
أى ذوات الطقى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزعرار الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياذ فى أوصاف الحيات ،

كما ذكر ذلك الأدمى فى المؤلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة .

وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنهب ، التى كانت فى أيام مروان

ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط :

« أدهم بن أبي الزيمرى » و س : « أدهم بن أبي الزيمرى » . و ه : « ابن

أبي الزيمرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، هيئة التصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .

والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

- أصمُّ قَطَارِيٌّ يكونُ خروجهُ قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلِطًا اللَّدْمِ (١)
 له منزلٌ ، أنفُ ابنِ قِترَةَ يَغْتَنِذِي بهِ السمُّ ، لم يظهرْ نهاراً إلى الشَّمْسِ (٢)
 يَقِيلُ إذا ما قَالَ بينَ شواهِقِ تَزَلُّ العُقَابُ عن نَفَانِيفِها المِلسِ (٣)
 بَأَجْرًا مِنِّي يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقَدِّمًا (٤) إذا الحربُ دَبَّتْ أولَيْسَتْ لها لَيْسِي (٥)
 فأجابه عَنترَةَ الطَّائِي (٦) ، فقال :

عَسَاكَ تَمْنَى مِن أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرَقَمِ يَسْتَقِي السَّمَّ مِن كُلِّ مَنْطَفِ (٧)

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تابط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرسم *

(٢) ابن قتره ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قتره » س : « ابن قتره » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتنذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهِق : الجبال العالية . والنفانيف جمع نفتف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى لإقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنتره بن عكبره الطائى ، وعكبره أم أمه ، وهو عنتره بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآدمى فى المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآق من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنتره الصابى » وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشيء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الغراب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعال ، قال للتبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنتره :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مسهر
وقد علقت رجلاك في ناب أسودا
أصم جبال^(١) إذا عضَّ عضَّةً
تزايلَ عنه جلده فتبددا^(٢)
يسلَع صفاً لم يبدُ للشمس قبلها
إذا ما رآه صاحب اليمِّ أرعدا^(٣)
له ربيقة في عنقه من قيصه
وسائرُه عن متنيه قد تقددا^(٤)
رُقودِ ضحياتٍ ، كأن لسانه
إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا^(٥)
يُنْفِيتُ النفوسَ قبل أن يقع الرُّقى
وإن أبرق الحاوي عليه وأرعدا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربيقة ، بالكسر : الجبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينثام في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح . وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال في دفته ، وفي سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سواده من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية في ١٦٣ .

(٦) ينفيت النفوس : يميها موت الفجاءة . و « يقع الرقى » كذا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وادٍ تَكُونُ بِهِ (١)
رَبْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ
وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
لَوْ سَرَّحْتَ بِالنَّدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ
يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجْرُ (٢)
وَلَوْ تَكْتَنَّفُهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا (٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةُ لَهَا
وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِرُوا (٤)
تَقْصِدُ الْوَرْلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا
نَسْكَزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ (٥)

- = « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .
(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها فى القفر .
(٢) ربداء : من الربداء ، وهى الغبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة » وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه فى ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .
(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي .
(٤) خاتلوا : خادعوا . س ، هـ : « فاناوا » ، صوابه فى ط .
(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التماسح : Varanus والنادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكر : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فمما فيه من الأعاجيب أنه يعتدى الصخر ، ويتلع الحجارة ، ويعمد إلى المرؤ ، [والمرؤ] من الحجارة التي توصف بالملاسة ، ويتلع الحصى ، والحصى أصلب من الصخر ، ثم يميّعه ويذيبه في قانصته (١) ، حتى يجعله كالماء الجارى . ويقصد إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضمه ، وأنه له غذاءٌ وقوامٌ . وفي ذلك أعجوبتان : إحداهما التّغذى بما لا يتغذى (٢) به . والأخرى : استمراؤه وهضمه للشيء الذى لو ألقى في شيءٍ ثم طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان . والحجارة هو المثل المضروب في الشدة . قال الشاعر :

* حتى يلين لضرس الماضغ الحجر *

وقال آخر (٣) :

مَا أَطِيبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْحوادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ (٤)
ووصف الله قلوب قوم (٥) بالشدة والقسوة ، فقال : ﴿ فَوَيْ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال في التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٦)

(١) في الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله في س : « بما لا يغنو » .

(٣) هو تميم بن أبي مقبل ، كما في ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف في هذه الآية في النسخ الثلاث . ففي ط : « النار » وفي س ،

ه : « نار » . وهذه الآية هي السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد

لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفي سورة البقرة أيضاً : « فإن لم

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يُلقبى العُصاة في نارٍ تأكلُ الحجارة .
ومن الحجارة ما يتخذها الصفارون^(١) عِلاَةً^(٢) دونَ الحديد ؛ لأنه
أصبرُ على دقِّ عِظامِ المطارقِ والفِطِيساتِ^(٣) .
فجوفُ النِّعامةِ يُذيبُ هذا الجوهرَ الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرِّمَّة :

أذَكَ أُمَّ خَاضِبٍ بِالسِّيِّ مَرْتَعُهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسَى وَهُوَ مُنْقَلِبٌ^(٤)
شَخْتِ الْجَزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ مِنْ الْمُسُوحِ خَدِبٌ شَوْقَبٌ خَشَبٌ^(٥)

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفرة ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو
الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط ، هـ .
(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : « الغطيسات » س :
« الغطيسات » ، صوابها ما أثبت من هـ .

(٤) أذَكَ : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظلم ، أى ذكر النعام ، الذى أحرقت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ،
فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أديته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده
فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته .
منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابها فى س والمخصص والأمالى
والديوان . ط : « مرتمة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزيرة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزيرة ، كالعائلة أجر
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَانَ رَجْلِيهِ مِثْمَا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانَ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ (١)

أَهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرُوءِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ (٢)

وقال أبو النجْم :

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سَرَطْمٍ مَادَّ عَلَى التَّوَاهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه في س ، هـ والديوان والسكامل ٤٤٩ ليسك .

(١) المسالك : عود يكون في الخياء . والعشر : ضرب من كيار الشجر ، له صنع حلوى . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجله كالمسكين الطويلين الخشنيين . وفي الأصل : « كأن عينه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبه ثم تحولت إلى الحمض عقبه أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرء . والمرء : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرء فسر قريباً . في الأصل : « المرء » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . في الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتى في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوايه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظلم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ (١) تَمَعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ (٢)

* هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوْصَلَاتِهِ *

(إذابة جوف الظلم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظَّلِيمِ إِنَّمَا يُذِيبُ (٤) الْحِجَارَةَ بِقَيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ أخطأ . ولكن لا بد من مقدارٍ للحرارة [و (٥)] نحو غرائزٍ آخر ، وخاصيَّاتٍ آخر . ألا تَرَى أَنَّ القُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ، لا تَدُوبُ .

(القول في الخاصيَّاتِ والمقابلاتِ والغرائزِ)

وسأدلك على أن القول في الخاصيَّاتِ والمقابلاتِ والغرائزِ حقٌّ . ألا ترى أن جوفَ الكلبِ والذئبِ يذيان العظام ولا يذيان نوى التمر ، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة . وما أكثر ما يهضم

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ه : « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جاده الذى يسلكه . والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظلم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلحه . فى الأصل : « عشاؤه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً فى وصوله إلى حوصلة الظلم ، فهو هادٍ بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » بحرفه . س : « حاد » . والأوفى ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلاته » : أى هو مهتد بحوصلاته ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلاته » .

(٤) ط ، ه : « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .

والبراذين التي يُجِيلُ^(٢) أجوافها القت والتبن^(٣) روثاً ، لا تستمرى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانها على أغصانِ أمَّ غيلان ، وله شوك كصياصي البقر^(٤) ، والقضبانُ علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرها^(٦) وتجعلها ثلثاً^(٧) ولا تقوى على هضم الشعير المنقع . وليس ذلك إلا بالخصاص والمقابلات .

وقد قدر كلُّ شيءٍ لشيءٍ . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلطح بالطين ، ومرةً يجعله أهله ربيث الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسكةً شديدة المئن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف ، وإلا يبغض الاعتماد .

والذي سخر جلد الجاموس حتى انفردى وانصدع لطفعة البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكنب ، وصحاف ، وتمرث .

(٢) في الأصل : « يجل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم . في الأصل : « أقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردتها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرها » .

(٧) التلطح ، بالفتح : البروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه في ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنساس .

وسخَّر^(١) جلد الحمار لطعنة الدُّباب ، وسخَّر الحجارَةَ لجوف الظلم ،
والعَظْمَ لجوف الكلبِ - هو الذى سخَّر الصَّخْرَ الصُّلبَ لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تُلقيَ بيضها ؛ فإنَّها فى تلك الحال مَتى عَمَدَتْ ذنبها فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْرِ^(٣) ، ومن قوَّة
الآلة^(٤) ، ومن الصِّدْمِ^(٥) وقوَّة الغمَز ، لانصدعت لما هو فى الحسِّ أشدُّ
وأقوى . ولكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الحلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبتَ
فى عمق الأرض ، وتلقَّاه الآجرُّ والخزفُ الغليظ ، نَقَبَ ذلك ، عند نباته
وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقرٌ نَصير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأردنُّ ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرَّقَ
جوف القار^(٧) .

وزعم لى أبو عتاب الجرَّار^(٨) ، أنه سمع الأكرة يُخبِرون أنهم وجدوه
قد خرَّقَ فلساً^(٩) بصرياً .

(١) ط : « وسخَّر » صوابه فى س ، ه .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، ه : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيدى » .

(٥) ط ، ه : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « القار » س : « عمار » كذا . صوابهما فى ه .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، ه . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفليس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدت منه المحقق الكبير الأب

أنستاس مارى فى حواشئ النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قلع

فلساً بصرياً » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملافاة الطباع .

ويزعمون أن الصّاعقة تسقط في حانوت الصيّقل^(١) فتذيب السيوف بطبعها^(٢) ، وتدع الأغماد على شبيهه بحالها . وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبب الدراهم ، ولا يصيب الرجل أكثر من الموت .

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصواعق^(٣) ، لا يدعون في صحن^(٤) دورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصفر إلا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقض من أصل مخارجها ، على مقدار من محاذاة الأرض ، ومقابلة المكان ، فإذا كان^(٥) الصفر لها ضاحياً ، عدلت إليه عن سنّها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النوى^(٧) في تراب المتوضأ ، فإذا صهرج نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصاروج أمسك . وإن كان الصاروج رقيقاً فإن قير ، وجعل غلظة بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النوى حتى يخرج ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلادها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كائت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنّها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، سواه في س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خَرَقَهُ بِمَسَارٍ أَوْ سِكَّةٍ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذي سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساس الناس ،
هو الذي سَخَّرَ القُمَّمُ ، والطَّيِّجُ ، والمرجَلُ ، والطَّسْتُ ، لإبرة العقرب .
فما أحصى عدَدَ مَنْ أُخْبِرَني من^(٢) الحوَّاثين ، من أهل التَّجَارِبِ ، أنها ربَّما
خَرَجَتْ من جُحرها في اللَّيْلِ لطلبِ الطُّعم^(٣) ، ولها نشاطٌ وعُزَامٌ^(٤) ،
فتضرب كلَّ ما لقيتْ ولقيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جمادٍ .

وزعم لي خاقان بن صبيح - واستشهد المثنى بن بشر ، وما كان
يحتاجُ خبره إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أنه سمعَ في داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمَّمٍ
- وقد كان سمع بهذا الحديث - فهض^(٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلما^(٦) حتى قتلاها ، ثمَّ دَعَوَا بماءٍ فصباها في القُمَّمِ
في عشيتيهما ، وهو صحيحٌ لا يسيلُ منه شيءٌ .

فن تعجَّبَ من ذلك فليصرفُ بَدِيًّا^(٧) تعجُّبه إلى الشيء الذي

(١) السكة : الحديدية . وأصلها حذيدة الخواث ط : «سلة» ، وأثبت ما في
س ، ه .

(٢) في الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والاشدة . وهذه الكلمة محرقة في الأصل ،
فهى في ط ، س : «غرام» و ه : «عزام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه في ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، ه : «بنعلما» وهو وجه جائز ، وأثبت
ما في ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء في س : «بدها» .

تقذفه بذئبها^(١) العقربُ في بدن الإنسان والحَميرِ والبغال ، فليفكر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرارة^(٤) بعد أن أسعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحار ، فلم قصرت النارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصر الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجب الآن أن السم ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أن جوف النعامِ ليس يُذيب الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنه لا بدُّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصياتٍ أُخرى ، ليست^(٦) بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « بدئها » س : « بدئها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « يفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي

خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرات : « وهي تكون بمسكر مكرم

وجنديسابور » . وقال الدميري عند ذكر الجرات : « وهي عقارب صفار

على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بمسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرات . وهي ضرب من العقارب صفار تجرر أذناها

وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) أسعوها : أي مكنوها من لسع حيوان . ط ، هـ : « اتقوها » ، صوابه

ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف : الحد . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وتزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت حسهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢) لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقبيل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمداً لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ١٠٦ من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة بعد أمة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب
الظلم .

باب آخر

وهو عندي أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرِ حتى ينفذَ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل
في إطفائه ، ولا يكون الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيارِ النُّظَّام - وكنا لانرتاب
بحديثه إذا حكى عن سماعِ أو عيان - أنه شهدَ محمد بن عبد الله ، يلقي
الحجرَ في النار ، فإذا عاد كالجرمِ قَذَفَ به قَدَامَهُ ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع
الجرمَ . وكنتُ قلتُ له : إنَّ الجمرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقي
الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيءٌ يُحوِلُ بينه وبين النَّسيمِ خمدَ ، والحجرُ
أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزوقاً
وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارةَ ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع
الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلثَ اشتدَّ تعجبي له ، فقلتُ له : لو أحميت
أوراقَ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ،
فقلتُ : هذا أعجبُ من الأولِ والثَّاني ، وقد بقيتُ علينا واحدةٌ ، وهو أن
ننظر : أَيْسْتَمْرِي^(١) الحديدُ كما يستمري الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمري : يستسبح . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخرق^(١) أن نتعرف ذلك على الأيام . وكنت عَزَمْتُ على ذنبه
وتفتيش جوفه وقانصته ، فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً
فعمد بعضُ ندمائه إلى سِكِّين فَأَحْمَى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز
أعلى حلقة حتى طلع طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِهِ ، ثم خَرَمِيَّتاً .
فَمَتَعْنَا بِخُرْقِهِ من استقصاء ما أردنا .

(شبه النمامة بالبعير وبالطائر)

وفي النَّمامة أمهالاً طائرٌ ولابعير . وفيها من جهة المنسَم [والوظيف^(٢)]
والحَرَمَةِ^(٣) ، والشقّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الريش والجنّاحين
والذنبِ والمنقارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الولد^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغ^(٦) » ، كما هم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

(١) الخرق ، بالضم : الحلق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف خرمت ثلاث ،
ثنتان خارجتان عن اليمن واليسار ، والثالثة الوترة التي بين المنخرين . ط :
« الحرمة » ، وهي بالسكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ،
ه : « الحرمة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالسكسر أيضاً : جمع بانض وبيوض . والعبارة محرفة
في الأصل . ففي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، ه : « حذقها » ، وفي س : « حذفها »
وهو تحريف جد مضلل ، وقد هداني إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكسر : جمع والد بمعنى والدة . وفي اللسان : « وشاة والدة
وولود : بيعة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، ه :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهيمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهيمزة ونقل =

(شعر في شبه النعام بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا تَصِيرُ إِلَى الْخَيْثِ مِنَ الْمَصِيرِ^(١)
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا تَعَاظِمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي^(٢)
فَإِنْ قِيلَ أَحْمَلِي قَالَتْ فَإِنِّي مِنَ الطَّيْرِ الْمُرَبَّةِ بِالْوُكُورِ^(٣)
ثُمَّ هَجَا خَالِدًا^(٤) فَقَالَ :

وَكُنْتَ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَيْرٌ سَوْءٌ تَصُولُ ، مِنَ الْحَافَةِ ، لِلزُّئِيرِ^(٥)

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله من يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث علي « من يعذرنى من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشاياء عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاضلها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الهميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاضمه » ، أى تعاضم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الحطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والبعير : الحمار الوحشى =

لأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعِلْجٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ (١)
هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ؛ ثُمَّ بُلَّتَ عَلَيَّ السَّرِيرِ (٢)
وإنما قيل ذلك في النعامة ؛ لأنَّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا المِثْلَ لِلرَّجُلِ
إِذَا كَانَ يَمُنُّ بِعَيْتَلُ فِي [كُلِّ] شَيْءٍ يَكْلِفُونَهُ بِعِلَّةٍ ، وَإِنْ اِخْتَلَفَ ذَلِكَ
التَّكْلِيفُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « إِنَّمَا أَنْتَ نَعَامَةٌ ، إِذَا قِيلَ لَهَا اِحْمَلِي قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
وَإِذَا قِيلَ لَهَا طِيرِي قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ » .

(قصة أذني النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النعامةَ ذهبتْ تطلبُ قرنين ، فرجعتْ مقطوعةَ
الأذنين ؛ فلذلك يسمونه « الظلم » (٤) ، ويصفونه بذلك .
وقد ذكر أبو العيال (٥) الهدلى ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى
أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من
طباع العير . والبيت محرف في الأصل وفي البيان أيضاً . فهو في الأصل :
« عبد سوء تصول من الخفاقة للزئير » ، وفي البيان : « تبول من الخفاقة للزئير » .
وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والمرزباني حديث عن هذا البيت في الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (٢ : ٢٦٧ من ١٠) والحواشي .

(٣) الظلم ، أي المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى في ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء
في هذا قول بشار : كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالحليق غدا يبتغي قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل في آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ،

وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغاني (٢٠ : ١٦٧) .

الجمعي : « كان رجلاً من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر
والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غشير . فبينما ابن أخ لأبي العيال قائم عند قوم =

وإخال^(١) أن أحاكم وعتابه^(٢) إذ جاءكم بتعطفٍ وسكون^(٣)
يُمسِي إذا يُمسي ببطن جائع صفرٍ ووجهٍ ساهمٍ مدهون^(٤)
فغدًا يمُث^(٥) ولا يُرى في بطنه^(٦) مثقال حبة خردل موزون^(٦)
أو كالنعمامة إذ غدت من بيتها ليصاغ قرناها بغير أذن^(٧)
فاجتث الأذنان منها فانثنت صلماء ليست من ذوات قرون^(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه . وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه بما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوزا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتي هو المجاورة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

- (١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، ه وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعثانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفًا ساكنًا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .
(٤) ط : « يمسي إذا يمسي » صوابه في س ، ه والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخضب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .
(٥) يمث : يرى على سحنته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .
(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونًا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .
(٧) بغير أذن : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .
(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذَهَبَ الْغُرَابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ الْعُصْفُورِ ^(١) ، فلم يتعلّمها ، ونسبى
مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يَحْجَلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ الْعُصْفُورِ ^(٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادة ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصقيرِ
والبزاي ، ولكن تمشى مِشْيَةَ المقيّد أو المَحْجَلِ ^(٣) [خِلْقَةٌ ^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى ^(٥) ، في تحوّل قضاة إلى قحطان ^(٦)

- (١) الشعر الذي رواه اللميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :
إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشياً فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشياً فلذلك سموه أبا المرقال
- (٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسير والأعراف : نقر العصفور ينقر نقزاً ونقرانا .
- (٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « الحجل » بحرف .
- (٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقتة » .
- (٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد
كما في كتاب العقفة والبررة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :
- (٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في اليمن .
انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة
ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من اليمن ، فلما توفي
والد قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتنبأ حينئذ
وتكنى به ، فنسب إليه ، أي إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته
فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .
وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :
نحن بنو الشيخ المهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ ففَارَقُوا الْخَلِيْطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كَتَارِكٍ يَوْمًا مِشِيَةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى ففَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَجْحَلُ (٢)

(عظام النعمامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عِظَامِهَا ، وَشِدَّةِ عَدُوِّهَا ، لَا مَخَّ فِيهَا .
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعْلَمُ الْهَنْدَلِيُّ :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ (٣) زَنْخَرِيٌّ (٤) سَوَاعِدِ (٥) ظَلَّ فِي شَرِي طُوَالِ (٦)
يَعْنِي ظَلِيماً شَبَّهَ [بِهِ (٦)] عَدُوَّ فَرْسِيهِ . وَالْحَتُّ (٧) : السَّرِيعُ . وَالشَّرِيُّ :

= النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ الْمَنْبَرِ
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ يَعَاتِبُ قِضَاعَةَ فِي انْتِسَابِهِمْ إِلَى الْبَيْنِ :
عَلَامٌ نَزَلَتْ مِنْ غَيْرِ فَقَرَّ وَلَا ضَرَاءَ مَنزَلَةَ الْحَمِيلِ
وَالْحَمِيلُ : السَّبِيْبُ يَحْمِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

(١) أَيْ عَنْ إِخْوَتِهِمْ نَزَارِ بْنِ مَعْدَانَ بْنِ عَدْنَانَ . وَفِي الْأَصْلِ : « بِنِ نَزَارٍ » وَلَيْسَ
شَيْئاً ؛ فَإِنَّ قَطَطَانَ هُوَ ابْنُ عَابِرٍ ؛ كَمَا اتَّفَقَتْ عَلَى ذَلِكَ كُتُبُ الْأَنْسَابِ .

(٢) الْمَشِيَّةُ ؛ بِالْكَسْرِ : الْهَيْئَةُ مِنَ الْمَشْيِ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ الْمُتَضَايِفِينَ بِالظَّرْفِ ، وَهُوَ
جَائِزٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَشِيَّةٌ » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ ؛ لِقَوْلِهِ : « أُخْرَى »
أَيْ لِمَشِيَّةٍ أُخْرَى . وَانظُرِ الْعَقَّةَ وَالْبُرَّةَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ٣٥٥ .

(٣) حَتٌّ ، بِجَاءٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا تَاءٌ مَثْنَاءٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَتٌّ » بِالْمَثْنَاءِ ، وَهُوَ
وَهْمٌ وَتَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مِنَ اللِّسَانِ (حَتٌّ ، زَنْخَرٌ ، بَرِيٌّ) وَحِمَاةُ الْبَحْتَرِيِّ
٦٦ حَيْثُ يَتَوَسَّطُ الْبَيْتَ خَمْسَةَ آيَاتٍ مَرْوِيَّةٍ هُنَاكَ . س : « الْبَرِيَّةُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الزَنْخَرِيُّ : سَيْفُ سِرِّهِ الْجَاهِظُ . س : « زَنْخَرِيٌّ » ، صَوَابُهُ بِالزَّيِّ كَمَا أَثْبَتَ .

(٥) تَقْرَأُ بِالْكَسْرِ ، جَمْعًا لَطْوِيلٍ . وَبِالضَّمِّ ، مَفْرَدًا بِعَمَى الطَّوِيلِ . قَالَ ابْنُ جَنِّي
« يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا كُنُوا طَوَالًا سَتَرْنَاهُ فزَادَ اسْتِحْشَاهُ . وَلَوْ كُنَّ قِصَارًا لَسَرَحَ بَصْرَهُ ،
وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، فَخَفَضَ عَدُوَّهُ » .

(٦) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ .

(٧) ط ، هـ : « الْحَتُّ » س : « الْحَبُّ » ، صَوَابُهُمَا بِالْمَثْنَاءِ . انظُرِ التَّنْبِيْهَ الثَّلَاثَ .

«الحنظل . وبرايته : قوته على ما يبريه من السير^(١) . والسواعد : مجارى مخّه
في العظم وكذلك مجارى عروق الصّرع ، يقال لها السواعد .

قال : ونظنّ أنّما قيل لها ذلك لأنّ بعضها يُسعدُ^(٢) بعضاً ؛ كأنّه من
التعاون أو من المواساة^(٣) .

قال : والزّمخريّ : الأجوف . ويقال : إنّ قصب عظم الظّليم لا مخّ
له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظللُّ المخّ في هوائه^(٤) *

وواحد السّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخّ إلّا في الجوّفة^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفي بعض عظامه مخّ يسير . وكذلك المخّ قليلٌ في عظام الخنازير ،
وليس في بعضها منه شيء البتّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنّها مع عظم بيضها تكثُرُ عددَ البيض ، ثمّ تضع
بيضها طويلاً حتّى لو مددت عليها خيطاً لما وجدت لها منه^(٦) خروجاً عن
الأخرى ، تُعطى كلّ بيضةٍ من ذلك قسطه . ثمّ هي مع ذلك ربّما تركت

(١) ذهب ابن سيده في تفسير هذا البيت إلى أن «حت البراية» بمعنى منحت الريش
لما ينفض عنه عفاه من الربيع . والبراية : النحاة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفي ط ، ه : «يساعده» ، وأثبت ما في س .

(٣) ط ، ه : «المعاواة» ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) في القرطين (٢ : ٧٧) : * هاوٍ تفضل الطير في خوائه *

(٥) أى العظام الجوّفة .

(٦) أى من الخيط . وفي الأصل : «منها» .

بيضا وزهبت تلتمس الطعام ، فتجدُ بيضَ أُخرى فتحضنه . وربما حضنت
هذه بيضَ تلك ، وربما ضاع البيضُ بينهما .

وأما عددُ بيضها ورثالها فقد قال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسبي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو مُنقلبٌ^(١)
وفى وضعها له طولا وعرضا على خطٍ وسطرٍ ، يقول (٢) :

وَمَا بَيَّضَاتُ ذِي لِبَدٍ هَجَفٍ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعِ جَنِينَا^(٤)
يَبِيتُ يَحْفَهُنَّ بِمِرْفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَهَفَا فَأُثْنِينَا^(٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : « أخاك » . ه : « بالشي » ط : « بالسبي » .
وكل ذلك محرف . س ، ه : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحر الباهل ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥
ليسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى بالبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المن .
ط ، ه : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص
(٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر
الظلم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه في ط ، ه والمخصص
واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى
يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون .
ولفظه بكسر الهاء يقال لتواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت في الأصل ،
ورواية البرد : « قد وسقت » ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه
هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرا جنيها

فحدث فيه لذلك الوم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصن وهم أيضاً في شرح
هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما
هو في صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه بالحاف . ههفاها ، يعنى به الجناح . ونحنينا : أى =

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ فِي مَرَاقِحِهَا فُتِلُ صِلَابٌ مِيَا سِيرٌ مَعَا جِيلٌ (٢)
 يَدَا مَهَاةٍ ، وَرِجْلَا خَاضِبِ سَنَقٍ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولٌ (٣)
 هَيْتِي هِجَفٌ وَزَفَانِيَّةٌ مَرَطِي زَعْرَاءٌ ، رِيشٌ جَنَاحِيهَا هَرَامِيلٌ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلمحنهن هفهافا تخينا
 والوجه ما أثبت ، إذ أن الضائر راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة
 (هف) : « يبيت يحفهن بقفقيهن » . وفي مادة (قف) : « فتل يحفهن بقفقيهن » .
 ووقففا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشهاخ ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مطلعها :

بانث سعاد فدمع العين ملول وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أي تصرع . والضمير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات :
 المشدودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمراقعها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى
 مندحجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف
 ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه
 السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب
 طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل
 يجعل في لسانه عود لينعه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، مما
 شبع ، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل
 تحريفاً كبيراً ، ففي الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود
 لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة »
 صوابه في ط والديوان . س : « مخلول » صوابه في ط ، ه والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل)
 والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والحزف : السريع . والزفانية ، بالكسر
 كما في القاموس (زف) - السريعة . ط ، ه : « زفانية » س : « زفانية » .
 محرقتان . وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ،
 بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص واللسان -
 (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات .
 وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص واللسان .

- كأَنَّمَا مُنْثَى أَفْجَاعٍ مَا هَصَّرَتْ مِنْ الْعِغَاءِ بَلِيَّتَيْهَا ثَالِثٌ (١)
 تَرَوْحًا مِنْ سَنَامِ الْعِرْقِ فَالْتَبَطَّا إِلَى الْقِنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ (٢)
 إِذَا اسْتَهْلًا بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فَعَلَتْ بِمَا أَصَابًا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ (٣)
 فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدَتْ مَنَاكِبَهَا مِنْهَا الرِّثَالُ ، لَهَا مِنْهَا سَرَابِيلُ (٤)
 فَسَكَبَا يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ مَغْسُولُ (٥)

(١) يقول : كَانَ رِئُوسُ مَغَارِزِ الرِّيشِ الَّتِي هَصَّرَتْهَا تِلْكَ النَّعَامَةُ وَزَعَتْهُ ، بِشُورٍ ظَاهِرَةٍ . وَاللَّيْتُ ، بِالْكَسْرِ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . فِي الْأَصْلِ : « مِنْ الْفَقَارِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْعِغَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الرِّيشُ . س : « بَلِيَّتَيْهَا » ه : « بَلِيَّتَيْهَا » هَذَا الْإِهْمَالُ . وَصَوَابُهُمَا فِي طُ وَالِدِيَوَانِ .

(٢) تَرَوْحًا : أَيْ سَارًا فِي الرِّوَاكِ . وَسَنَامُ الْعِرْقِ : أَعْلَاهُ . وَالْعِرْقُ ، بِالْكَسْرِ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ ، أَوْ الْجَبَلُ الرَّقِيقُ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الرَّمْلِ . س : « الْعِرْفُ » بِالْفَاءِ ، وَهُوَ بِالضَّمِّ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ . وَأُنْبِتَ مَانِي ط ، ه ، وَالدِّيَوَانُ . وَالتَّبَطُّ : تَوَجُّهُهُ . وَالْقِنَانُ : جَمْعُ قَنَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ الْجَبَلُ السَّهْلُ الْمُسْتَوِيُّ الْمُنْتَسِطُ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْفَقَارُ » وَأُنْبِتَ مَانِي الدِّيَوَانِ . وَالْمَدَاخِيلُ : الْمُدَاخِلُ ، وَعَنَى بِهَا الْمُدَاخِلُ الَّتِي تَحْتُ الْجُرْفَ ، الَّتِي تَسْمَى الدِّحَالُ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « الْمَدَاخِيلُ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٣) أَيْ إِذَا اشْتَدَّ فِي الْجُرَى بِدَفْعَةٍ مِنْهُ فَأَنَّهُمَا يَخْدَدَانِ الْأَرْضَ بِمَنَاسِمَهُمَا . وَأَصْلُ الْاسْتَهْلَالِ شِدَّةُ انْصِبَابِ الْمَطَرِ . وَالشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنْهُ . فِي الْأَصْلِ : « إِذَا اسْتَهْل بِمَا أَصَاب » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مُوَافِقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ .

(٤) أَيْ وَجَدَا الْبَيْضَ وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْهُ الْفَرَاحُ الصَّغَارُ مَنَاكِبَهَا ، وَقَدْ عَلَاهُنَّ بَعْضُ قَشْرِ الْبَيْضِ وَمَانِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهْنًا كَالسَّرَابِيلِ . فِي الْأَصْلِ : « فَصَادَفَا » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا : « مِنْهُ الرِّثَالُ لَهَا مِنْهُ » وَهِيَ وَجْهَانُ جَائِزَانِ ؛ إِذْ أُنْ كَلَّ جَمْعُ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ الْهَاءُ نَحْوَ يَقْرُ وَيَقْرَةٌ ، فَإِنَّهُ يَذْكَرُ وَيؤنثُ . الْمَصْبَاحُ ص ٩٦٨ وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ . وَوَلَا بِنَ سَيِّدِهِ تَفْصِيلُ طَيِّبٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى . الْمُخْتَصَصُ (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يَقُولُ : مَا لَا إِلَى ذَلِكَ الْبَيْضِ يَنْزَعَانِ قَشْرَهُ عَنْ بَشَرِ تِلْكَ الْفَرَاحِ ، وَكَأَنَّ بَشَرَهَا وَرَقٌ ذَلِكَ النَّبْتُ حِينَ يَغْسَلُ . مَكَانُ « عَنْ بَشَرٍ » فِي ط : « أَعْيُنُهَا » وَفِي س : « عَنْ » فَقَطْ ، وَفِي ه : « عَنْهَا » وَتَصْحِيحُهُ وَإِكْمَالُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْبَشَرُ : جَمْعُ بَشْرَةٍ ، يَذْكَرُ وَيؤنثُ ، كَمَا فِي التَّنْبِيهِ السَّابِقِ . وَالْبَسْبَاسُ : نَبْتُ لَهُ أَوْرَاقٌ مِثْرَاكَةٌ شَقْرٌ . تَذْكَرَةُ دَاوُدَ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشعراء يشبهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بمنزِلِ العَظِيمِ وأشباهِهِ
من الأجواد ، بالنعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مَيَّادَةَ (١) :

وقلت لها لانعجلى كذلك تقرى الشوك ما لم تردد (٢)

إلى جامع (٣) مثل النعامة يلتقى عوازيه (٤) فوق

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيات إذا شئت (٥) روابدها مثل النعام العواطف (٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « ما لم تردد » . وفى هذا البيت والذى بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة
وجامع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، هـ : « عوازيه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر :
الشحم . وشئت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شئت » ، هـ : « العشار إذا شئت »
س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار .
والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدرٍ كحيزوم النعامة أحشيت^(٣) بأجدالٍ خشبٍ زال عنها هشيما^(٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلدة^(٥) حين أنشد شعر ابن النطاح^(٦) ، وهو قوله :

* والذئب يلعب بالنعامة الشارد *

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراجه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يُعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قبل هذا في هـ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحش القدر وأحش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحشمت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحامسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبيا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجدال : جمع جدل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجدال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والحشيم : المتشيم . ط : « هيشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

• والذئب يلعبُ بالنعامِ الشاردِ •

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعمتين اعتورتا ذئباً فهزمتاه (١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
فنقره أحدهما ، فتناول الذئبُ رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
فساوره فهزمه .

(جبن الظلم ونفاره)

والظلم يُوصف بالجبن ، ويوصف بالنفار والتوحش .

وقال سهم بن حنظلة (٢) ، في هجائه بني عامر :

إذا ما رأيتَ بني عامرٍ رأيتَ جفَاءً ونوكًا كثيرًا (٣)
نعامٌ نَجْرٌ بأعناقها ويمنعها نوكها أن تطيرا (٤)

(ضرر النعامة)

والنعامة تتخذها الناسُ في الدور (٥) ، وضررها شديدٌ ؛ لأنها ربما
رأت في أذن الجارية أو الصبيّة قرطاً فيه حجرٌ ، أو حبةً لؤلؤً ، فتخطفه

(١) اعتورتاه : تداولته . ه : « فهرسته » .

(٢) في الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان — صوابه حلوان — بن خويلد
ابن حرمان — كذا — الغنوي . قال المرزباني : شاعر شامى مخضرم » . وذكره
صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفي عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية في عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ في الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذن قد خرقتها اوربما رأته ذلك في لبته^(١) الصبي أو الصبيّة .
فتضربه بمنقارها ، فربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظلم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظلم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذُ أسيلُ كالمسنِّ وبركةٌ كجوجو هيتٍ دفه قد تموراً^(٢)
وقال عقبه بن سابق^(٣) :

وله بركة كجوجو هيتٍ ولبانٌ مضرّجٌ بالخضاب^(٤)
وقال أبو دؤاد^(٥) الإيادي :

-
- (١) اللية ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجوجو : الصدر أيضاً . والهيت : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما
يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط
عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد
سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عقبه بن سابق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفي
الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء
الأول ص ٢٧٣ .
(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء
الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرّج بالخضاب : ملطخ
بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره
بدم ما يسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣) :
(١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛
فيصيب فرسه نصيب من ذلك .
(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة
أبي دؤاد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المحيدين .

يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ (١)
وقال آخر (٢) :

كَانَ حَمَاتَهُ كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ (٣)
وقال أبو ذؤاد الإيادي :

كَالسَّيِّدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلْمَلَمٌ ضَرْبٌ (٤)
لَأَمُّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقْبٌ (٥)
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةً تَبِعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبٌ

القولُ فيما اشتقَّ له من البَيضِ اسم

قال العديس (٦) الكِنَانِي : باضت البُهْمَى (٧) : أى سقطت نِصَالُهَا (٨)

(١) أشق : بمعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بانضم : واحد الكراديس ، وهى رموس العظام . وفى الأصل : « نخل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شئ » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .
(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العديس الكِنَانِي : أعرابي فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عديس) ، أن العديس رجل كِنَانِي . وفى اللسان (مادة عديس أيضاً) ، « ومنه سمي العديس الأعرابي الكِنَانِي » . وفى الأصل : « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهيمى ، كحبلي : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان . فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبله البهيمى .

وباض الصَّيْف ، وباض القَيْظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأَسَدِيُّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا (١) قَتَّى مِنْ عِيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسْلَمًا (٢)
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بِيضَةَ الْبِيَّاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحْسُوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا (٣)
وقال الرَّاعِي ، يهجو ابنَ الرَّقَاعِ (٤) :

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتُكُمْ
يَا ابْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زَارِيفَاتِم بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضى اللهُ عنه : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »

ومنه بِيضَةُ الْإِسْلَامِ . وبِيضَةُ الْقَبَّةِ : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ (٥) .
والبَيْضُ : قلانس الحديد .

(١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجيناً ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصوامة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمي بذلك لدقة في رأسه .

وقال أبو حية النُميرى^(١) :

وصدَّ الغاياتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن ثَقَالِي^(٢) ١١١
رأيتُ الشَّيبَ بَاضَ على لِدَائِي^(٣) وأفسدَ ما عَلَيَّ من الجَمَالِ^(٤) !
وبَيضُ الجُرْحِ والحَرَاجِ والحَبَنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّديد ،
إذا خَرَجَ برئاً وصلح .

وقد يُسمون ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بَيضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
بيضاً ، وإن كانوا لا يرونَ قِشراً يشتملُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما
فيه حِضناً^(٥) .

والحِرْشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسلخ الحية يقال له
الحِرْشاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من
مخضرى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصدًا راجزاً من ساكني
البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
ليس بينه وبين الخشية فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) الثقالى : المباغضة . هـ : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لدائى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدملى . ط : « الحبن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
وصوابه في س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر :
بمعنى ما يحيط بالشيء . وأصله من حضن الجبل ، وهو ما يطيف به .

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللّفاء^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة في الدّعص مكنونةٍ أو دُرّةٍ سِيقتْ إلى تاجرٍ^(٢)
وقال في بيض الحديد :

كأنّ نعامَ الدّوّ باضَ عليهمُ إذا شامَ يوماً للصّريخِ المنددِ^(٣)
وقال الأعشى :

أتتْنَا مِنَ البطحاءِ يَبْرُقُ بِيضُهَا وقد رُفِعَتْ نيرانها فاستقلّت^(٤)

(١) في الأصل : « اللّفاء » ، وهي القصيرة الأنف الصغيرة . ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللّفاء : الضخمة الفخذين في اكنزاز واجتماع .

(٢) مكنونة في الدعص : خبأة في الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جلبت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .

والبيت في صفة كتيبة . جعل البيض الذي يحمى رموس الرجال شيها ببيض النعام ؛ لكثرة . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللطلم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ في رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفي أو لصوت مندد » ، وفي الأصل : « الممعد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) في الأصل : « أتينا » صوابه من أمالي ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتتم » . س ، ه وحامسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها في ه وأمالي وحامسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ اللَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَاقُمُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقِيضَتِ الْبَيْضَةُ ، وَالْإِنَاءُ ، وَالْقَارُورَةُ ، تَقِيضًا^(٢) : إِذَا انْكَسَرَتْ فِلَقًا . فَإِذَا هِيَ لَمْ تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وَهِيَ^(٤) مِتْلَازِقَةٌ ، فَهِيَ مَنْقَاضَةٌ انْقِيَاضًا . وَقِيضَ الْبَيْضَةِ : قَشَرَتَهَا الْيَابِسَةُ . وَغَرَّقْتُهَا : الْقَشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي بَيْنَ اللَّحْمِ وَبَيْنَ الصَّمِيمِ . قَالَ : وَالصَّمِيمُ : الْجِلْدَةُ .

= الأعرشي ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » .
ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعرشي يذكر فيها وقعة ذى قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :

فَارَاوَا وَثَرْنَا وَالْمَنِيَةَ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا هُبُورَةٌ فَتَجَلَّتْ
نَحَاسِيهِمْ كَأَسَا مِنْ الْمَوْتِ مَرَّةً وَقَدْ رَفَعْتَ رَايَاتِهِمْ فَاسْتَقَلَّتْ
وَمِثْلُهُ لِلْأَعْرَشِيِّ فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ جَيْشِ الْأَعَاجِمِ حَيْثُذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :

لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدِمُهُمْ مَطْبِقَ الْأَرْضِ تَغْشَاهَا لَهْمٌ سَدَفٌ
بِطَارِقٍ وَبَنُو مَلِكِ مَرَازِبَةٍ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّظْفُ
مِنْ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَحْرَزَهَا تِيَارَهَا وَوَقَاهَا طِينُهَا الصَّدْفُ
وَوَظَمْنَا خَلْفَنَا تَجْرِي مَدَامِعُهَا أَكْبَادُهَا وَجَلَا بِمَا تَرَى تَجِفُّ

وَانظُرْ بَقِيَّةَ الشَّعْرِ فِيهَا . وَلَوْقَعَةُ ذِي قَارِ الْعَقْدِ (٣ : ٣٧٤) وَالْعَمْدَةُ (٢ :

١٦٩) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٢) وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر .

ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر

٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعمر بن أوس .

(٢) ط ، ه : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، ه : « تنفلق » .

(٤) ط ، ه : « فبهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقمة^(١) .

قال الرّدَاد : غرقأت الدّجاجة بيضا ، فالبيضة مُغرّفة^(٢) . والخرشاء : القشرة الغليظة^(٣) من البيضة ، بعد أن تُثَقَّب فيخرج ما فيها من البلب ، وجماعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رداد : خرشاء الحية : سلخها حين تنسلخ^(٤) .
قال : وتعدى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبت على حلقة قلة ، فتناولها فقصعها بإبهامه وسبابته ، ثمّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت؟! فقال : بأبي أتمم وأمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !

وقال المرقش :

إن يغضبوا يغضب لداكم كما ينسل من خرشائه الأرقم^(٥)

وقال دُرَيْد بن الصَّمَّة في بيض الحديد^(٦) :

قال : ويقال في الخافر نزا^(٧) ينزو . وأما الظليم [فيقال^(٨)] قعا يقعو ،

١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الفرق » بالتذكير .

(٢) ط ، ه : « غرقات » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » ، ه : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، ه : « يسليخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصود والمدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، ه : « تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتمد بعد إلى شعر لدرديد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعاً^(١) وقِياعاً ، وقَعاً يقَعُو قَعَواً . فهذا مايسون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامِ .

وقال الرّاعي :

ورِجْلُ كَرِجْلِ الْأَخْدَرِيِّ يُشِيلُهَا وَظِيفٌ عَلَى خُفِّ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ^(٢)

وقال جران العود :

لَهَا مِثْلُ أَظْفَارِ الْعَقَابِ وَمَنْسِمٌ أَزْجٌ كَطُنُوبِ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ^(٣)

قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظليم ؛ وهو كالسِّكْرَاضِ من ماء الفحل .
وَأُنْشِدَ لابنِ أَحْمَرَ^(٥) :

وَمَا بِيضَاتُ ذِي لَبَدٍ هِجَفٌ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوِينَا^(٦)

وقال الطَّرِمَّاحُ :

سَوْفَ تُذَنِّبُكَ مِنْ لَيْسَ سَبْتَدَا ةٌ أَمَارَتُ بِالْبَوْلِ مَاءَ السِّكْرَاضِ^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قعياً » و س : « قيعاً » .

(٢) الأخدري : الحمار الوحشي . يشيلها : يرفمها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكري : « يقول : أظفارها كخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعام . والأزج : المقوس . والطنبوب : أنف عظم الساق » . في الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحمر » ، صوابه في س . وانظر ما سبق في ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٢٨ .

(٧) السبتاء : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاء » وهما لغتان يقال بالتاء وبالذال . أمارت : أسالت . وماء السكراض : ماء جوفها =

وربما استعاروا المناسم : قال الشاعر :

توعدني بالسُّجن والآدات^(١) إذا عدت تأظبت أدوات^(٢)

* تربط بالحبل أكبر عاتٍ *

قال : ويقال لولد النعام : الرّال ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحقّانٌ .

وحقّانة للواحدة ، والجمع حقّان ؛ وحسكل . ويقال : هذا خييطُ نعامٍ
وخييطان^(٣) . وقال الأسود بن يعفر^(٤) .

وكأن مرجعهم مناقفُ حنظلٍ لعب الرّئالُ بهاوخييطُ نعامٍ^(٥)

ويقال : قطيعٌ من نعام ، ورعلةٌ من نعام .

= من ماء الفحل . س ، ه : « سوف ينيك » ، وأثبت ماني ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في ه والديوان . والبيت من قصيدة للطرامح ، مطلقها :

قل في شط نهروان اغتاضى ودعاني هوى العيون المراضى

(١) كذا بالأصل .

(٢) وفي ط : « غدت » .

(٣) الخييط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمتكرر . وكان ينادم

النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بنى نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت روبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

منوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر »

صوابه في س ، ه .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج

حبه المسهي بالهييد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعْلَةُ : القِطْعَةُ مِنَ النَّعَامِ . وَالسَّرْبُ مِنَ الطُّبَّاءِ
وَالقَطَا . وَالإِجْلُ (١) مِنَ الظَّلْفِ .

وقال طفيلُ الغنويُّ في بيضة الحَيِّ (٢) وما أشبه ذلك :

ضَوَائِعُ تَنْوِي بِيضَةَ الحَيِّ بعدما أذاعت برِيعَانَ السَّوَامِ المعزَّبِ (٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى في هذا النبات ساعةً وفي هذا ساعةً :

قد عَقَّبَ يَعُقَّبُ تعقيباً (٤) . وأنشدني لذي الرِّمَّةِ :

ألهاه آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لائِحِ المَرْوِ والمَرْعى لَهُ عُقْبٌ (٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرأس : أصمغ ؛

وامرأةٌ صَمْعَاءُ . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ متصمماً (٦) : إذا ابتلَّتْ قُدْذُهُ (٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٢) في الأصل : « الحلي » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضوايع : تمد أضياعها في سيرها ، أي أعضادها . ط ، س : « صوائغ »

هـ : « صوائغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوي : تقصد . ط ، هـ :

« تنبى » س « تنبى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحلل » موضع

« الحلي » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحلي : معظمهم »

أذاعت : فرقت . وريمان كل شيء : أوله . « والسوام ، كسحاب : ما يصرح من

إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاي المفتوحة : الذي عزَّب

عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ،

تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « غضب يعضب تعضيماً » صوابه في س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، هـ : « آ . آ » بالتكرار . صوابه

في س .

(٦) ط : « أصمغ » هـ : « صمغ » س : « صمماً » صوابه ما أثبت من القاموس

واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قذذ السهم : جمع قذذة بالسهم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضَمَّت . وقال أبو ذؤيب :

* سَهْمًا فَحَرَ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعٌ (١) *

ويقال : أتانا بريدةٍ مُصَمَّعةٌ (٢) : إذا دَقَّقَهَا (٣) وحدَّدَ رأسَهَا .

وصومعة الرَّاهِبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمَعُ القلبِ : إذا كان

ذكيًّا حديداً [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمري لقد مرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظِيٌّ مُصَمِّعٌ (٤)

أراد : ماضياً .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد (٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائدي رى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدوره :

* فرى فأنفذ من نحوص عاظم *

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمغ) وديوان الهذليين (١ : ٨) ،
والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) في الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومعة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (صمغ) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد سحت له في الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .

والمواطس : جمع عاطس ، وهو ما استقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة

(صمغ) : « عواطس » كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع
كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمغ » بفتح الميم للمشددة ، وهو الصغير

الأذنين . وفي الأصل بدل : « ومر » : « ومى » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق في (٢ : ٣٢٦) .

أقبلت تُوضِعُ بِكْرًا لَا خِطَامَ لَهَا حَسِبْتَ رَهْطَكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

ويشبهه عظام جماجم الرعوس ببيض النعام . وقال الأعرج القيني^(٢) :

بَكَيْنَا بِالرَّمَاحِ غِدَادَةَ طَرَقَ عَلَى قَتْلِي بِنَاصِفَةِ كِرَامِ^(٣)

جَمَاجِمَ غَوْدِرَتٍ بِجَمَامِ عَرَقَ كَأَنَّ فَرَّاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)

وقال مقاتل بن طلببة^(٥) :

رَأَيْتُ سَحِيماً فَاقَدَ اللَّهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأْتِي أُيُورُهَا^(٦)

وقال السُّحَيْمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :

مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بِبَيْضِ نَعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبَشِّرْهَا فَأَنْتَ أَمِيرُهَا

وقال أبو الشَّيْصِ الخَزَاعِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الخَدْرِ :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطناً واحداً . والبكر أيضاً

ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع في سيرها ، أي تعدو عدوا خفيفاً . وفي الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى ، نسبة إلى معن طييء . واسمه عدى بن عمرو

ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القاتل :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قائماً

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والتداما

معجم المرزباني ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر في

البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « ناصية » ، صوابه في ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلببة بن قيس بن عاصم ، كما في عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلببة ،

بالتحريك . انظر للقاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بني حنيفة . وفاقده الله بينها : جعل بعضهم يفتقدون بعضها . ورواية

عيون الأخبار : « وتعيما » موضع : « وتأني » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن علي الخزاعي . وكان معاصراً =

وأبرز الخدر من ثنيته بيضته وأعجل الروع نصل السيف مخترط^(١)

متم تفديك منا كل غانية والشيخ يفديك والولدان والشمط^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كان فلاق الهام تحت سؤفنا خذاريف بيض عجل النقف طائر^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخدر :

وتجول بيضات الخدور حواسرا بمسحن فضل ذوائب الأبتام^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون بيض النعام إلا الأبتار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفي في نكت الهيمان ٢٥٧ وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثني ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحاف والمطاف . وقد ثني وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . مخترط : أى يستل من غمده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشط وشطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهي القطعة . والهام : الرؤس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذاريف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رهوسن . وفي الأسميات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما في الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيويه (١ : ٥٦) .

وَبَيْضَ أَفْقَنَا^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةَ بَيْضِ^(٢) كَالْحَبَاءِ الْمَقْوُضِ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرْمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ^(٤)

يعنى بالبييض ببيض النعام . وسماوة الشيء : شخصه . لأن الظلم لما

رآهم فزِعَ ونهَضَ . وهذا البيت أيضاً يدل على أنه فروقة^(٥) . ١١٤

وقال ذو الرمة في بيض النعام :

تراه إذا هبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرْدَقُ^(٦)

قال : والصَّبَا والجنوب تهبان في أيام يُبَسُّ البقل ، وهو الوقت الذي

(١) كذا في س ، هـ . وفي ط : « فلقنا » . وفي محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية
القال (٢ : ٢٩٤) : « رفنا »

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظلم . ورواية القالي : « جون » بمعنى ظلم
أسود .

(٣) الحباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، هـ : « كالحياء »
صوابهما في ط ، والمحاضرات والأمالى . والمقوض : المهذوم . وجمله كذلك حين
حضنه للبيض ورقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضناً لها . وقد أنث البيض
هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فاعول على اسم الفاعل . وفي الأصل :

« هجوم علينا » وصوابه في المصادر السابقة . وروى القالي وسيبويه : « بالشيخ »
مكان : « بالشخص » ، وهما بمعنى . والشيخ والشيخ ، بالفتح ، وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : للكثير الفزح ، يقال للمذكر والمؤنث . وله نظائر في
المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك في اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه
يقال للمؤنث « فروق » بزح الهاء . وفي أصل الكتاب : « روحه » وهو
تحريف لا يستقيم .

(٦) في الأصل . « ذرفت به » ، وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح
الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة للكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت
من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بجزوى هجت للعين عبرة فاه الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

يمشبه الأرباء يرى بركه يبيس الثرى نأى المناهل أخوق

يَتَقَبُّ النَّعَامُ فِيهِ الْبَيْضُ . يَقُولُ : دَرَجَتْ بِهِ رِثْلَانُ سَوْدٌ غَرَابِيبٌ ، وَهِيَ مِنْ بَيْضٍ هِجَانٌ : أَيْ بَيْضٌ . وَالذَّرْدَقُ : الصَّغَارُ ، وَهُوَ مِنْ صُغَرَ^(١) الرِّثْلَانُ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوي^(٢) ، وذكر كيف يأخذون بيض النعام :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوْحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعَقَّرٍ أَعْنَنَّ مِنَ الْخَنَسِ الْمَنَاخِرِ تَوَامٍ^(٤)

- (١) جمع صغرى . وفي اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهل فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : الحبر الغنوي . المؤلف ١٨٤ .
(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، ه :
« بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ وبما سبق في (١ : ٣٤٨) . ه :
« حمامة » موضع « مقامة » صوابه في س ، ط والديوان . ورواية القائل :
« نُبُوْحُ مَقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبلى عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت
لا تمتنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى
نار بيض نعام يصيبه راعيا فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معقر : مقتول بمرغ في العقر . س : « معقر » بالقاف . والأغنن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الظبياء . وفي الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
والأمانى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لضؤوكه وصغر جسمه .

هذه إبلٌ راعٍ معزِبٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوةٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فيبيله لا ترى ناراً سوى نارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الظباء والرثلان وبييض النعام^(٤) لأنَّ هذه كلها تعشى إذا رأت ناراً ، ويحدث لها فكرة فيها ونظر . والصبيُّ الصغير كذلك . وأوَّل ما يعابثُ^(٥) الرضيعُ ، أوَّل ما يناغى ، المصباحُ^(٦) . وقد يعترى مثل ذلك الأسدُ ، ويعترى الضفدعُ ؛ لأنَّ الضفدعَ ينقُ ، فإذا رأى ناراً مكثت . وهذه الأجناس قد تغترُّ^(٧) بالنار ، ويُختال لهاها .

(١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .

(٢) كتبت في الأصل ببيئات اليباء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازي وراي وعمي . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « النيران » بالثاء . صوابه بالنون كما في س .

(٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بييض النعام ليس بما يصطاد ، بل هو ما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بييض النعام في أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بييض النعام في أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعاينة ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعابث » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة بالملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .

(٧) تغترُّ : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابطة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغترُّ » ، صوابه في هـ .

(تشبيهه الغيوم المترامكة)

وتوصف الغيوم المترامكة^(١) بأنَّ عليها نعاماً . قال الشاعر^(٢) :
كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ^(٣)
وقال آخر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَاذْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْعٌ
حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلِهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعٌ^(٤)
بِمَنْتَصِكِ^(٥) عَرِ^(٦) النَّشَاصِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ^(٧)

(١) المترامكة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .
(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ربيب) - عن الأصمى - ومعجم
الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحصرى في زهر الآداب (١ : ١٧٧)
إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح
المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمى) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنياه هو
زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن
جلهمة ، كما في اللسان . وقيه :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسقى وجوه بني حنبل
أجش ملثاغزير السحاب هزير الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمال

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .
(٤) الحيا : الحصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .
والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفي القطم في شطاه
صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاةٍ
صُدُوعٌ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه . وعى
العظم : انجبر على عم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه
في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « ممتنك »
وأصله البعير يجبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جمه ممتنكا لثقله
وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظَلٍّ (١)
وَالنَّعَامُ فِي السَّمَاءِ (٢) . وَالنَّعَامُ وَالنَّعَامَاتَانِ مِنْ آلَاتِ الْبَيْتِ (٣) .
و [النعامة (٤)] : بَيْتُ الصَّائِدِ (٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلي (٦) :

- (١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، وربما استظل به وربما اعتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيهه بلفظه قوله : لا شيء في ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باقي و « مظلل » هي في الأصل « مضلل » وصوابه في المخصص .
- (٢) هي منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها في المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .
- (٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقمان بجبل ويمد طرفا الجبل إلى وتدين مئيتين في الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبي النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثلاثة فيصرن نعائم . في الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا البيت حيف بما أثبت .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) ط ، ه : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .
- (٦) البيت الآتي منسوب في اللسان (سرب) إلى أبي خراش الهذلي . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلي ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عنوا . أما عروة فقتل في الجاهلية وراثه أبو خراش بأبيات ضادية ، في الحماسة . وأما أبو خراش - واسمه خويلد بن مرة - فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات في زمن عمر . الأغاني (٢١ : ٣٨ - ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزائن (١١ : ٤٠٠ . سلفية) .

وذات رَيْدٍ كَزَنْقِ اللَّفَّاسِ مُشْرِفَةً طريقيها سَرِبٌ بالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
١١٥ لم يَبْقَ من عَرَسِها إِلَّا نَعَامُها حَلانٍ مَهْزَمٌ منها وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مسكن النعام)

وفي المثل : « ما يُجْمَعُ بين الأروى والنعام^(٣) » ؛ لأنَّ الأروى تسكن
الجبال ولا تُسهل^(٤) . والنعام تسكن السهل ولا تترقى في الجبال . ولذلك
قال الشاعر^(٥) :

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات
زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك :
أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن التون
لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الناس . ط ، هـ : « بزلف »
س : « بدلف » . وفي اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت .
وأما كلمة « الرخ » في اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية
تشرف على ما حولها . والطريق المرب — كسكتف — الذي يتتابع فيه
الناس . في الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه المهد
من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجبوب » صوابه في هـ .
ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذي يسلكه
الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطي البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف
ليكون البيت أدفاً . والنعام : الظلة . حلالن أى تلك النعام لها حلالن فيعض أجزائها
منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فطممنت . ومنصوب :
أى قائم . انظر مثيل هذا البيت في حواشى الصفحة السابقة . في الأصل : « مصبوب »
والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل في الميداني (١ : ١٢٦) وكنيات الجرجاني ١١٨ والسميري : « تكلم
فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفي اللسان .
« ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعام ؟ ! » . والأروى : جمع
أروية ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل في السهل من الأرض .
(٥) هو مهلهل ، كما في اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما في مختصر
تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت بدون نسبة في المقاييس (كدس) .

وَحَيْلٍ تَكْرُدُ بِاللِّدَارِ عَيْنَ كَمْشَى الوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَةِ (١)
وقال كثير :

يَهْدِي مَطَايَا كَالْحَيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَاطِ أَغْبَرَ شَاخِصِ الْأُمَيْالِ (٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسِمًا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بَرْتَالِ (٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلَّى من السحاب من قطع
الرياب :

(١) ط : « وتيل » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمختصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في المختصص واللسان والمختصر : « تَكْرُدُّسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مثلث . والدارع : لايس الدرع الحديدى . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفي الأصل : « الطاهر » صوابه من المختصص
واللسان والمختصر . وانظر ما سياتى في (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسي فى نحوها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأيمال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسم الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعت الراعى بالغم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هَلْ تَرَى بَرَقًا عَلَى الْـ جَبَدَيْنِ يُعْجِبُنِي أَنْجِيَابُهُ (١)
 مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهُ (٢)
 مِنْ النِّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (٣)
 وَقَالَ وَشَبَّهَ نَاقَتَهُ (٤) بِالظَّلِيمِ :
 وَإِذَا أَطَافَ لِبَابِهِ بِسَدَيْسِهِ (٥) وَمَسَافِرًا وَجَابَهُ وَتَزَيَّدَا (٦)
 شَبَّهَتْهُ هَقْلًا يُبَارَى هِقْلَةً رَبْدَاءُ فِي خَيْطِنِ نَقَاتِقِ أَرْبَدَا (٧)

(١) ياهل : أى يصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » . فى قراءة الكسافى ، وكقوله :

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سيمان من جار
 برقع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبل
 طيسى : أجأ وسلمى . وانجيايه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح
 الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انجيايه »
 تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحي . وفى الأصل : « متساقط » .
 و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين
 من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى ما لا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت ما فى س . ورواية الديوان :

« لَمَادَنَا قَرَدًا رَبَابُهُ » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدل من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيه » أو « جله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدَيْسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثَمَّى فَهَبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا »

(٧) المهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شهبته صعلا » . والصلل ،

بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
 والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

- وذكر زهير^(١) الظَّليمَ وأولاده ، حتى^(٢) شبه ناقته بالظَّليم :
- كأنِّي وردني وألقرابَ وتُمرُّقي على خاضبِ السَّاقين أُرعنَ نِقنقِ^(٣)
- رأى به حبُّ الصَّحارَى وقد رأى سماوةَ قشراءِ الوظيفينِ عَوْهقِ^(٤)
- تحنُّ إلى مثلِ الحبايرِ جُمِّمِ لدى سَكَنٍ من قِيضِها المتفلقِ^(٥)
- تخطمَ عنها [قِيضُها] عن خراطمِ وعن حدقِ كالنَّبَخِ لم يتفلقِ^(٦)
- النَّبَخِ^(٧) : الجُدري^(٧) .

= أى رمادية اللون . والحيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س : « نيط » هـ : « نيط » تصحيحه من الديوان . والتناقى : جمع نقتق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا » صفة لحيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان زهير ٢٤٥ أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى : « والفتان » وهو غشاء الرجل . والتمرق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليماً احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تناول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت ما فى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشئ . والقشراء : البيئنة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » وهـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت . والعوهق : الطويل : يستوى فيه الذكر والمؤنث . ط ، س : « عميق » هـ : « عميق » محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والحباير : جمع حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض : قشر البيض .

(٦) التكتلة من الديوان والأغانى . وفى ط ، هـ : « خراطم أسيح » . والنبخ : الجدرى . س ، ط : « كالمح » ، هـ : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السيح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ما أثبت .

(النعامه فرس خالد بن نضلة)

وكان اسم فرس خالد بن نضلة^(١) : « النعامه » . قال :

تَدَارَكَ إِرْحَاءُ « النَّعَامَةِ » حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَدْتُهُ إِلَى مُكَبَّلًا^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أَدِبَّ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسَامِنِي أَهْلِي^(٤)

رَهِينَةً فَعَرَّ الْبَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوَلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ^(٥)

(١) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأصبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ، كما في بلوغ الأرب . و « حنثراً » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت . وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صملوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصمك ، أن يلحقني الكبر فاهون ويضجر مني أهلي ؟ ! فهو يحتاج للتصمك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « ويأس في » ، هـ : « ويأس أهلي » ، صواب ذلك في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أي ملازم لا يبرح . وهديج الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شَبَّهَ هَدَجَانَ ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وَقَالَ أَبُو الزَّحْفِ ^(٢) :

أَشْكُو إِلَيْكَ ^(٣) وَجَعًا بَرَكْبَتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي ^(٤)

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْمَيْقَتِ ^(٥) *

وَقَالَ آخَرُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي ^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْنِقِ *

وَلَمْ يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

* أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي *

لَأَنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجَعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّيُوخَ ، وَوَجَعُ

الْمِرْفَقِ مِثْلُ وَجَعِ الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ

فِي شَيْءٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَشَبَّهَ بِهَذَا أَنْ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ .

(٢) أَبُو الزَّحْفِ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٩٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْمَرْهَفِ » ،

مَحْرَفَةٌ . وَالرَّجَزُ فِي الشُّعْرَاءِ ٦٦٩ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الزَّحْفِ . وَقَدْ نَسَبَ فِي نَوَادِرِ

أَبِي زَيْدٍ ٢٥٥ إِلَى (ابْنِ عُلُقَةَ التَّيْمِيِّ) ، بِرَوَايَةٍ أُخْرَى . وَأَرَاهُ رَجَزًا آخَرَ

اتَّفَقَ خَاطِرَا الْقَائِلِينَ فِيهِ . وَهُوَ بِغَيْرِ نِسْبَةٍ فِي أَمَالِي الْقَائِلِ (١ : ١٨٩) . وَنَسَبَ

فِي الْعَقْدِ (٢ : ٥٢) إِلَى أَعْرَابِي .

(٣) فِي الْعَقْدِ : « إِلَى اللَّهِ » .

(٤) فِي الشُّعْرَاءِ وَالنَّوَادِرِ وَالْأَمَالِي : « مِنْ مِشْيَتِي » .

(٥) الْهِيقَةُ : النِّعَامَةُ الطَّوِيلَةُ . وَقَدْ أَرَادَ : « الْهِيقَةُ » فَصِيرُ هَاءِ التَّأْنِيثِ تَاءٌ فِي الْمُرُورِ

عَلَيْهَا . فِي الْأَصْلِ : « النَّقْنِقُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ الرَّجَزِ ، وَتَصْحِيحُهَا مِنَ اللِّسَانِ

(هَلْجٌ ، هَيْقٌ) وَسَائِرُ الْمَصَادِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَاعِدَا الْعَقْدِ ، فَالرَّوَايَةُ فِيهِ أَشَدُّ تَحْرِيفًا .

وَرَوَى : « خَلْفٌ » مَكَانَ « حَوْلٌ » فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مَاعِدَا الْعَقْدِ .

(٦) الْمِرْفَقُ ، كَنَبْرٌ وَمَجْلِسٌ : مُوَصَّلُ الذَّرَاعِ فِي الْمَضْدِ .

(شعر فيه ذكر النعامه)

وقال ابن ميادة ، وذكر بني نعامه من بني أسد - وقد كان قَطْرِيُّ

ابن الفجاءة يكنى أبا نعامه^(١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ ببلدَةٍ نَعَامَةٌ ، مِفْتَاحُ الْخَازِي وَبَابُهَا
وهجا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فِجْعَلِ الْبَيْضَةِ الْفَاسِدَةِ مِثْلًا لَهُ ، ثُمَّ أَحَقَّ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكِرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرِ - فَقَالَ :

فإِنِّي عَلَى رَغْمِ الْعَدُولِ لَنَنْزِلُ بِمِثِّ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرِ^(٢)
أَيَا حَكَمِ السُّوءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعُ

فهل أنتَ إن هاجبتَ إلَّا من الخُضْرِ
وهل أنتَ إلَّا بَيْضَةٌ ماتَ فَرُخُهَا ثَوَتْ فِي سُلُوخِ الطَّيْرِ فِي بِلَدٍ قَفْرٍ^(٤)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرِ عِلْمَتُهَا وَسُلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ^(٥)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهي نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جمونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامه كنيته في الحرب ، ونعامه فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذة فات وجيء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامه » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الخضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلمه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمات : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأثني من ولد النعمانة : قلوص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف
والمنسم ، والخرمة ^(٢) ، وغير ذلك .

قال عنزة :

تأوى له قُلُوصُ النِّعَامِ كما أوتَ حِزْقُ بِيَمَانِيَّةٍ لأعجمٍ طِمْطِمٍ ^(٣)
وقال شيبان بن ضيرار ^(٤) :

* قلوص نعام زفها قد عمورا ^(٥) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيد الرئال فقال :

- (١) كذا . ولعلها : « يجمع » .
(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزيمة » محرفة .
(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظلم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنا أقص الإكمام عشية بقريب بين المنسين مصلم
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقة واللسان (قلص) . والقلوص
الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .
(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ — ٣٤ .
(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحها » محرفة . وعمور :
سقط . وصدر البيت :
- * وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فَأَضَحَتْ قَدْ خَلَتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَفًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حَلَالٍ (١)
١١٧ وَخَيْطًا مِنْ خَوَاصِبَ مُؤَلَفَاتٍ كَأَنَّ رِثْلَهَا وَرُقُ الْإِفَالِ (٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه (٣) :

لِعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ فِي قُرَيْشٍ كَأَلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظلم . يقال عرير عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صوابه في س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحبال حلال : أى أقوام مقيمون ، متجاورون . ينمت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواصب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثلها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، محرقة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ - ٤٠٨ . ويعدده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام

وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام

فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللثام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س :

هـ : « السيف » صوابهما ما أثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١)

وأمال القتال (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش »

وهناك بيت آخر يشبهه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦)

٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في

الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد

(٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنوا أنه أراد التبعيد ، فذكر
شيين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يرد هذا ، وإنما أراد ضعفَ
نسبه في قريش ، وأنه حين وجد أدنى نسب (١) انتحل ذلك النسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفرسَ الذى يقال له : « النعامة » ، وهو

فرسُ الحارث بن عباد ، التى يقول فيها :

قرباً مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنِ حِيَالِ (٢)

وقولُ الفرزدق (٣) :

تُرَيْكُ نَجُومِ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ (٤)

كرامُ (٥) بناتِ الحارثِ بنِ عبادِ

نساءُ أبوهنَّ الأغرَّ ، ولم تَكُنْ من الحتِّ فى أجبالها وهَدَادِ (٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حِيَالِ ، أى بعد حِيَالِ . والحِيَالِ ، بالكسر : ألا تحمل الدابة بولد . وقد قال

الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجة ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :

تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :

« أرتك » فى الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقولد .

لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها .

والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله ففسد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزابى كلام .

فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزدي . ط : « من الأزدي فى جاراتها .

وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) =

أبوها الذي آوى النعمامة بعد ما أُبْتُ وَأَيْلٌ فِي الْحَرْبِ غَيْرَ تَمَّادٍ (١)
وقد مدحوا بنات الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله (٢) :

جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ كَأَتَّهِمْ جَاءُوا بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ (٣)
ويلحق (٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيْفُ (٥) ،
وباضَ القَيْظُ (٦) . وقال مضرٌ س :
بِلَمَاعَةٍ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وَبَاضَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهُ وَحَرَارُهُ (٧)

= لكن في س ، ه : « من الحب في إحاطها » ، وتصحيح هذا التعريف من
الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعمامة » إشارة إلى قوله : قريبا مربوط
النعمامة . ط : « قاد النعمامة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية
الأغنى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدفى » . والتمادى : اللجاجة .
ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما
تحارب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه في
ثمار القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصييدها . وقد عدت هذه
حرش الضباب لؤما ومسية ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئا . انظر
تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثقل في
الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدأ هذا إلى نهاية بيت مضرس سساقط من س . وربما دل هذا
على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق
في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ماسبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القَيْظُ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في ه ، واللسان
(حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والخراثر : جمع
حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية
اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خُزَز بن لُوذَانَ)

وابن النعمامة : فرس خُزَز بن لُوذَانَ (١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٌ إِنَّ كُنْتُ سَائِلْتِي غَبُوقًا فَادْهَبِي (٢)
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي (٣) هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ (٤)

(١) خُزَز بزايين وبوزن عمر ، ابن لُوذَانَ ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهل ، كما فى الخزائة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خُزَز ، مثلها فى الخزائة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى حنّرة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحامسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بحيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة : ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقمحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقمحة : أى لبن ناقة لقمحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، ويشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالمشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهري الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، لسكنه جاء مسموعا كثيرا فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحيلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضِي^(١)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِدَجَهُ وَابْنَ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٢)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرَيْدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمُهَلَّلٍ^(٣)

وقال ذو الإصبع العدواني :

ولي ابن عمّ على ما كان من خلُقٍ مخالفٌ لي أقلبه ويقليني^(٤)
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني^(٥)

= وأثبت مافي هـ والبيان واللسان (ليب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :
« ظعيني » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذي تعني : هو ما ينتثار من
جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنتين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمل : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أي في أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ
مسبية ، لذلك قال : تكحلي وتخضبي » .

(٢) أي يحملك الأعداء حين تسمين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقواء العدو
فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أحوها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بريدها » هي في ط ، س « بريدها »
وفي هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « يرفعن »
هي في الأصل : « يدفنن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أفضسه ويفضني .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان

وقال أبو دُوادٍ الإياديُّ في ذكر الصَّيدِ ، وذَكَرَ فرَسَه :

وأخذنا به الضرار وقلنا بحقير بنانه أضمار^(١)
غأتانا يسعى تفرش أم ال بيض شداً وقد تعالَى النهارُ^(٢)
غير جعف^(٣) أوابدٍ ونعامٍ ونعامٍ خِلالها أثوراً
في حوال العقارب^(٤) العمر فيها حين ينهضن^(٥) بالصباح عذارُ
ثم قال :

يتسكفن من صرائع ستٍ قسّمت بينهنَّ كأسٌ عُقارُ
بين ربداءٍ كالمِظلةِ أفقٍ وظليمٍ مع الظلِّيم حمارُ^(٦)
ومهايين حربين ورتالٍ وسيوب كأنه أوتارُ^(٧)

(١) كذا جاء البيت محرفاً في الأصل . س : « الضرا » . ه : « فلنا » موضع

« وقلنا » . س : « بحقير » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعام . والتفرش : أن ترفرف بجناحها . في الأصل :
« وأنى يبتغى تفرس » ، صوابه في المعاني الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا في ط . وفي س ، ه : « في حوال القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، ه : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ،

وقد جاء مثل هذا في قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزيرة مثل البيت سائرُه *

وسينقئ مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلة » س ، ه : « كالمظلة »

صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمّتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن
الفاء للشعر .

(٧) كذا في س ، ه . وفي ط :

ومهايتين حرس ورتالٍ وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفي المعاني الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوتار » .

بانثاء المنشأة . قال ابن تتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبَّهها بأشياء منها^(١) ثمَّ أظنَّ

في تشبيهه إيَّها بالظلم :

تلاحظ السَّوطَ شزراً وهي ضامزة كما توجَّس طاوي الكشح مؤشوم^(٢)
 كأنَّها خاضب زُعرٌ قوائمه أجنى له باللوى شرى وتثوم^(٣)
 يظُلُّ في الحنظلِ الخطبان ينقفه وما استطفَّ من التثوم مخذوم^(٤)
 فوه كشقِّ العصا لأياً تبيَّنه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم^(٥)
 يكاد منسه يَحْتَلُّ مقلته^(٦) كأنه حاذرٌ للنخس مشهوم^(٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .
 (٢) نظر شزراً : أي بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاي : أي ساكنة خائفة . س ، هـ ، والديوان ١٣٠ : « ضامزة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفي . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذي في ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشي . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
 (٣) الخاضب : الظلم قد أحرقت ساقاه . والزرع : القليلات الريش . هـ : « ذعر » . مصحفه . روى في المفضليات : « قواده » . والشرى : الحنظل . والتثوم : نبت . وأجنى : أي أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أحنى » صوابه في ط : والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) ، والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .
 (٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهي الصفراء فيها خطوط خضر . في الأصل : « الخيطان » صوابه في الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج ليه . واستطف : أي بدا للاخذ . والمخذوم : المقطوع . هـ : « مخذوم » وأثبت ما في ط ، س ، والمفضليات . ورواية الديوان : « مخذوم » وهو المقطوع قطعاً وحيّاً .
 (٥) لأياً تبيَّنه ، أي لا تبيَّنه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتبيته » . س ، هـ : « لأياتبيته » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .
 (٦) المنسم ، كجلس : طرف خف النعامة . يَحْتَلُّ مقلته : ينفذ فيها وينظمها .
 (٧) المشهوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحين » هـ :

- حتى تذكُرَ بَيْنَاتٍ وَهَيَّجَهُ ۖ يَوْمُ رِذَاذٍ ، عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومٌ (١)
 فلا تزيدهُ في مَشِيهِ نَفَقٌ (٢) ولا الرِّيفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْثُومٌ (٣)
 يَأْوِي إلى حِسْكِ زَعْرِ حَوَاصِلِهَا (٤) كَأَمَّنَّ إِذَا بَرَكَنَّ جُرْثُومٌ (٥)
 وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جُوجُوهٌ ۖ كَأَنَّهُ بِنَاهِي الرُّوضِ عُلْجُومٌ (٦)
 حَتَّى تَلْفَافِي وَقَرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ ۖ أُدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ البَيْضُ مَرَكُومٌ (٧)

= « حارم التبخر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه الدجن » . ه : « معتوم » .
 (٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه :
 « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الرفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مشؤوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الرفيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابهما :
 « دردق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ه : « إذا ركب
 مرثوم » .
 (٦) الوضاع : الذى يعدو وضعا . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد
 التاء للمبالغة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجوجو : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى
 الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلق بالقطران . ولعمري لقد دار علقمة على
 رأسه ، فشبه نائته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، ه : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه
 ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
 (٧) تلافى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات .
 والسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى .
 س : « أرشى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ه :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (١)
 صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتِ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ (٢)
 نَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِبَةٌ تَجِبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٣)

(رَوِيَا النِّعَامَةِ)

الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل (٤)
 شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
 بكلام ، وأمّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تفتن ، فقال له : يا بنيّ اذهب
 إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعامةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرعى » صواب هذه : « يوحى » كما في
 الديوان والمفضليات . والإنقاض : صوت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت
 الدجاجة للبيض . وتراظن الروم : تكلموا برطابتهم . ويصح أن يكون حذف من
 الفعل إحدى التائين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراظن . والأفدان : جمع فدن ،
 بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرأيا » س : « أقرأها » ، صوابها
 في ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم
 على حال في هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء :
 التي لا تحسن شيئاً ، فهي تفسد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
 أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتاً أنهدم سريعاً » .
 وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهلوم . وهو من صفة البيت
 الذي شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الثنية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه . هقلة » محرف .
 والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صمقاء » محرفة . والزمار ،
 بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلني » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحَبَّأَهَا في بنى حنيفة^(١) . قال : فجئت
أبى فأخبرته ، فنافرته أُمِّي ، وما زالت به حتى اعترف أن له جارية
في بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنه من حديث الأصبعي مشهورٌ
ما ذكرته في كتابي .

(مسيلة الكذاب)

وأما قول الشاعرِ الهذليِّ في مسيلة الكذاب ، في احتياله وعمومه
وتشبيهه ما يَحْتالُ به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

بيضة قارورٍ ورأية شادنٍ وتوصيل مقصوص من الطيرِ جادفٍ^(٢)
قال : هذا شعرٌ أنشدناه أبو الزرقاء سَهْمٌ الخثعمي ، هذا [منذ^(٣)]
أكبرَ من أربعين سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظُ منها
إلا هذا البيت .

فذكر أن مسيلة طاف ، قبل التنبؤي ، في الأسواق التي كانت بين دور
العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات^(٤) ، كنعو سوق الأبلّة ،
وسوق بقة^(٥) ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة .

(١) أي في حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل
الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه :
« للسوق » ، محرقتان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت
الرأى » . ط ، ه : « لفة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتبس تعلم الحيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم
والمتنبئين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر
والخط^(٣) ، ومذهب الكاهن والعياف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي
يزعم أن معه تابعه^(٥) .

قال : فخرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صبَّ
على بيضة من خلٍ قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن
قشره الأعلى ، حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك ،
أو على قريب من ذلك - قال : فلما تمَّ له فيها ما حاول وأمل ، طولها ثمَّ
أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويديست . فلما جفت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس
به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام
الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب
نيرجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنسكت » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصم . س : « السدانة »
صوابه في ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه
الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الخازي فيه طيه حلوانا ،
فيقول : أقعد حتى أخط لك . وبين يدي الخازي غلام له معه ميل له - أي قضيب -
ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالمعجلة ، لئلا يلحقها العمد ،
ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء
الحاجة والنجاح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمانة للخيبة ، وبينما الخازي يمحو يقول
الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرها البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهي زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ،
وأصواتها وعمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أي جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضمت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَةَ (١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبةً ، وأنها جعلت له آية . فأمن به في ذلك المجلس مُجَاعَةَ (٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمامٍ ، وقد كان يراهن في منزل مُجَاعَةَ مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لمُجَاعَةَ : إلى كم ١٢٠ تعذب خلقَ الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لما خلق لها أجنحةً ، وقد حرمت عليكم قصّ أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَةَ كالتعنت : فسلك الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبت لك جناح هذا الطائر الذّكر السّاعة !

فقلت لسهم : أما كان أجود من هذا وأشبهه أن يقول : فسلك الذي أدخل لك هذه البيضة فم هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن (٣) القوم كانوا أعراباً ، ومثل هذا الامتحان من مُجَاعَةَ كثير . ولعمري إنَّ المتنبّي ليخدع (٤) ألفاً مثل قيس بن زهير (٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي اليماني ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم البصرة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليوم يذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، ه : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، كان يلقب بقيس الرأي ؛ لجروده =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسُ بسيله .

قال مسيلمة : فإن أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا^(١) : نعم . قال : فإنى أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخلوه معي^(٢) ، حتى أخرجهم إليكم الساعة وافى الجناحين يطير ، وأنتم ترونه . ولم يكن القوم سمعوا^(٣) بتغريز^(٤) الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمر المحتالين . وذلك أن عبيداً السكيس^(٥) ، فإنه^(٦) المقدم في هذه الصناعة ، لو منعه السّر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شيء من عمله جلّ ولا دقّ ؛ ولكان واحداً^(٧) من الناس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما^(٨) كان معه ، في جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . وقصب^(٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء في الجاهلية .

- (١) في الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .
- (٢) ط : « فأدخلوه . هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما في س ، ه . ومؤداهما واحد .
- (٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، ه .
- (٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش في جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف في اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغريز » ه . « بتغريز » ، وأثبت الصواب من س .
- (٥) كذا في الأصل . وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .
- (٦) ط : « فآته » س : « فآته » ، وصوابه في ه .
- (٧) ط : « واجدا » .
- (٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .
- (٩) قصب الريش : أنابيه . في الأصل : « قضيب » محرفة .

الرَّيشُ أَجْوَفٌ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَابٌ . فلما وَفَّى الطَّائِرَ ريشَهُ صارَ في العينِ كأنَّهُ بِرِذْوَنُ مَوْصُولُ الذَّنْبِ ، لا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ ارْتَابٍ بِهِ . والحمامُ بنفسه قد كان له أصولٌ ريشٌ ، فلما غُرِّزَتْ تمت (١) فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلكَ بطائرٍ قد كانوا قطوه (٢) بعد أن ثبتَ عندهم . فلما فعل ذلكَ ازدادَ مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرونَ لم يكونوا آمَنوا به ، ونزعَ منهم في أمره (٣) كلُّ مَنْ كان مستبصراً في تكذيبه .

قال : ثمَّ إِنَّهُ قال لهم - وذلك في مِثْلِ لَيْلَةِ مُنْكَرَةِ الرِّيحِ مُظْلَمَةٍ في بعضِ زَمَانِ البُوراحِ (٤) - إِنَّ الْمَلِكَ عَلِيَّ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، والملائكةُ تطيرُ ، وهى ذواتُ أجنحةٍ ، ولجىءُ الْمَلِكِ زَجَلٌ وخشخشةٌ (٦) وقعقةٌ ، فمن كانَ مِنْكُمْ ظاهراً فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنَّ مِنْ تَأَمَّلِ اخْتِطَفَ بَصْرُهُ ! ثمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّبِيانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصَّيْنِيِّ (٧) .

- (١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .
- (٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .
- (٣) أى صار في مذهبه ، وسار في نصرته .
- (٤) البوراح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كاف منها في القيظ .
- (٥) أى على وشك أن ينزل على .
- (٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشخشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .
- (٨) من خواص الورق الصينى النعومة والحسن والرفق والرقعة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى مسجابه زياد بن صالح في وقته أطلق - سنة ١٣٤ - من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ لبيسك ٣١ مصر : « الورق الصينى ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وتُجَعَلُ لها الأذنانُ والأجنحة ، وتعلّق في صدرها الجلاجل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالخيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول الملك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ عنهم حتّى قام جلُّ أهلِ النّمامة ؛ وأطنبت^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يروّون الخيوط ، واللّيلُ لا يُبينُ عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة الكاغد . وقد توهموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمِعوا ذلك ورأوه تصارخوا وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أبطقوا على نصرته والدّفِع عنه . فهو قوله :

ببَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوصٍ من الطيرِ جادِفٍ^(٥)
فقلت لسهم^(٦) : يكون مثلُ هذا الأمرِ العجيب ، فلا يقولُ فيه شاعرٌ ،
ولا يشيعُ به خبرٌ؟! قال : [أ^(٧)] وكلّما كان في الأرض عجبٌ ، أو شيء

(١) الكاغد ، يفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق : « خَارطيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جليل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرقة .

(٣) أطنبت الرّيح إطنابا : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرقة في الأصل فهي في ط : « طلبت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقتها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرقة . وسيترجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيعَ ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشَّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ
تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ للعربِ نَزَعُمُ أنَّ كسرىَ أبرويزَ ، وهو من أحرارِ
فارسَ ، من الملوكِ الأعظمِ ، وسليلُ ملوكِ ، وأبو ملوكِ ، مع حَزْمِهِ ورأيه
وكِمالِهِ ، خطبَ إلى النُّعْمانِ بنِ المنذرِ ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتهُ
ظئراً لبعضِ ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيهِ كسرى عبداً ، وهو مع
ذلكَ أَحْيَمِرُ أَقْيَشِرُ ، إمَّا من أشلاءِ قصيِّ بنِ معدِ ، وإمَّا من عُرضِ نخمِ .
وهو الذي قالوا : تَزَوَّجَ مومسَةً - وهي الفاجِرَةُ ؛ ولا يقالُ لها مومسَةٌ
إلَّا وهي بذلكَ مشهورةٌ - وعرفها بذلكِ ، وأقامَ عليها ، وهجىَ بها ولم
يُحْفِلْ بهجائهم . ومَّا زادَ في شهرتها قصةُ المرقشِ (١) . وناكها قُرَّةُ بنُ هُبَيْرَةَ (٢)
حينَ سبها . فعلمَ بذلكِ وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يرضَ حتَّى قالَ لها : هل
مَسَّكَ ؟ قالتَ : وأنتَ واللهُ لو قدرَ عليكِ لَمَسَّكَ ! فلم يَرْضَ بها حتَّى
قالَ لها : صِفِيهِ لِي . فوصفتُهُ حتَّى قالتَ : كأنَّ شعرَ خَدَيْهِ حَلَقُ الدَّرْعِ !
وبالِ عَلى رأسِهِ خلفَ بنِ نُوَالَةَ الكِنَانِي عامَ حَجِّ ، ونَصَّرَهُ عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو
ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو -
أو عوف - ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها
عمرأ . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما
في الأغاني (٥ : ١٨٣ - ١٨٤) . وفيها يقول - من قصيدة مفضلية مطلعها
(انظر المفضليات ٢٤٤) - :

ألا يا سلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً
(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم .
الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحقَّ سَبَبٍ (١) . وَخَطَبَ أَخُوهُ الْمُنْذِرُ إِلَى عبيدة بن همام ، فردّه
أَقْبَحَ الرَّدِّ ، وقال (٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا (٣) وقد طَرَقُونِي بِأَمْرٍ نَكْرُ
لَأَنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وهل يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرًّا لِحُرٍّ (٤)

ثمَّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتى
كان ذلك سببَ هربه وعِلَّةَ لقتله - فهل رأيت شاعرًا في ذلك الزَّمان
١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى (٥) كان منهم في يوم جُلُولِي (٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المثنى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص - فهل
سَمِعْتَ في ذلك بشعرٍ صحيحٍ ظريفٍ (٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المَفخَرُ (٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٤٦ ليسك . ونسباً في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بينوا » ، محرقة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التي
خطبها . في الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التمتع
ابن عمرو :

ونحن قتلنا في جلولا أثارا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولاء الوقيمة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتاب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج
السواد . وبها كانت الوقمة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المَفخَرُ » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من زِزار ، من خير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سلمى بنت الصّانغ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمّ كان نجله^(٣) لفعلٍ غير محمود .

وقد قال جبلة بن الأيهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَيَّ ورأيتني ، فأين أنا من النعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنعمان^(٦)] مع هذه المثالب كلّها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنبه الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أبرويزُ أعظمَ خطرًا ،

(١) ط ، ه : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أي ولادته . ط ، ه : « نجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغساني ، آخر ملوك الفساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والحزاة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخصلك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم لملك الفرس ، معرب « خَسْرَوٌ » أي واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلها » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلٌ عَلَى مَا يَدَّعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسْبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُودًا ظَاهِرًا ، وَمُرَدَّدًا^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِيضًا . فَإِذَا قَدْ
سَهِيَ أَنَّ يَكُونَ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَأْنُ مُسَيْلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعْرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
- وَيُكْنَى أَبَا مُنَمَّامَةَ :

لَهْنِي عَلَيْكَ أَبَا مُنَمَّامَةَ لَهْنِي عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ^(٤)
كَمْ آيَةٍ لِأَبِيهِمْ - مُ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةَ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصْلٌ
- مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِي) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُنْتَبِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حَدِيثِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةً أَحْتِيَالِيهِمْ ،
- وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا مَخَارِقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاطْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مُوجُودٌ .

(١) أَي أَنْفَةُ النَّعْمَانِ مِنْ مِصَاهِرَةِ كَسْرِي . ط ، هـ : « أَلْفَتُهُ » ، س : « الْفَتْنَةُ » .

وَالْأَوْضَحُ مَا أَنْتَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُورِدًا » . وَلَا تَتَجَهَّ .

(٣) أَي كَانَ مُسَيْلِمَةَ .

(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ » .

(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ » .

(٦) الْمَخَارِقُ : يَرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَعْيَابُ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمُشْعُودُونَ . وَاحِدَاهَا مَخْرَاقٌ .

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمَعْلَقَاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْمَخَارِقُ : مَا مِثْلُ بِالشَّيْءِ وَلَيْسَ بِهِ

نَحْوُ مَا يَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيَّانِ » . وَانظُرِ التَّنْبِيْهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْحَيَوَانَ

. (١٠ : ١) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافِ البرُّجُمِيِّ^(١) ، النُّعْمَانُ بنَ المنذر ،
في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغِ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللهُ ثُمَّ ثَنَى بِلَعْنِ ابْنِ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجُهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يِرْزَأُ الْعِدُوَّ فَتَيْلَا^(٤)

(سَهْمُ الحَنْفِي)

وكان سَهْمُ الحَنْفِيُّ يَلِي طَبْرِسْتَانَ^(٥) ، لمعن بن زائدة^(٦) ، مع حداثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعةٌ وَقَدْرٌ في نفسه .

«(١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
خبران مع حاتم الطائي والنايفة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ - ١٤٦)
ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع النايفة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجا في النعمان على لسان النايفة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد
ذلك على النايفة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، والمفضليات ٣٨٣ والحجاسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

«(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

«(٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

«(٤) يرزوه : ينقصه . ط : « يرزه » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

«(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

«(٦) معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدَّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحَسَدِ
العربِ لهم على دارهم وتحوُّمهم وَسَطِ أَعْدَائِهِمْ ، حتى كأنهم وَخَدَهُمْ (١)
يَعْدِلُونَ بِكَرِّهَا كُلِّهَا - ومع ذلك لم نَرِ قَبِيلَةً قَطُّ أَقَلَّ شَعْرًا مِنْهُمْ . وفي إِخْوَتِهِمْ
١٢٣ عَجَلِ قَصِيدٍ وَرَجَزٍ ، وَشِعْرَاءَ وَرَجَّازُونَ . وليس ذلك لمكان (٢) الخِصْبِ
وَأَتَمِّهِمْ أَهْلُ مَدَرٍ ، وَأَكَالُو تَمْرٍ (٣) ؛ لِأَنَّ الْأَوْسَ وَالخَزْرَجَ كَذَلِكَ ، وَهُمْ
فِي الشَّعْرِ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ . وكذلك عَبْدُ الْقَيْسِ النَّازِلَةُ قَرَى الْبَحْرَيْنِ (٤) ، فَقَدْ
تَعَرَّفَ أَنَّ طَعَامَهُمْ أَطْيَبُ (٥) مِنْ طَعَامِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ .

وثَقِيفٌ أَهْلُ دَارِ نَاهِيكَ بِهَا خِصْبًا وَطَيِّبًا ، وَهُمْ وَإِنْ كَانَ شَعْرُهُمْ
أَقَلَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى طَبْعٍ فِي الشَّعْرِ عَجِيبٍ . وليس ذلك مِنْ

= متنقلا في الولايات، ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقيين ،
فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد
ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد
هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه .
وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة .
ورثاه مروان بن أبي حفصه بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان
والأغانى وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المسكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أكالو التمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه
من س ، ه .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت
من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أخيب » . وهو عكس المراد .

قَبِيلِ رِداةِ الغِذاءِ ، ولا من قِلَّةِ الحِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى (١) عن النَّاسِ ؛
وإنَّما ذلك عن قَدْرٍ ما قَسَمَ اللهُ لهم من الحِطْوَظِ والغِرائِزِ ، والبِلاَدِ
والأعْراقِ مِكانِها .

وَبنو الحارثِ بنِ كعبِ قَبيلُ شَريفٌ ، يَجْرونَ مِجارِيَ ملوكِ اليَمَنِ ،
ومِجارِيَ ساداتِ أعرابِ أَهلِ نَجْدِ ، ولم يَكُنْ لهم في الجاهليَّةِ كَبيرُ حَظٍّ
في الشَّعرِ . ولهم في الإسلامِ شَعراءُ مَفْلِقُونَ .

وَبنو بَدْرِ كانوا مَفْحَمِينَ (٢) ، وكان ما أَطلقَ اللهُ بِهِ ألسنةَ العَرَبِ (٣)
خيرا لهم من تَصْويرِ الشَّعرِ في أَنفُسِهِم .

وقد يَحْطِى (٤) بالشَّعرِ نَاسٌ وَيُخْرِجُ (٥) آخَرونَ ، وإن كانوا (٦) مِثلَهُم
أَوْ فَوْقَهُم . ولم تُمدَحْ (٧) قَبيلَةٌ في الجاهليَّةِ ، من قُرَيْشٍ ، كما مُدحتْ

(١) في الأصل : « والغنا » .

(٢) في القاموس : « المضم ككرم : العيبى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا
جاءت العبارة .

(٣) أى ما أطلق به ألسنة الشعراء في مدحهم ، فن ذلك قول حاتم الطائي (الأغاني ١٦ : ١٠٤)
والديوان (١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى في بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فتعـم الحى في العوصاء واليسر
فصقيت بالماء النير ولم ينظر إلى بأعين خزر
النصارين لدى أعتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيثهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر
وانظر مديح دريد بن الصمة لهم في ٣٥٨ .

(٤) ط ، ه : « يحظا » ، س : « يخطأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا في س ، ط ؛ وفي ه : « يجرح » ، وربما كانت : « يحد » أى
يسوء حظه .

(٦) س ، ه : « كان » ، صوابه في ط .

(٧) س ، ه : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيأ من الشاهد والمثل لمادح في أحد من العرب ، ما تهيأ
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبهِ ، شعر كثير ، كشعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبد العزيز بن مروانَ أَخْطَى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحدٌ من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أَخْطَى

(١) هو زُرارة بن عدس ، بضمّتين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم رحرحان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

ياليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميمس لابل تميمس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاذه

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » .

ه : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على

الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كمرى على

مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ

الأرب (١ : ١٢٥) فهي متممة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار

ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمال للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله

الحارث بن ظالم ، ألف بغير ، وهي دية المنوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد

(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس

الرقيات . ط ، س «أخطأ» ، ه : «أخطأ» ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)

حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرّشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيّد^(٢) وعمه^(٣) ، ممن أحظاه^(٤) الشّعْر .

وما أعلم في الأرض نعمة بعدَ ولّايةِ الله أعظمَ من أن يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ في الأفاعى والنّعام .

واعتمد من ادّعى للنّعام الصّمّم بقول علقمة :

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظنّب في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النخعي ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه :

« أحظأ » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيّد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النخعي . ورثاه أبو موسى التيمي بمريثة سمها الرشيد فسكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة ملأها من دموعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظي بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأ » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جمعه ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يبينه » . س : « أسد » ه :

« أشد » كل منهما يدل « أسك » محرف .

قال (١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذَكَرَ (٢) لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والتَّلج بارد ، والنار حارَّة . [و (٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسَمَعُ هذا الصَّوت ؛ لأنه لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ

حَتَّى تَلْفَى وَقْرُنَ الشَّمْسِ مَرْتَفِعٌ أَدْحَى عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ (٤)
يُوْحَى إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَتَقْنَنَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (٥)

ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيهٌ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٦)

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله (٧) :

وَصُحْمٌ صِثَامٌ بَيْنَ صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ تُوَامٌ بَيْنَ مِيثٍ وَمِذْنَبٍ (٨)

- (١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .
(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع الذي ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرخى » محرفتان .
(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أنداها » . وهي صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدأها » ، محرفة عن سابقتها .
(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .
(٧) هو ليبيد . اللسان (صح) .
(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو مافى لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما في اللسان . ط ، ه : « صخيم » س : « صخيم » محرفتان . والصثام : جمع صثم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنم » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ مُجِيبٌ زِمَارًا كَالرِّعَاعِ الْمُثْقَبِ (١)
وقال الطَّرِمَاحُ :

يلدعو العرَّارُ بها الزِّمَارَ كأنَّهُ أَلِمَّ تجاوبُهُ النَّسَاءَ العُودُ (٢)

قال : وصَوَّتْ النعامَةُ الذَّكَرُ : العِرَارُ (٣) . وصوت الأثني : الزِّمَارُ .

وأشدَّ الذي زَعَمَ أَنَّهُمْ لَا تَسْمَعُ (٤) ، قول أسامة بن الحارث

الهذلي (٥) :

تذكَرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّدًا كَمَا ذَكَرْتُ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ (٦)

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين ضمير ورجله » تصحيحه من اللسان . ويصنق تؤام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، ككثير : مسيل الماء .

(١) العرَّار ، بالكسر : صياح الظليم . وفي الأصل : « عوارا » محرفة . والزمارى بالكسر : صوت أثنى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت . وسيماد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما كفرح - وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا »

وفى الجميع : « فاقدًا » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا ما فى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهْيِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ. إِمَّا يَعْصِيَنَّكَ خَالِدٌ^(١)
 وَأَمْهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٢)
 وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ . ولو عني أن عمَّاهم كعمى العميان ،
 وصمَّهم كصمَّ الصَّمان ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
 قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ . وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا
 تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . وكيف تسمع المدبر عنك !
 ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمَى وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذلي :

* تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنهي ،
 وسكت - كان أبلغ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمَعُ
 الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :
 رِدِي رِدِي وَرِدَ قَطَاةٍ صَمًّا^(٤) كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَاءِ^(٥)

(١) في الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
 الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
 « وإني قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصافى فقد بالغت في نهيهِ .

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما
 يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشردا » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق
 منه قوله : * ورود قطاصم تشايجن في ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غير الألوان ، رقت
 الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط =

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثنيا ويرُدُّها^(٢) .

وأُنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا^(٣) دعوت به ابن الطَّوْدِ أَوْ هُوَ أَمْرَعُ

وَالطَّوْدُ : الجبل . وابْنُهُ : الحجر الذي يَتَدَهَّدُهُ^(٤) منه ، كقوله^(٥) :

* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ^(٦) مِنْ عَلِيٍّ *

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بَصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمِّ الْأُذُنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واللسان (صم) وشرح محب الدين أفندي لشواهد الكشاف .

استشهد به للزخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من

سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفي اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصمها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندي

بأنها لا تسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) في اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفي أساس البلاغة : « كليبا » س ،

ط : « وكأنا » ، وأثبت مافي ه واللسان والاساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ه : « يدهذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن

« يتدهلى » ، وهي لغة في يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدوره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب في س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران

غاضت إحدىها .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفي الأصل : « بصيرة » تصحيحه

من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس

يسمع فيه صدى الصوت . في الأصل : « أصم » بدون واو ، وهي ضرورية لوزن الشعر .

والبيت من مشطور المريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ بَيْرَانٌ^(١) ، وَالْأَبَارُ أَعِينٌ ، فَغَوَّرْتُ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ^(٢) وَتُرَكَّتِ الْأُخْرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذُنَيْنِ » لِمَا^(٣) أَنْ كَانَ عِنْدَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنْ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا أَصَمًّا ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارث بن حلزة^(٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٨) ،

حيث قال :

وَلَقَدْ أَسْتَعِينُ يَوْمًا عَلَى اللَّهِ مَّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوَى الثَّوَاءُ^(٩)

(١) كذا جاءت في الأصل ، بتسهيل الهجزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه في س ، هـ .

(٤) أي عند المنهل .

(٥) في الأصل : « فضل و خلاء » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أي لأن . وحذف الجار مطرد في مثل هذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما في س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهل من بني يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التي قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرقة بن العبد » .

(٨) في الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهي السرعة . وأما « الثواء » فهي قافية لمطلع المعلقة :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

زفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُمُّ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
نَمَّ قَالَ :

آنَسَتْ نَبَاةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)
فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشَى مَنِينًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
ولو قال : « أَفْزَعَهَا^(٤) الْقُنَّاصُ » ولم يقل : « آنَسَتْ نَبَاةً » - والنَّبَاةُ
الصَّوْتُ - لَكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمُّ صِلَابٌ مَايَقِينُ مِنَ الْوَجَى . كَأَنَّ مَكَانَ الرَّذْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والرثال : أولادها .
دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء .
س : « صنعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المملقات : « سفعاء »
أى عالية .

(٢) آنست نباة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
فحمل الضمير على المعنى » . والمئين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى
بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالسكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء :
أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو يخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى :

أن يجد الفرس فى حافره وجماً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .

ط ، س : « تمين » هـ : « تمين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان

(وقى) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرجا » صوابهما من المصدرين

السابقين . والرذف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإعما يعني أعمها مُصمّمةٌ غير جوفاء . وقال الآخر :

قَلْ ما بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصْمٌ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
مصمت . وقال الشاعر :

* وأسأل^(١) من صماء ذاتِ صليل *

وإعما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشافةً ، تسأل^(٢) الماء : أى تريده
وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صماء .

(ذكر الصمّ في القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ^(٣)﴾
وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهَمُّ لَا يَعْقِلُونَ^(٤)﴾ . وذلك
كلّه على ما فسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فذلك شبهها بعجز الرأل . والرأل ، أصله الهمز ، وخففه لمكان
القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل للشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
(١) س ، هـ : « وأسأل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ،
وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسأل » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُماً وَعَمِيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ
الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنتره :

ظَلَلْنَا نَكَرُ المَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ صُمَّ السَّمْهَرِيِّ المَثْقَفِ^(٣)

وقال العجبر السلولي :

وقد جَذَبَ القَوْمُ العَصَائِبَ مَوْخِرًا ففِيهِنَّ عَنْ صُلْعِ الرِّجَالِ حُسُورُ^(٤)

فَظَلَّ رِدَاءُ العَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسَ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرِ^(٥)

لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِنَّ فَطُورُ^(٦) ١٢٦

وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السهوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسهمري من الرماح : هو الصليب العمود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : « المثقب » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم وخرصان لدن السهمري المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلي بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالألف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والتسواحي . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها لعدن وقد باتت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ (١)
لَا تَشْكِي (٢) شَرَّ جَارَتِهَا خُلِقَتْ غَلِيظَةً الْكَبِدِ
وَقَالَتْ جُمَلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لِاسْلِمٍ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكَلِّ رُدْبِنِي وَأَبْيَضَ ذِي أَثَرٍ (٣)
وَحَتَّى تَرَوْا وَسَطَ الْبُيُوتِ مُغْيِرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ (٤)
تَيِّبِينَ لِيذِي الشُّكِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُهُا أَلَا عَمِي وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ (٥)
وَقَالَ دَرِيدٌ :

مَتَى كَانَ الْمَلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (٦) عَلَى وَايَةِ صَمَاءَ مِثِّي (٧)
(مثل وحديث في الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ (٨) » ، قال : فأصله أن

- (١) كيد ، بفتح فكسر : اسم جبل . في الأصل : « كبدى » !
(٢) في الأصل : « تشكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .
(٣) الرديني : الزئبق المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هي وزوجها سمير يقومان القنن
بخط حجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س :
« أثر » هـ : « أسر » ، صوابهما ما أثبت .
(٤) مغيرة : أى خيلا مغيرة هاجمة بأربابها . ط : « خاشية للذعر » . وأثبت صوابه
من س ، هـ . وللعرب مجاز في مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبرا ،
كما قال المرار :

وحشوت الغيظ في أضلعه فهو يمشى حظلانا كالنقر
وكما قال المسعودي :

ولا تأنفا أن ترجما فنسلما . فاحشى الإنسان شرأ من الكبر

- (٥) تيبين : تظهر هـ . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .
(٦) القطين : تبع الرجل وماليكه وخدمه .
(٧) كذا جاء هذا الشطر .
(٨) يضرب مثلا في الإسراف في القتل وكثرة الدم . الميداني (١ : ٣٥٩) .

يكثرُ القتلُ وسفكُ الدِّماءِ ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرض لم يُسمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لا تلتقي صلابَةَ الأرض .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحمُ بلغت الدِّماءُ الثَّنَّ (١) » ، يعنى ثُنَّ (٢) الخيل ، وهو الشَّعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب (٣) :

وَيَذِي نَحْوَةَ الْمُخْتَالِ عَنِّي جِرَازُ الْحَدِّ ضَرَبْتُهُ صَمُوتَ (٤)

لأنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظْمِ مَرًّا (٥) سَرِيعاً فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتٌ - كان

في معنى الصامت (٦) .

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر رسع الدابة . ط ، هـ : «السن» س : «الس» ، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : «بلغت الدماء الثنن» في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : «سن» ، س : «بين» محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محين . وكان من رجالات قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعيزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) يغبى : يبعده . ونحوه المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم ، ماضيه ونافذه . وانظر ما سياتي في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينقى الجاهل المختال عنى رفاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نحوه المختال عنى رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : «مر» ، صوابه في هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميادة :

متى أدعُ في قَيْسِ بنِ عَيْنَانَ خائفاً إلى فزاعٍ تُرَكَّبُ إلىَّ حَيوُلها^(١)
بلمومة كالطودِ شهباء فيلقِ رَداحِ يَصمُّ السَّامِعِينَ صليلها^(٢)
لأنَّ الصَّوتَ إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفهمَ معناه ، إن كان صاحبه أراد أن
يخبر عن شيء . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغَى^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
من الفهم . فإذا لم يفهما^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَى
بإسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحول من
جوارهم في آخرين فأذوه ، فقال : « بِكَلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٧) » .

(١) المراد بالحيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « يا خيل
الله اركبي » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلىق : الكتيبة السليبية . والرذاح ،
بالفتح : الكتيبة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : للصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوت
ذوات الخلف . هـ : « وها » ، صوابها ما أثبت .

(٤) س : « نفهما » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . عل لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعَيْسُ صُعْرٌ مِنَ الْبَرَى وَأَخْفَافَهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِيفٌ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذي ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلتم في صمم النعام بقول

زهير :

[أَصَكَ مُصَلِّمٌ الْأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَنُومٌ وَآءٌ^(٢)]

ويقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزْمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو في موضع الحرمة^(٥) من البعير :

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها

تَجْمَعُ الشَّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي

للحمير والدواب لكان كذلك . والمصامة : السك التي ليس

لأذنها حجم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى :

جمع برة ، وهي الحلقة توضع في أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقه أثبتته اعتماداً على ماسيات

في ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والمقول . وفي اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل

له خزم لثقب في منقاره . وعجز البيت في المقاييس (خزم) .

(٤) في الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) في موضع الحرمة ، أي ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبيه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها في ص ٣٢١ . في الأصل : « الخزيمة » . ولا تصح ، فإن الخزيمة هي

الحلقة التي توضع في الحرمة . وانظر ماسبق في ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمعُ وتفهم الزَّجرَ ، وتجيب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتي للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفعُ والوضعُ^(٣) عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلاً ، وجعل آذان النعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْمٌ فالظنُّ كله كذلك إلاَّ الخفَّاش^(٤) . وكلُّ شئٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْمٌ آذان . ففي قَصْدِهِم هذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حَجْمٌ ، دليلٌ على أنَّ تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فوه كَشَقُّ العَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسَكُّ مَا يَسْمَعُ الأصواتَ مَصلومٌ^(٥)
وقالت كبشة بنت معد يكرب^(٦) :

- (١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم للكلام .
- (٢) في الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لوجه لوجودها .
- (٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .
- (٤) س : « لا الخفَّاش » ط : « الألفَّاش » . وأثبت الوجه من هـ .
- (٥) كذا على الصواب في هـ . وفي س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه في ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك في ٣٨٣ .
- (٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معد يكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حساسة أبي تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأما القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانه (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لىاب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، ففضبت هى وقالت الشعر تحفضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دَمِي^(١)
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتِ بَصْعَدَةَ مُظْمًا^(٢)
جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ^(٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ^(٤)
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا لِأَخِيكُمْ فَشَوْا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ^(٥)
فلو كانت إتماماً تريد أنه ليس لمسامعها حجماً ، كانت الدنيا لها معرضة .
وقال عنزة :

« (١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » محرفة .
وفي ط : « لا تغلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلاً . والعقل ، بالفتح :
الدية . وهي رواية الحماسة وأمالى القائل (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمالى
(٣ : ١٩٠) : « ألا تتخلوا » . وفي حماسة البحرى : « ألا يعلوا » تحريف
رواية هـ .

« (٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره
مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاه قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
من معنى تحقير الدية .

« (٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتهم قومكم . ورواية الأمالى :
« قومه » ، وفي الخزانة : « سيد قومه » .

« (٤) بنى مازن ، أى يابى مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاي . وكذا في الأمالى .
لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ،
كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرمى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن
فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زيد ، فلطمه عبد الله
وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغاني
(١٤ : ٣٢) . والرواية في الأغاني :

أَيَقْتَلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيْدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ
« (٥) هـ : « لم تغلوا » محرفة . وروى : « لم تتأروا واتديتم » و : « لم تغلوا واتديتم » .
و : « لم تتأروا بأخيك » .

وكأما أقصُ الإكامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمَنَسَمِينَ مُصَلِّمٌ (١)
تأوى له حِرْزُ النَّعَامِ كما أوتُ حِرْزُ يَمَانِيَّةٍ لَأَعْجَمَ طَمَطَمٍ (٢)
ولو كان عنترة إنمّا أراد عدمَ الحُجْمِ ، لقد كانت الدُّنيا له معرضة .
وقال زُهَيْرُ :

بَارِزَةُ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنَهَا قِطَافٌ فِي الرَّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ (٣)
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعَلٍ مِنَ الظَّلَامِ جُوجُوهَ هَوَاءٍ (٤)
أَصَكَّ مُصَلِّمِ الْأُذُنِينَ ، أَجْنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَنُومٌ وَآءٌ (٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإننا لا نقول ذلك ، ولكنّ العرب في أمثالها تقول : إنَّ
النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أُذُنَيْهَا (٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشاعرُ الظَّليمَ ، وذكرَ أَنَّهُ مُصَلِّمُ الْأُذُنِينَ ،

(١) يقول : كأنما أكر الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كجلس :
الظفران المقدمان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً . و « بين »
تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدمجة .
س : « بيارزة » ، ه : « الفقاوة لم يجبا » ، صوابه في ط وديوان
زهير ٦٧ واللسان (آرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من بابي ضرب ودخل - :
أسادت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت
من غير علة .

(٤) جوجوه هواء : أي صدره فارغ لاقب فيه ، فهو كالمدعور يسرع العدو هرباً .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوبين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثير ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صكّاء . وسواءٌ قال صكّاء ، أو قال نعامة ، كما أنه سواء قال خنساء أو قال مهاة ونعجة وبقرة وظبية ؛ لأن^(١) الظباء والبقر كلها فطس خنس . وإذا سموا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاة وظبية . ولذلك قال المسيّب بن علس^(٢) في صفة الناقة :

صكّاء ذعلبة إذا استقبلتها حرج إذا استدبرتها هلواع^(٣)

فتفهم هذا البيت ، فإنه قد أحسن فيه جداً .

والصكّاء في الناس ، والاصطكاك في رجلى الناقة عيب^(٤) . فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب^(٥) ، ولكنّه لا يفرق بين قوله [صكّاء ، وبين

(١) من مبدأ : « قال صكّاء » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٢) المسيّب ، كمعظم ، بدأ ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيّب ، حين أوعد بني عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سينك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريمة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وصواب إنشاده ، كما في اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكّاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

قتيل حاجتها إذا هي أعرضت بخميصة سرح اليمين وساع

(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي ه : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي ه : « فلوم يكن يصفها » . الخ .

قوله^(١) [نعامة^(٢)] ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بغير^(٣) . قال الراجز :

لِي لِي أَنْكَرَ أَوْ تَوَسَّمَا أَخُو خَنَائِرَ يَقُودُ الْأَعْلَمَا^(٤)
كأنه يقول : يقودُ بغيراً . وهو كقول عنزة :

سُوحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُّو قَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ^(٥)

(ردّ مدعى الصّم)

فقال من ادّعى للنّعام الصّم : أمّا قولكم : من الدّليل على أن النّعام
تسمع قول الشاعر :

* تدعو النّعام به العرّار^(٦) *

وقوله :

مَتَى مَا تَشَأْ^(٧) تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يَجِيبُ زِمَارًا كَالْيَرَاعِ الْمُتَّصِبِ

وقوله^(٨) :

أَنْسَتْ نَبَاءً وَأَفْزَعَهَا الْقَنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أصم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخنائير : الدواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . ه : « وغيليل »
بالحاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة الليشكري ، من مملته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيلك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمع صوتك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يزيد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولد الصوت ، أراده هو أو لم يرده^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصد إلى الصياح ، ولكنه متى أدار لسانه في جَوْبَةِ^(٣) الفم بالهواء الذي فيه ، والنفس الذي يُحضِرُه جُماع الفم^(٤) ، حدث الصوت . وهذا إنما غايته الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى^(٥) النَّاسَ يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحدِّ^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول تردادها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيديه كما يضربون . فالنعامة تعرف^(٧) صورة إشارة الرنلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .

(٣) الجوية : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كerman : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابها ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .

(٧) ط : « تعرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتفعل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالهما » .

(شمُ النعامَة)

والعرب تقول : « أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمٌ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الرَّاكِبُ :

* أَشْمٌ مِنْ هَيْتٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ^(١) *

وقال الحِرْمَازِيُّ ، في أَرْجُوزَتِهِ :

* وَهُوَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الْهَيْتِ^(٢) *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابيُّ أنَّ أعرابياً كلمَ صَاحِبَهُ ، فراه لا يفهمُ عنه

ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصْلَخُ كَصَلَخِ^(٣) النَّعَامَةِ » !

(شمُ الفرسِ والذئبِ والذَّرِّ)

وقد يكونُ الفَرَسُ في الموكبِ وخلفه ، على قابِ غَلَوَتَيْنِ ، حِجْرُ أَوْ

رَمَكَةٌ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ^(٥) تحتَ رَاكِبِهِ ، من غير أن تكونَ صَهْلَتٌ .

والذئبُ يشتمُّ ويستروحُ مِنْ مِيلٍ ، والذَّرَّةُ تَشْتَمُّ ما ليسَ لَهُ رِيحٌ ، مما

لو وضعتُهُ على أنفِكَ ما وجدتَ لَهُ رائحةً وإن أجذتَ التَشْتَمَّ ، كَرَجَلٍ

(١) سبق هذا البيت في ١٣٣ . والهيئ ، بالفتح : اللطيم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكان الماء في الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت في ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسى واهتدى أفى وخبى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط :

« أصلم كصلم » ، صوابه في س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرَمَكَةُ ، بالتحريك : البرفونة

تستخذ للسل .

(٥) يتحصن : تيدومنه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير في (٢ : ١٤١ س ٨) .

ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفى ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا^(١) من يدك في موضعٍ لم ترفيه ذرّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى
الذّرّ إليها كالخيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استرواح الناس :

وجاء كمثل الرّالِ يتبع أنفه لعقبه من وقع الصّخورِ قعاقع^(٢)
فإن الرّالَ يشتم^(٣) رائحة أبيه وأمه والسبعِ والإنسانِ من مكانٍ بعيد .
وشبهه به رجلاً جاء يتبع الريح فيشتم .

(استطراد لغوي)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضب لمطلب أنفه أو عرسه لكريمة لم يغضب^(٤)
ومطلب أنفه : فرجُ أمّه ؛ لأنّ الولد إذا تمت أيامه في الرّحم ، فلا
مكانه^(٥) وكرهه ، وضاق به موضعه ، فطلبَ بأنفه موضع المخرج ممّا
هو فيه من الكرب ، حتّى يصير أنفه ورأسه على فم الرّحم ، تلقاء فم المخرج .
فالأناء^(٦) والمكانُ يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتبسُ تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : ه : « ينغذا » ، صوابه في س وفي أمثال
الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرّال : فرخ النعام . ه : « لعقبه » محرفة .

(٣) س : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كتابات الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب
أنفه » ، وكتابات الثعالبي ٧ : « وإذا الكرم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان
(أنف) : « وإذا الكرم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من
أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أي كاعند الجاحظ . واللسان :
« أو عرضه لكريمة » .

(٥) قلاه ، كرماء ورضيه ، قلى وقلاءً وممّليةً : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يعين الشيء .

ولولا أنه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانه من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخرَ خلافِ عالمه الذي رُبِّي فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السمكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لَمَّا كَانَ قابلاً لطباعِ السمكِ [غاذياً^(١)] لها ، والسمكُ^(٢) [مريداً له ، كان في مفارقتِه له عطْبُه . وكان في مفارقة الولد لجوفِ البطنِ واغتذائه فضلاتِ الدَّمِ ، [مَالاً يَنْقُضُ^(٣)] شيئاً من طباعِه وطباعِ المكانِ الذي كان له مرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهلي :

والمرءُ لم يغضبِ لمطلبِ أنفه أو عرسه لكرهه لم يغضبِ^(٤)
يقول : متى لم يحمِ فرجَ أمه وامراته ، فليس يَمْنُ يغضب من شيء
يُوول إليه .

(قول المتكلمين في صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنه لم يُوتَ من العجز عن المنطق لشيءٍ في لسانه ، ولكنَّه إنما أتى في ذلك ؛ لأنه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيته فيقصد إليه . وأنَّ جميع الصَّمِّ ليس فيهم مُصَمَّت^(٥) ، وإنما يتفاوتون^(٦) في الشدَّةِ واللَّينِ ؛ فبعضهم يسمع الهدَّةَ والصَّاعقةَ ، ونهيق^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت في ٤٠٣ . وموضع عجزه في كل من ط ، ه كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أي تام الصمم خالصه .

(٦) في الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، ه : « ونهيق » ، وإنما النهيق للفراب والبوم . وصوابه في س .

والرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرارَ (١) ، وإذا رَفَعْتَ له الصَّوْتَ لم يَسْمَعُ . ومتى كَلَّمْتَهُ وَقَرَّتِ الشُّكَايَةُ (٢) في أذنه ، فَهَمَّ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتَ على ذلك المَقْدَارِ في الهَوَاءِ ، ولم يكن يَنْفُذُ في قَنَاةِ تَحْصُرِهِ وتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إلى دِمَاغِهِ - لم يفهمه .

فالأَصْمُ في الحَقِيقَةِ إِنَّمَا هو الأَخْرَسُ ، والأَخْرَسُ إِنَّمَا سُمِّيَ بذلك على التَّشْبِيهِ والقَرَابَةِ . ومتى ضَرَبَ الأَصْمُ من النَّاسِ إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظَنَّ أَنَّهُ لم يَبَالِغُ ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الضَّرْبَةِ . قال الشَّاعِرُ (٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الأَصْمِ فَأَقْبَلُوا عَرَائِينَ ، لا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مُخْلَبٌ (٤)
وقال الأَسَدِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الكُمَّةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بَأَنَّ لا خُلُوداً (٥)

- (١) السَّرارُ ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه في أذنه .
(٢) كَذَا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .
(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعني بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهل قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .
(٤) في اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد ، وألح لهم بشويه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر للماعة بشويه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرائين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرفهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمخلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجي ، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالخاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوماً إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بني أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وَضْرَبَ الْجَمَاجِمِ ضَرْبَ الْأَصَمِ مَّ حَنْظَلَ شَابَةً يَجْنِي الْهَيْدَا (١)
وقال الهذلي (٢) :

فَالطَّنُّ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا (٣)
وإنما جعله تحت الدِّيمَةِ ؛ لأنَّ الْأَغْصَانَ وَالْأَشْجَارَ تَصِيرُ أَلْدَنَ
وَأَعْلَكَ ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الْأُصُولَ قَبْلَ الْمَطْرِ ، إلى عَشْرِ ضَرْبَاتٍ
حَتَّى يَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَضْرُوبَ ؛ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمَطْرُ احْتِجَاجٌ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ .

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رهوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظلم
من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهيدي : حب الحنظل ، وهو أحب طعامٍ إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجري ، شاعر جاهلي من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باء موحدة ساكنة . والجري ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادي فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير
الهذلي . وليس بذلك . وقد نسبة العسكري فى ديوان المعاني (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيعى . صوابه « ربيع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلي » .

(٣) الشغشغة بغيرين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة :
« شغشقة » . وفى الأصل وديوان المعاني : « شعشة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعجمة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعجمة
أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقمعة » وأثبت ما فى س . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . والهيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراى فيستظل به من المطر .
« ضد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعري)

وأشدني يحيي الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيْونِ سَبِيكَ الحَديدِ يَوْمَ الجَنائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّياقِلةِ فقالَ : نعم ، هذا بَيْنُ معروف .
إِذَا أَخْرَجْنَا الحَديدَةَ مِنَ الكَبيرِ فِي يَوْمِ شَمالِ^(٣) ، واحتاجت في القَطْعِ
إلى مائةِ ضربةٍ ، احتاجت في قَطْعِها يَوْمَ الجَنُوبِ إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشدَّ من ذلك الضَّرْبِ ؛ لأنَّ الشَمالَ يُبَيِّسُ ويقصِفُ ، والجَنُوبَ
يرطِبُ ويلدِّنُ .

(الأخرس)

والإنسان أبدأً أَّخرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبين الأصوات التي
تخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال في غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثير :

ألم تسألني يا أمَّ عَمْرٍو فَتَخْبِرِي سَلِمْتَ وَأَسْقَاكَ السَّحَابُ البُوارِقُ^{١٣١}
بُكَيًّا لَصُوتِ الرَّعْدِ خُرْسُ رِوائِحِ وَنَعَقِ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهْنَ صِوَاعِقِ^(٥)

(١) هـ : « الأغر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنايب : جمع جنوب ، وهي الرياح التي
تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أي يوم ريح شمال .

(٤) أي على المعنى الحقيقي للخرس .

(٥) هـ : « روائح » بدل : « روائح » . ونعق ، كلما وردت . وانظر ديوان كبير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « ما زلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أليماً تمطر . وإذا كثر ماؤها وكثف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرق^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأن البارق والبصر أشد
تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فترى الضرب^(٢) ثم تمكث وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رز^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيء كتيبة ملمومة مكروهة يخشى الكماة نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأني أنادي صخرةً ، حين أعرضت ، من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قولُ زهير :

وتنوّفةٌ عمياءٌ لا يجتازها إلا المشيعُ ذو الفؤاد الهادي^(١)
قفرٍ هجعتُ بها ، ولستُ بناثمٍ ، وذراعٌ مُلقيةُ الجِرانِ وسادي^(٢)
ووقعتُ بينَ قَتودٍ عنسٍ ضاميرٍ لحاظَةً طفَلَ العشى سِنادِ^(٣)
فجعل التَّنوّفةَ عمياءَ^(٤) ، حين لم تكن بها أمارات .

(الزبابة)

ودابةٌ يقال لها الزبابة^(٥) ، عمياء [صماء^(٦)] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

- (١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لا يخذله ، فكأنه يشيمه . والفؤاد الهادي : المهتدى ، أو الذي يهdy صاحبه .
(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهي مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوماً كان ، أو غير نوم .
المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جراتها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت في معناه قول الآخر (الخزائنة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليد

- (٣) القتود : جمع قند ، بالتحريك ، وهو أداة الرجل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهى النوم في آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللفظ في ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزع الخطلو ظمان سهوق

وفي الأصل : « سنادى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاي ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزبابة » هـ : « الذبابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ما تقتضيه المقارنة الآتية .

بالحلدة ؛ لأنَّ الحُلْدَ أعمى وليس بأصمّ .

والزَّبَابُ (١) يكون في الرَّمْلِ .

وقال الشاعر (٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانَ رَعْدًا (٣)

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولدُ أعمى ، إن كان تأويل العمى (٤) أنَّه

لا يُبصر إلا بعد أيام . فنه ما يفتح عينيه بعد أيامٍ كالجُرْوِ (٥) ؛ إلا أولادَ

الدجاج ؛ فإنَّ فراريها تُخرجُ من البيض كاسية كاسية .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمْقَمَقِ - وجعل الأثر أعمى أصمّ على التشبيه - فقال :

فَسَمُّ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوَّتْ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ

(١) ط ، هـ : « الزباب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
واللسان (زيب) .

(٣) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو

زباب » ط : « فهو زباب » ، وفي الجمع : « لا يسمع » و هـ : « الأذائل »

مكان : « الأذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون

الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرو » س :

« كالجرو » ، صوابها ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى

عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعِ مِثْلِ الْجُرُوجِ جَهْمٌ غَضَنْفِرٌ مَعَاوِدِ طَعْنٍ جَائِفٍ وَسِنَادٍ (١)
أَصَمٌّ وَأَعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يَسِيرٌ عَلَى مَيْلٍ بَغِيرِ قِيَادٍ (٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعمامة تسمع ، ورد عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعْمَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَوَلُّ طَرْفَةَ :

هَلْ بِالدِّيَارِ الْغَدَاةَ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ (٣)

سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَسْرَتَهُ وَجُوذُرٍ يَرْتَعِي عَلَى كُنْسٍ (٤)

أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَيْقَلَتِهِ مَتَى تَرَعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ (٥)

فقد قال طرفة كما ترى :

* متى ترعه الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .

ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى هـ ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهامة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو

من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز

لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى

القاموس . والكنس ، بضمين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى

فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفى شرح التبريزي للمعلقات ١٣٠ : « وهو شئ يتخذ

الظياء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل

تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظلم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرتعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى

القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس ويهتجس

فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاهة)

وروى الهيثم بن عديّ ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله^(١) ، أحدهما تميمي والآخر أزدّي ،
فضرط الأزدّي ضرطّة ضئيلة ، فقال التميمي :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحْتَلًّا وَلَوْ أَنِّي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَدَا^(٢)
فَرَّ كَرُّ الْمُنْجَنِيْقِ وَصَوْتُهُ يَبْدُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدءًا عَمْرَدَا^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَةٌ)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أن كلَّ عربيٍّ [وأعرابيٍّ]
كان يلقَّب نعامًا ، فإنما يلقَّب بذلك لشدة صَمَمِهِ . وأنه سألَه عن الظلم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بِأَنْفِهِ وَعَيْنِهِ ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجَحَّتْكَ مِثْلَ الْهِقْلِ يَشْتَمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمَهَا^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحتل ، بالحاء
المهمله بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيّتها : من
جه نيك ، أي أناما أجودف . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبده ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بده » هـ : « بدءا » محرفتان عما أثبت . والمعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفي
ط ، هـ : « شوهها » س : « ثوهها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أَنَّ لَقَبَ بِيهَسٍ (١) نَعَامَةٌ ، وَأَنَّه لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِ

نَعَامَةٍ ، وَكَانَ شَدِيدَ الصَّمَمِ مَائِقًا (٢) . فَأَنْشَدَ لَعْدَى بْنِ زَيْدٍ (٣) :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ

قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيهَسٍ (٤)

نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَنْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ (٥)

وَقَالَ الْمُنْتَخَلُّ الْمَهْدَلِيُّ (٥) ، وَذَكَرَ سَيْنَمَا :

مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ (٦)

(١) بيهس : رجل من بني فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ - ١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزانة في (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني في مثل : « ثكل أرمها ولدا » .

(٢) مائقا : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمي نعامة بقوله :

فَلَا طَرْقَنُ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرَكَنُ بَرَكَةَ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعي ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكذا في الأغاني وحاسة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبحتري ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين في البيان (٤ : ٢٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمي . ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزانة ، والميداني : « ورأم الموت » . رام : طلب .

(٥) المنتخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر المهذلي شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلي كما في الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من يقال له : (المنتخل السعدي) ذكره الأمدى في المؤلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو في هوجه كالمجنون . ورواية اللسان : (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخذباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفي الأصل : « خدياء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيفُ أهوجٌ لاعتقُلْ له . والحَدَبُ^(١) في هذا الموضع :
الهوجُ^(٢) ، وتهاوى الشيءَ لَا يَبَالِكُ . ويقال للسَّيفِ : لَأَيْبَالِي مَا لَقِيَ .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّألِ فِي جَرِيهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا^(٣)
« كحوصلة الرأل » يصف الخمرَ بالحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو ١٣٣

مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ^(٤) . ومثله
في [غير^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِ حُمُرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهِنَّ إِذَا بَرَّكُنَّ جُرْثُومُ^(٦)
وقال الأحنس بن شهاب^(٧) :

تَظَلُّ بِهَا رَيْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ^(٨)

= لتتحمل عنهم وحقهم . ط ، ه : « الخزل » صوابه بالذال ، كما في
س ، واللسان .

(١) في الأصل : « الحدب » بالخاء ، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحق والرعونة . ه : « الهنج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جريها : أي عند سيلانها وتدققها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصاته
حراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أي عن أن يطلها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأحنس بن شهاب ، شاعر جاهل قبل الإسلام بدر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) .
نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الريد : جمع أريده وربده ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهي المملوكة . والحواطب : اللاتي يجمن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزَجِّي : تَدْفَعُ (١) ، وذلك أَنَّهُ يَثْقُلُ حِمْلُهَا فتمشى مِشْيَةَ النِّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ (٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعِشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَثِيفِ العَرَفِجِ (٣)

والرَّتْسُكُ : مَشَى سَرِيعًا . يقول تبادرُ إلى الكثيفِ (٤) تسترُ به (٥)

من البَرْدِ . وقال :

• رَتَكَ النِّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامِ (٦) •

= المحتطبات يرجمن فيه إلى أهاليهن وقد أعين ، فهن يمشن على تودة . انظر شرح
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويرى :

« تَزَجِّي » بزغ إحدى التامين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة البشكري ، من قصيدة مفضلية
٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كلية مدلج سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآق يشهد لصحة هذا النص عنده هو ،
وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعِشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَثِيفِ العَرَفِجِ .

وبعده :

أَلْفَيْتِنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمِجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بمشية : سارت في آخر
النهار راجمة إلى مأواها . رتك للنعام : أى مثل رتك للنعام . ولرتك ، بالفتح
والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكثيف ، بالنون ، فهو حظيرة
تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفي الكلام نقص ، أهله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل في كناه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظائم للريح)

وليسَ لقولٍ مَنْ زعمَ أنَّ الظَّليمَ إذا عدا استقبَلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك مخافةُ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكبته^(١) - معنى ؛ لأننا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعون^(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عبدة بن الطيب ، يصف الثور :

مستقبل الرِّيحِ يهفو وهو مبتركٌ لسانُه عن شمالِ الشَّدقِ معدولٌ^(٣)
ووصف الذَّيبَ طفيلُ الغنوى ، فقال :

كسيدرِ الغضا العادي أضلَّ جِراءهُ على شرفِ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحِب^(٤)

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكتبه كبتاً فاندكبت . ومن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يسترعونه » ، أى يعدونه سريعاً . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشِبُّهُ شَخْصُهَا وَالْحَيْلُ تَهْفُو هُفْوًا ظِلٌّ فَتَخَاءُ الْجَنَاحُ

وابتكر : انتحى على أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مشتبك » س : « مشترك » صوابها من المفضليات ١٤٠ . والشدق هي في س : « السدق » ه : « المدف » صوابها في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تاجاً إليه الذئاب . وذئاب الغضا أحيث الذئاب . ط : « العاوى » ه : « العارى » ، صوابها في س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جِراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع في عدوه مجتهداً ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الهيوان : « علا شرفاً » . يلحِب =

(استطراد)

ويُلْحَقُ^(١) بموضع ذِكر الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، قولهم في المثل : « ضَرَبْنَا هُمْ
ضَرْبَ غَرَابِ الْإِبِلِ » . قال أبو حِيَّةَ :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا

وَأَنْ يَتْرَكُوا الْكَبْشَ الْمُدْجِجَ ثَاوِيَا^(٢)

ضَرَبْنَا هُمْ ضَرْبَ الْحَسَامَا غَرَابِ

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا^(٣)

وإذا جاءت عطاشاً قد بلغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءتْ تَصِلُ

= يمر مراراً سريعاً . وفي الأصل : « يلهث » ، صوابه ما أثبت . والبيت من قصيدة بائنة
لطفيل ، أولها :

تَأْوِيَنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ

وهو قد نعت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجَلَامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرَفِجٍ يَتْلَهُبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي العجوز » ، استطراد
من الجاحظ لعللاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى يدهاء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس .

المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . هـ : « الكيس » س : « الكبش »

س ، هـ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، هـ : « قاويا » . و صواب

رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشياً ،
لم أجد له مرجعاً يعين على تحقيقه .

أجوافها صليلاً . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِيَّ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجْوَابِيهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العُقَيْلِي (١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّوْهَا تَصِلُّ ، وَعَنْ قَبِيضٍ بَزِيْرَاءٍ مَجْهَلٍ (٢)

قال : الزَّيْرَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنِّي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَجَلَّتِ (٥)

١٣٤ رَجَعَتْ إِلَى صَدْرٍ كَجِرَّةٍ حَتَمَ إِذَا قَرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتِ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوي إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردين . وروى في الكامل والمخصر . (١٤ : ٥٧) : « تم خمسا » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادي (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلال) . ط : « بعدما » تحريف . والقيض . بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيراء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غنوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حتم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحمامة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتجلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الحوَّاء ، أَنَّ الأفاعى صُمِّمٌ ، فلذلك لا يجيب
الرُّقَى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس (١) أَنَّ أمير المؤمنين المنصور ، أراد
امتحان رُقَى حَيَّةٍ (٢) وَأَنْ يتعرَّفَ صَحَّتْهَا من سُقْمِهَا ، وَأَنَّهُ أَمَرَ (٣) فصاغوا
له أفعى من رصاص ، فجاءت ولا يَشْكُ الناظر فيها ؛ وَأَنَّهُ أَمَرَ (٤)
بالزاقها فى موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وَأَنَّهُ أَحْضَرَهُ وقال [له] : إِنَّ هذه الأفعى
قد صارت فى هذه الدَّارِ ، وقد كَرِهَتْها لمساكنها ؛ فَإِنْ اِخْتَلَّتْ لى بِرُقِيَّةٍ ،
أو بما أَحْبَبْتَ (٥) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . قال : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ آخِذَهَا هَرَبْتُ (٦)
ولكن أرقبها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لانتحركُ زادَ فى رَفْعِ صوتِه
وَأَلْتى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لانتحركُ نزعَ عِمَامَتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوتِه ،
فلما رآها لانتحركُ نزعَ قَلْبَسَوْتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوتِه . فلما رآها
لانتحركُ نزعَ ثِيَابَهُ ، وزادَ فى رَفْعِ صوتِه (٧) ، حَتَّى أَزِيدَ (٨) ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من
الحنتم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبي العجوز فى
ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « تم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدأ : « وألتي قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر
منه الزيد على جانبي الشفتين .

في الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بجودةِ رقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قَبِيلُ أنَّ الأفاعيَ لا تجيب الرُّقي ؛ لأنها لاتسمع ، وهي حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهي جماد !!

(شعر وخبر في نفار النعامه)

وقال الشاعرُ :

ورَبِّدَاءِ يَكْفِيهَا الشَّمِيمُ ومالها سوى الرُّبْدِ من أنسٍ بتلك المجاهلِ
يجبر أنَّ النعامه لاتستأنسُ بشيءٍ من الوحش ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها في فهم
ما محتاج إليه .

وهي مع ذلك إذا صارت إلى دور النَّاس ، فليس معها من الوحشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفي الوحش ما يأنس ، وفيها^(١) مالا يأنس . وقال كثيرٌ :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكَ مَا عِشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطْتُ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا^(٢)
وما استنَّ رَفْرَاقُ السَّرَابِ وما جَرَّتْ ببيض الرُّبَا أنسيُّها ونَوَارُهَا^(٣)

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو في الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفي الكتاب « كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علل العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء في صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، في وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسها ظلالة مرتسمة في ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلاداً قفاراً^(١) غيرَ مانوسة فقال :

ماترى العينُ حولها من أنيسٍ قُربها غير رابداتِ الرِّثالِ^(٢)
خصَّها بالدُّكر ؛ لأنها أنفَرُ وأشْرُدُ ، وأقلُّ أنساً من جميع الوحش .
وقال الأحيمر^(٣) : كنتُ آتى الطُّبىَّ حتَّى أخذَ بذراعيه ؛ وما كان شيئاً
من بهائمِ الوحش ينكرُنِي إلا النِّعام^(٤) .

وأنشد قولَ ذى الرُّمَّةِ :

وكلَّ أحمِّ المقلتين كأنه أخوالنَّس من طول الخلاء المغفل^(٥)

= والأنسة بالتحريك في كل منها بمعنى الاتئناس . ويقال بكسرهما نسبة إلى الإنس ،
بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد
الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير في « أنسها » إلى الحيوان ،
ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمناً . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس
من الحيوان . والرواية في ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشها ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقبيات . ريد ربودا : أقام . والرثال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد
النعام . وفسرت « الرابدات » في شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى
الريد جمع ريداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حر » . ولعل ما فسرت به أقرب
إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أريد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار
(٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضياً ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨)
« كنت حين خلعتى قوماً ، وأطل للسلطان دمي ، وهربت وترددت فى البوادم
ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوص
فى رجع للذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛
لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الطبى السمين فساخذه ؛ وعلى ذلك رأيت
جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافرأ فرعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلّة ، بالضم : حدقة العين . لا وأراد به الطبى . والخلاء المغفل :
الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبيل البيت كما
فى الديوان ٥٥٥ :

(نِقَارِ الْوَحْشِ وَهَرَبَهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قدرٍ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصّحارى الأغفال^(١) ، التي لم يُذعَر صيدها ، ولا يطوّها النَّاسُ ، فيأتون الوحشَ فوضى كَهَملاً ، ومعهم كلابهم وفهودهم تتلوى^(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التي لو كانوا ابتدعوا الصيّد من جهتها لأخذوا ما أخذوا . فإذا نفرت وحوشُ هذه الأرض ، ومرت بالأرضِ المجاورة لها ، نفرت سُكَّانُ تلك الأرضِ مع هذه التّوافر ، ولا تعودُ تلك الصّحارى إلى مثل ما كانت عليه ، من كثرة الوحشِ حينئذٍ .

ومتى لم تنفّرْها الأعرابُ بالكلابِ والقسيِّ ، ونَصَبَ الجبائلِ ، رتعتُ بقريهم ، ثمّ دنتُ منهمُ أولاً فأولاً ، حتى تطأ أكفافَ بيوتهم . وهى اليوم في حَيْرٍ^(٣) المعتصم بالله^(٤) والوائق بالله^(٥) على هذه الصّفّة .

= دعت مية الأعداد فاستبدلت بها
وبعد سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعمة لها
تربع له ربع الهجان وأقبلت لها
فرق الأجال من كل مقبل
ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

(١) الأغفال : التي لا علامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » !

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطئن الوسط المرتفع الحروف . وبتاء

الختار . جاء في اللسان : « وبالبصرة حائر الحجلاج ، معروف ، يابس لآماء فيه .

وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعائشة : عَيْشَةٌ . يستحسنون التخفيف

وطرح الألف . في ط ، س : « حيز » ه : « حد » صوابها ما أثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويغ بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة

المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى .

توفى بسلام سنة ٢٢٧ .

(٥) الوائق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى

بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفى بسلام سنة ٢٣٢ .

(هجرة الطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندي^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغدون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فينا خالد يتغدى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا هُدُورَهُمْ ، وقربوا سفرهم^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندي بن شاهك ، يروي عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندي ابن شاهك ، كان يلي الحسين ببغداد للرشيدي . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائي ، صحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أي يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغدون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً .

(٥) في اللسان : « والعليق : القضم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشعر . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سوا من البهائم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافر ، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها ، والتي يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فنظَرَ خالدٌ إلى الصَّحراءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الطَّيِّبِاءِ قد أَقبلتْ من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تخالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا الأمير ! نادِ في النَّاسِ : « يا خَيْلَ اللهِ ازْكَبِي (١) » ؛ فَإِنَّ العَدُوَّ قد حَثَّ إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وعامَّةُ أصحابك لن يسرجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سرعان الخيل (٢) . فقام قحطبة مذعوراً ، فلما لم ير شيئاً يرُوعه ، ولم يرَ غباراً قال لخالد : ما هذا الرَّأْيُ ! قال : أَيُّهَا الأمير ! لا تتشاغل بي وبكلامي ، ونادِ في النَّاسِ (٣) . أما ترى أَقَاطِيعَ الوُحْشِ قد أَقبلتْ ، فارقت (٤) مواضعها حتى خالطت النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وِراءَهُما جَمْعاً عظيماً (٥) ! . قال : فوالله ما أجموا وأسرجوا (٦) حتى رأوا ساطِعَ الغبارِ ، ولا تلبسوا (٧) وتسلَّحوا حتى رأوا الطليعة (٨) . فما التأموا حتى استوى أصحابُ قحطبة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالدِ بنِ برمكٍ وفِراسَتُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصْطَلَمَ (٩) .

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أو ائلهما . وفي الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبي الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « نادى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى في الناس » بحرفه .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفي ابن أبي الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيماً » . وفي ابن أبي الحديد : « وإن وراها لجمعا كشيئا » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طلوعة الجيش : أولهم . س : « الطليعة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السندي يحدثنا من صدق حس أبيه في الشم ،
يشىء ما يحكى مثله إلا عن السباع والذرّ والنعام . وزعم أن أباه قال ذات
يوم : أجد ريح بول فأرة ! ثم تشمّم وأجال أنفه في المجلس ، فقال : هو
في تلك الزاوية ! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلل بقدر الدرهم ،
أو أوسع شيئاً ، فقصوا أنه بول فأرة .

٤٣٦

قال : وشهدته مرة وأشرأطه^(٢) قياماً على رأسه في السماطين^(٣) ،
فقال : أجد ريح جورب عفين متين ! فتشمّمنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ،
ثم تشمّم وقال : انزعوا حُفّ ذلك . فنزعوا حُفّه ، فكلما مدّ النازع له
شيئاً بدا من لِفافته . فما زال النتنُ يكثفُ ويزدادُ ، حتى خلع حُفّه ونزعه
من رجله ، فظهر من نتن لِفافته ما عرف به صدق حسّه . ثم قال : انزعوا
الآن أخفافكم بأجمعكم ، فلا بدّ من ألا يكون في جميع اللفائف متين
غير لِفافته ، أو تكون لِفافته أمتنها ؛ فنزعوا ، فلم يجدوا في جميعها لِفافةً
متنةً غيرها .

وأنشدوا :

غزا ابنُ عميرٍ غزوةً تركت لنا ثناءً كنتنِ الجوربِ المتخرقِ^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ماجاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في نداءي بيض الوجوه كرام نبهوا بعد هجمة الأشرط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفيه

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذى يُحكى من صدق الحسِّ فى الشمِّ - عن بعض النَّاسِ ،
 وعن النَّعام والسَّبَّاع ، والفأر والذَّرِّ ، وضروبٍ من الحشرات - من شكل
 مناطق^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوب ويوسفَ عليهما الصلاة والسَّلَام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ .
 تَقَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لِنِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال
 يوسفُ : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَبِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامةٌ ظهرتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتمُّون
 أرواحَ أولادِهِمْ^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجد
 ريحَ الحِجْرِ ممَّا يجوز الغاوتين والثلاث^(٣) . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو
 بالشَّامِ ريحَ ابنه فى قبضه ، ساعةَ فصلٍ من أرضِ مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم

المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتزوق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنقى الخيل .

يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَاماً^(١) ، لا يذوق ذَوْاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ^(٣) ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَأَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَابُ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانَ وَقْتَلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلِ الْإِسْلَامَ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتُؤَدِّهِمُ الضَّرَاؤَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غبر : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقا : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وايمث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا التمد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحايث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ ص ١٣) .

مِنْ طَرُوقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلطَّبَّاءِ ، الَّتِي تَنْقَطِعُ عَنِ
الْحِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ هَزْلاً وَجُوعاً ، وَإِشْلَاءَ السَّبَّاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلَهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاؤُنِ بِدَمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدَى ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبِيَّ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تُوَدَّى إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُودَى إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمَئِذٍ .
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ؛
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَّاعِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَّاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ
الْبِتَّةَ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرْفًا ، أَوْ يَكُونُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ النُّورِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالذَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الحشفتان : جمع غريب للحشف ، بتثنية الحاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك
للمشي . ولم أر هذا الجمع في معجم ، وجمعه في اللسان والقاموس على « خشفة »
يكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . في الأصل : « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان
المتفرس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبراة .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يرؤن أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة (١) ، إلا أن (٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طباعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيها من أجزاء الشر (٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسرور (٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزاءها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من (٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنكم لم ترؤا قط ذبأحي (٦) الحيوان ولا قتالي (٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون (٨) أبدا . ويستغنون (٩) ؛ كندحو صيادي السمك وصيادي الوحش (١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشواتين والطهائين

(١) أى مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملائته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضوعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفَهَّادِينَ^(١) والبيازِرة^(٢) والصَّقَّارِينَ والكلابِين ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غِنَى وَيُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبَهةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجَلَّادُونَ ، ومن يَضْرِبُ الأعناقَ بين يَدَي المَلُوكِ . وكذلك

١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصاباتِ ، وجميع أهل هذه الأصنافِ .

نَعَمْ وَحَتَّى ترى بعضهم وإن خَرَجَ نادِراً خارجياً ، ونال منهم ثُرُوةٌ وجَاهاً وسُلطاناً ، فَإِذَا أن يُقْتَلَ ، وإِذَا أن يُغْتَصَبَ^(٥) نَفْسُهُ بِمِيتَةٍ عاجلة ، عندَ سروره بالثُرُوةِ ؛ أو يبعثَ اللهُ عليه الحقَّ^(٦) فلا يَنمُو له شيءٌ ، وإِذَا ألا يجعلُ مِنْ نسلهم عَقِيباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبيهاً وَذُرِّيَةً طَيِّبَةً مثل الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ ، وأبى مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبى

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذلك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيازرة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) الحق ، بالفتح : التقصان ، وذهاب البركة . س : « الحو » .

(٧) يعنى أبى مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة . قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحُبُّ أن نسميهم .
قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّرُوقَةِ^(٣) وظُهُورِ القُدْرَةِ ، مع كثرة
الأنسال ، قد قَبِحَ اللهُ أمرهم ، وأُخْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعَقَّبْ ،
أو بَيْنَ مَنْ هُوَ فِي مَعْنَى مَنْ لم يُعَقَّبْ .
فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النَّاسُ أَيَّامَ الحُكْمِ بما في التَّورَةِ
أَيَّامَ^(٤) موسى ودَاوُدَ ، وهما صاحبا حُرُوبٍ وَقَتْلِ ، وَسِبَاٍ وَذَبَائِحَ ؟ ! نعم
حتى كان القُرْبَانُ كُلُّهُ أو عَامَّتُهُ حَيوانًا مَذْبُوحًا ، لذلك سَمَّيْتُم بَيْتَ المَذْبُوحِ .
ولسنا نسألُكم عن سِيْرَةِ النَّصارَى اليَوْمِ ، وَلَكِنَّا نَسْأَلُكُمْ عن دينِ
موسى وحُكْمِ التَّورَةِ ، وحُكْمِ صاحِبِ الزُّبُورِ . وما زالوا عندكم إلى أن
أنسكروا رُبُوبِيَّةَ المَسيحِ ، على أَكْثَرِ من حالنا اليَوْمِ في الذَّبائِحِ .

وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تَغْلُونَ عَلَيْنَا السَّمَكَ حَتَّى نَتَوَخَّى أَيَّامًا
بأعيانها ، فلا نشتري السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلبًا للإمکانِ والاسْتِرخَاصِ
وهي يَوْمُ الحَمِيسِ ، ويَوْمُ السَّبْتِ ويَوْمُ الثَّلَاثاءِ ؛ لأنَّ شِراءَكم في ذلك

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتبه ،
ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الحجاج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . ه : « زيد بن مسلم » ، صوابها ما أثبت . وسيأتي
على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطرُوقَةُ ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«الْيَوْمَ يَقِيلُ . عَلَى أَنْكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْفِصْحِ» (١) وهل
تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيْوَانِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الحِرْفَةُ وَالْمَحْنُ إِنَّمَا لِرِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَّائِينَ ،
وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، من جهة العقوبة - فأنتم شركاء صيَّادِي السَّمَكِ
خَاصَّةً ؛ لأنكم آكلُ الخَلْقِ له ، وأنتم أيضاً شركاء القَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ
الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُونَ للإسلام فتعرفوا ما عليكم ولكم ، وفصل (٢)
ما بين الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وما الرَّحْمَةُ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ
رَحْمَةً ؟ فقد أجمعوا على أَنَّ قَتْلَ الْبَعْضِ إِحْيَاءً لِلْجَمِيعِ ، وأنَّ إِصْلَاحَ
النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جِزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) .

وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وهذا شيءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَّمُ كُلُّهَا ، غيرَ الزَّنَادِقَةِ ؛
وَالزَّنَادِقَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، ولا كَانَ لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، ولمْ تَزَلْ
بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمَنَافِقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك
مَذْهَبُهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فأنتم لادَهْرِيَّةٌ (٤) ، ولا زَنَادِقَةٌ ، ولا مُسْلِمُونَ ؛ ولا أنتم رَاضُونَ
بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ اللهُ به - وهو عدلٌ - فليس بين

١٣٩

الزَّمانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧)

والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أي فرق . في الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم في القصاص » . وهو مهو من الكتاب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة في ص ٧٩ - ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وَتَتَقَدَّرُونَ مِنَ
الذَّحَّانِ ! أَفَلَا نَسَمَكُ لَا يَأْلَمُ الْقَتْلَ ، أَمْ لِأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بِلَا سِيكِّينِ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلَهُ ؟ ! فَالْجَمِيعُ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ مُقْتُولٍ يَأْلَمُ ، وَكُلُّ يُحْسٍ .
فَكَيْفَ صَارَ أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الْبَهَائِمِ قَسْوَةً ، وَلَا تَكُونُ تَفْرِقَةٌ مَا بَيْنَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قَسْوَةً ! وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وَصَيْدُ السَّمَكِ بِالسَّنَانِيرِ
الْمَذْرَبَةِ الْمُعَقَّفَةِ (٣) لَيْسَ لَهَا شَعَائِرٌ تَخَالَفُ الْعُقَابَ الْمَنْصُوصَ (٤) فِي جِهَاتِهَا .
وَكَيفَ وَهِيَ وَإِنَّمَا تَنْشَبُ فِي أَجْوَافِهَا ، وَتَقْبِضُ عَلَى مَجَامِعِ أَرْوَاحِهَا ، لَمْ تَقْلِرْ
عَلَى أَخْذِهَا ؟ !

وَكَيفَ صَارَ وَجْهُ اللَّبَّةِ (٥) مِنَ الْجَزُورِ أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ (٦) ؟ !
أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَيْرِ (٧) بِالرَّمْحِ ، وَنَصْبُ الْحَبَائِلِ لِلطَّبَّاءِ ، وَإِرْسَالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدَّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ (٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

- (١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .
(٢) المراد بالترفة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .
(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .
(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« العقاف » .
(٥) وجه اللبّة : طعنها بالسكينة . واللبّة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجاه » محرفة .
ط : « اللبّة » ، صوابها في س ، ه .
(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « العبايل » بهذا الإجمال .
(٧) العير ، بالفتح : الحمارة الوحشية .
(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى المنهام .

ولأنكم تكثرون قَوْلَكُمْ : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيام صومنا ،
فلسمك دمٌ ، ولا بدّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يُشاكلُ الدّم ، فما وجهُ
اعتلالكم بالدّم؟! أَلَا إِنَّ^(١) كلَّ شيءٍ فيه دمٌ فهو أشدُّ ألماً؟ فكيف نعلم ذلك؟
وما^(٢) الدليلُ عليه؟

فإن زعمتم أن ذلك داخلٌ في باب التبعيدِ والمصلحة ، لا في باب
القياسِ والرّحمَةِ والقسوة ، فهذا باب آخر . إلا أن تدعوا أن ذواتِ الدّماء^(٣)
أقوى للأبدان ، وآشَرُ^(٤) للنفوس ، فأردتم بذلك قلة الأشرِ وضعفَ البدن .
فإن كان ذلك كذلك فقد ينبغي أن يكون هذا المعنى مستتبناً في آكلِ السمكِ
من البحرين^(٥)

وأما ما ذكرتم من ملازمة الحرفة لهؤلاء الأصناف ، فإن كلَّ من
نزلت صناعته ، ودقَّ خطرُ تجارته ، كذلك سبيله .

وأحلُّ الكسبِ كلّهُ وأطيبُهُ عندَ جميعِ الناسِ سقَى الماء ، إمّا على
الظّهر ، وإمّا على دابّة . ولم أرَ سقاءً قطُّ بلغَ حالَ اليسارِ والثروة . وكذلك
ضربُ اللَّبَنِ ، والطّيّانُ والحراثُ . وكذلك ما صغَرَ من التّجاراتِ
والصناعاتِ .

ألا ترون أن الأموالَ كثيراً ما تكونُ عندَ الكتّابِ ، وعندَ أصحابِ
الجوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوشْيِ والأنماطِ^(٦) ، وعندَ الصيّافِ

(١) في الأصل : « ألا أن » .

(٢) في الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « ذوات الماء » .

(٤) آشر : أفعال من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أشر »
وانظر السياق .

(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين^(١) ، وعند البحرّيين والبصريين^(٢) . والجلابُ أبدا^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسرُ ممن يبتاع منهم .

وجملُ الأموالِ حقٌّ^(٥) بأن تريحَ الجملَ من تفريقِ الأموالِ . وكذلك سبيلُ القصابِ والجزارِ ، والشوّاءِ ، والبازيارِ^(٦) ، والفهّادِ .

وأما ما ذكرتم من انقطاعِ نسلِ القساةِ ، وخمولِ^(٧) أولادِهِم ، كانقطاعِ نسلِ فرعونَ ، وهامانَ ، ونمرودَ^(٨) ، ومُخت نصرَ^(٩) ، وأشباهِهِم ، فإنَّ الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصّلاحِ أكثرَ من هؤلاءِ ممن كان عقيماً أو كان ميناثاً^(١٠) ، أو يكونُ ممن نبتَ لهم أولادٌ سوءَ عقوهِم في حياتِهِم ، وعرضوهُم للسّبِّ بعد موتِهِم - لو جدّتموهُم .

وعلى أنى لم أنصبَ نفسى حرباً للحجاجِ^(١١) بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنّاط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون للرقيق والعبيد لتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحیحة . أو لعلها « أترى » من التراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحیحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتمهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازياز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدأ : « وجملُ الأموالِ حقٌّ » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمتنّاث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم (١) ، أتخرى بهما (٢) ، وهما عندي من أهل النَّارِ . ولكِنِّي
عَرَفْتُ مَغْزَاكُم .

وعلى أَنَّكُم لَيْسَ الْقَصَابِينَ أَرَدْتُمُ ، وَلَكِنِّكُمْ أَرَدْتُمُ
دِينَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ خَرَجَ الْحِجَّاجُ مِنَ الدُّنْيَا سَلِيمًا فِي بَدَنِهِ ، وَظَاهِرِ نِعْمَتِهِ ، وَعَلَى
مَرْتَبَتِهِ مِنَ الْمَلِكِ ، وَمَكَانِهِ مِنْ جَوَازِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ (٣) .

فَإِنْ كَانَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ سَلَمَةً وَعَاقِبَ أَوْلَادِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ ذِينَكُمْ
فَإِنَّ هَذَا قَوْلٌ إِنْ خَاطَبْتُمْ بِهِ الْجَبْرِيَّةَ (٤) فَعَسَى أَنْ تَتَعَلَّقُوا مِنْهُمْ بِسَبَبٍ ،
فَأَمَّا مَنْ صَحَّحَ الْقَوْلَ بِالْعَدْلِ (٥) فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَطَأِ الْفَاحِشِ
الَّذِي لَا شِبْهَةَ فِيهِ .

(شعر في القانص وفقره)

وكان مما أُنشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً — قولٌ

ذى الرمة :

(١) سبقت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ،
أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية
أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا .
والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة
الحادثة أثرًا ما في الفعل ، وسمى ذلك كسبًا ، فليس بجبري . والمعتزلة يسمون من لم
يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبريا . الملل والنحل

(١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَا لَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طِيبٌ^(١)
 وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقَيْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلُو عَاقِرًا لَهَبٌ^(٢)
 هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسٌ مُحَصَّرَةٌ شَوَازِبٌ لِأَحْهَا التَّقْرِيبِ وَالْحَبِيبِ^(٣)
 جَرْدٌ مُهْرَتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبِ^(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رمل . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كعنب : جمع طيبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطيبة السير الذى يخرز به . س : « إذا راها » ه : « إذا نأها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، ه « فى الجدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قب » ه : « طنب » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبتة » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : من جملة يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولمت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غيرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والحبيب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التفريث والحبيب » . التفريث : التجويع . والجنب بالحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق رثته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

وَمُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِيُغَيِّتَهُ أَلْنَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْدَسِبُ (١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ (٢)
فَانصَاعَ جَانِبَهُ الْوَحْشَىَّ وَانْكَدَّرَتْ
يلحن لا يأتلى المطلوبُ والطلبُ (٣)

قال : فجعله كما ترى مقزعاً أطلس الأظمار ، وخبر أن كلابه تشبهه ،
وأنه ألقى أباه كذلك .
وأنشدوا في ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرة الأشداق : واسمها . والسراحين : الذئاب ، واحدا
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدا
عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبية
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هناك لنقبتة » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيتة » . ألقى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذاك أمهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأظمار : جمع ظمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحن : يسلكن
طريقاً لاحقاً مهدداً . أو يمررن مرأ سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من
جره . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يابأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار للعرب ، واللسان (صوع ،
حب ، طلب) .

- وأعصم أنسته المنية نفسه رعى النبع والظيان في شاهقٍ وعَرٍ (١)
 جواردهُ قلتُ تصفقه الصباً بنيقٍ مُزَلٍ ، غيرُ كدرٍ ولا نَزَرٍ (٢)
 قَرتهُ السحابُ ماءها ، وتهدلتُ عليه غصونُ دانياتٍ من السمرِ (٣)
 أتيجَ له طلحُ إزاهُ بكفه هتوفٌ وأشباهُ تخيرنَ من حَجَرٍ (٤)
 أبو صبيةٍ لا يستدرُّ إذا شتا لقوحاً ، ولا عتراً ، وليس بندي وقرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبات والظيان » محرف .

(٢) التلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزَل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها الشعر .
 (٤) أتيج له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : الميعى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
 والहतوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

हतوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

हतوف إذا ما جامع الظبى سهمها وإن ريع منها أسلمته التوائف
 ط ، س : « خنوف » ه : « حتوف » صوابها ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ،
 ينسب إليها للسهام والتصال ، قال الراعى :

توخى حيثُ قالَ القلبُ منه بحجرى ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقاسة فى الجودة » .

وقال رؤبة :

حتى إذا توقدت من الزرق حجرية كالجمر من سن الدلق

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . والقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءٌ يَدْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تَنَاجِيهِ ، وَآخِرٌ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوِّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هِنْدِيًّا بِلَيْلٍ عَلَى بَحْمِرٍ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعَرْقُوبِ ثَلَمَ نَابَهَا تَعْرِقُهَا الْأَوْذَارَ مِنْ فِقْرِ الْحَمْرِ (٣)
 مَسْفَعَةٌ الْحَدَيْنِ ، سَوَّدَ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذَ بِالْقَدْرِ (٤)
 كَغُولِ الْفَلَاقَةِ لَمْ تَخْضُبْ بِنَابِهَا وَلَمْ تَدْرِ مَا زِيُّ الْخِرَائِدِ بِالْمِصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشعاء
 لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم . وإنما يخضبون في الربيع . ط : « يستعدوا »
 صوابه في س ، هـ الور ، بالفتح : الغنى .

(١) أمه في حجرها . والشمطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك
 كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيبه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعته
 وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، مائله كالمعتل . والهندي :
 أراد به العود الهندي الذي يتبخر به . والتقتير : تهييج القطار ، وهو بالضم :
 ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه .
 والتمرقق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم .
 وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كمنب : جمع فقرة ،
 بالكسر ، وهي الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمر ،
 أصله الحمر بضمين : جمع حمار . غنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم
 لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص .
 والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبنا اللسان والقاموس .
 وفي اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقدر أيضاً بمعنى قدو » .
 ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو
 الحفرة الطويلة السكوت ، الحافضة الصوت ، المسترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حننيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر :
 الجنب . والنحر ، بالفتح : أهل الصدر .

(مَسْأَلَةُ الْمَنَائِيَّةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المنائية^(١) ، عن مسألة قريية المأخذِ قاطعة ، وكان يزعمُ أنها ليست له .

وذلك أَنَّ المنائية تزعمُ أَنَّ العالمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناسٍ : خمسةٌ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظلمةٌ . وكلُّها حاسةٌ وحارّةٌ .

وَأَنَّ الإنسانَ مركَّبٌ من جميعها على قدر ما يكونُ في كلِّ إنسانٍ من رُجحانِ أجناسِ الخيرِ على أجناسِ الشرِّ ، [ورُجحانِ^(٢)] أجناسِ^(٣) الشرِّ على أجناسِ الخيرِ .

وَأَنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حواسٍ خمسةٍ^(٤) ، فإنَّ في كلِّ حاسةٍ متوناً^(٥) من ضده من الأجناسِ الخمسة . فمتى نظَرَ الإنسانُ نظرةً رحمةً فتلك النظرةُ من النورِ ، ومن الخيرِ . ومتى نظَرَ نظرةً وعيدٍ ، فتلك النظرةُ من الظلمةِ . وكذلك جميع الحواسِّ .

وَأَنَّ حاسةَ السَّمعِ جنسٌ على حدِّةٍ ، وَأَنَّ الذي في حاسةِ البصرِ من الخيرِ والنورِ ، لا يعين الذي في حاسةِ السَّمعِ من الخيرِ ولكنه لا يضادُّه^(٦) ،

(١) المنائية : أتباع مافي . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل مذهبه - الفهرست ٣٢٧ - ٣٢٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كذا . وهي صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالعدد جاز في العدد المطابقة وعدها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت مافي س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يَمْنَعُهُ . فهو لا يعينه ^(١) لكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خِلافٌ لأجناسِ الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناسِ الخَيْرِ . وأجناسَ الخَيْرِ يخالِفُ بعضها بعضاً ولا يَضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتَّادِي ^(٢) لا يقعُ بينِ مَخْتَلِفِها ، ولا بينِ متضادِّها ^(٣) ، وإنما يقعُ بينِ متفقِها .

قال : فيقال للمنائى : ما تقول في رَجُلٍ قال لرجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيتَه . أليس السَّامِعُ قد أدَّى إلى النَّاطِرِ ، والنَّاطِرُ قد أدَّى إلى الدَّائِقِ ؟ ! وإلَّا فلمَ قال اللِّسانُ نَعَمَ ! إلَّا وقد سَمِعَ للصَّوتِ صاحبُ اللِّسانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلة له بأن يدفع قوله .

(مُسْأَلَةٌ زَنْدِيقِ)

ومسألة أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين ^(٤) الزُّنْدِيقَ الذي كان يكنى بأبي عليٍّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ ^(٥) وعجزِ العُتْبِيِّ ^(٦) وسوءِ فهمِ ^(٧) القاسمِ بنِ سِيَّارِ ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألك عن حَرَفَيْنِ

(١) س : « يعينه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التَّادِي : التَّعاون . وفي الأصل : « التَّادِي » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « متضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتي في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، الذي أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ ساسي ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبرني : هل ندمُ مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندمُ
 على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندمُ كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
 قال : فخبّرني عن الندمِ على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
 قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيرُهُ ؟ قال : الذي ندم هو الذي أساء .
 قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشرِّ ، وقد بطل قولكم : إن الذي
 ينظر نظراً الوعيد غيرُ الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإني أزعمُ أن الذي
 أساء غيرُ الذي ندم : قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من
 غيره ؟ فمقطعه (١) بمسألته ، ولم يتب ولم يرجع ، حتى مات ، وأصله الله
 نارَ جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادُ عمجدٍ ناساً في هجائه لعُمارة (٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عمارُ ، حبوتني
 أو كنتُ عندك أو تراك عرفتنى
 أو كابن حمادٍ ربيثة دينكمُ
 لكنتي وحدثت ربِّي مُخلصاً
 أو كنتُ أعبد غيرَ ربِّ محمدٍ (٣)
 كالنضر أو ألفتُ كابن المقعد (٤)
 جبل وما جبل الغوى بمرشد (٥)
 فجفوتني بغيرِ لعلِّ موحد

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) في الأصل : « لبيار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتنى » .

(٥) الربيثة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى »

ووجهه ما أثبت من س .

وَحَبَّوتُ مِنْ زَعَمِ السَّمَاءِ تَكْوَوْتُ

والأرضَ خالقتها لها لم يمهد^(١)

والنَّسَمَ مِثْلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْهُ الْحَصِيدُ وَمِنْهُ مَالَمٌ يُحْصَدُ^(٢)

وحمادٌ هذا أشهر بالزنادقة من عمارة بن حربية^(٣) ، الذي هجاه

بهذه الأبيات .

وأما قوله :

وحبوت من زعم السماء تكووت (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إنَّ الفلكَ بما فيه من التدبير . تكوونَ بنفسه

ومن نفسه ! فجَهْلٌ^(٤) حمادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوم^(٥) : كأنه عندي

مما يعرفه من براءته الساحة^(٦) . فإن كان قد أجابهم فأعسا هو من

مقلديهم .

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ،

بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفي الأصل :

« النعم » تحريف ما أثبت . وجاء في الأغاني (١١ : ٧١) في أثناء الحديث عن

عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع

ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلي . وإنما سمي

بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص

يفسر ماجاء في البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بجاء مهمله بعدها راء وباء موحدة تحتية تغلوها

ياء مشناة تحتية . وفى الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى

(١ : ٩٠) نقلًا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من برأته

الساحة » وكل محرف .

وهجما حمادُ بن الزُّرِّقان (١) ، حماداً (٢) الراوية فقال :

نَعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْتَهَا حَدَادُ (٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهَهُ فَيَبَايَضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
فقد كان (٤) كما ترى :

هَدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فقد رأيتُ جماعةً مَمَّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قد عظمتْ أَنفَهُمْ (٥)
وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهم رَوْحُ الصَّائِغِ (٦) ، وعبدُ الواحدِ صاحب اللؤلؤى (٧)

(١) نسبه صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي النغول، وكان حماد قد عاب شعراً له.
وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والمقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان ألمعاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .
(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قديم النجار ، مؤنثة . في المخصص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والعسكري :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) أنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أي أطفالا .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . واللؤاوى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَمَانِ (١) حمّاد بن الصَّبَّاح ، وعبد الله أخونهر (٢) ابن عسكرة وناس كثير (٣) .

ويدلُّ على ذلك من المنافرة قولُ جَرِيرٍ للأخطل :

١٤٣ وشربتَ بعد أبي ظهير وابنه سكرَ الدنّانِ كأنَّ أنفك دُمْلٌ (٤)

وكان منهم يونس بن فروة (٥) . وفي يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرَوَةَ يُونسٌ فكأنه من كِبَرِهِ أيرُ الحمارِ القائم (٦)
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نَفْسِكَ وَحَدَّهَا وَالخَلْقُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِامٌ (٧)
إنَّ الذي أَصْبَحْتَ مَفْتُوناً به سيزُولُ عنكَ وَأَنْفُ جارِكَ راغِمٌ
فَتَعْصُ من نَدَمٍ يَدِينِكَ على الذي فَرَطْتَ فِيه ، كما يَعْصُ النَّادِمُ

(١) الندمان ، بالفتح : التذم على الشراب . والمراد هنا جماعة النداء . وفي اللسان : «وقد يكون الندمان واحداً وجمعا» . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : «هز» . وكلمة : «أخو» هي في الأصل : «أخا» .

(٣) في الأصل : «وناسا كثيراً» ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما في الشعر يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : «من كفرة» وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : «ذاك الحمار» .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةِ آخِيهِمْ وَإِخَاهُمْ لَكَ بِالْمَعْرِةِ لِأَزْمٍ^(١)
 فَعَلِمْتَ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لَعَرَضُكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ
 (ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحمادُ الراوية^(٤) ، وحمادُ بنُ الزُّبرقان^(٥) ،
 ويونسُ بنُ هارون^(٦) ، وعلى بنُ الخليل^(٧) ، ويزيد بنُ الفيض^(٨) ، وعُبادَةُ
 وجميل بنُ محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بنُ الحباب ، وأبانُ

- (١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم »
 تصحيحه من م ، ه .
- (٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطانته .
- (٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمي
 الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج
 فاحشة . توفى سنة ١٦٦ : وقيل ١٦٨ أوقتل سنة ١٥٥ .
- (٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع
 فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .
- (٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو ممن
 اتهم بالزندقة .
- (٦) كذا في الأصل ، وهو كذلك في الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
 الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت
 ترجمته قريباً .
- (٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ،
 لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشيدي . انظر الأغاني (١٣ :
 ١٣ - ١٨) .
- (٨) ذكره صاحب لسان الميزان .
- (٩) كذا في الأصل وأمال المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلًا عن الجاحظ
 والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر في لسان الميزان : « حميد بن
 محفوظ » . في رسم خاص . ولعله تصحف عليه .
- (١٠) في أمالي المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .
- (١١) هو مطيع بن إياس السكناني ، من مخضرمي الدولتين ، كان ظريفًا خليعاً . ولد -

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حربية^(٢) ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشارٌ ينكر عليهم .

ويونسُ الذي زعم حمادُ عَجْرِدَ أَنَّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأي منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الرومِ في مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه^(٣) .

(هجائية في أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بنَ عبد الحميد اللّاحقِ ، وبعض هؤلاء ، ذكراً إنسانٍ يرى لهم قدراً وخطراً ، في هجائيةٍ لأبان^(٤) ، وهو قوله :

جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبان
ونحنُ حَضْرُ رواقِ أميرِ بالنهروان^(٥)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبه في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللّاحقِ ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كلية ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) في الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حزمة » ، وما في أوراق الصولي يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد في أمالي المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان ، فقال يهجو بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قريه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

خشلت يداه يوم يحمل راية إلى تهشل والقوم حضرة نهشل =

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةٌ ۖ أَوَّلَىٰ أَتَتْ لِأَوَّانٍ (١)
فَقَامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ (٢)
فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَىٰ انْقِضَاءِ الْأَذَانِ (٣)
فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِئِدَا ، بَغَيْرِ عِيَانٍ ؟ (٤)
لَا أَشْهَدُ اللَّذْهَرَ حَتَّىٰ تَعَايَنَ الْعَيْنَانِ !
فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي ! (٥)
فَقُلْتُ : عَيْسَىٰ رَسُولٌ فَقَالَ : مِّنْ شَيْطَانٍ ! (٦)
فَقُلْتُ : مُوسَىٰ كَلِيمٌ أَلَمْ مَهْمِيْنِ الْمَنَّانِ (٧)

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س : « الأذان »
« ونحن وحضروا » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار
الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ،
وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفى هـ والخزاة (٣ : ٤٥٨ بولاق)
نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ،
لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

(٤) بئدا : أى يقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير
عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) ما نى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطان » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال :
رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه
من الديوان والأوراق .

فقال : رَبُّكَ ذُو مُقْمَةٍ إِذَا وَلِسانِ ؟
ففسه خلقته أم من؟! فَقُمْتُ مَكَانِي
عن كَافِرٍ يَتَمَرَّى بالكُفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
يريد أن يتسوى بالعُصْبَةِ الْمَجَانِ
بِعَجْرِدٍ وَعُبَادٍ وَالوَالِيِّ الْمِهْجَانِ (٢)
وقاسمٍ وَمُطِيعٍ رِيحَانَةَ النَّدْمَانِ (٣)

وتعجبي من أبي نواس ، وقد كان (٤) جالس المتكلمين أشد من تعجبي
من حماد ، حين يحكى عن قومٍ من هؤلاء قولاً لا يقوله أحد (٥) . وهذه قُرَّة (٦)
عين المهجور . والذي يقول : سبحان ماني ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً (٧)

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط
والأوراق : « يتهارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ماني س
والديوان . وفي هـ : « متمرى » تحريف ماني س . وبين هذا البيت وسابقه
بيتان في الديوان ، هما :

وقلت ربِّي ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
وقُفِّمْتُ أُسْحَبُ ذَيْلِي عن هَازِيٍّ بِالْقُرَّانِ

(٢) في الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بدم تغيير يسير ، لما يقتضى
الشعر . أما الوالبي فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ،
هاجى يشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبي نواس .
الأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة في ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق في ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا ما فهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد في فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليسك ٤٥٨
مصر : « زعم ماني أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج ماني =

فكيف يقول : إنه من قبَلِ شيطان !؟

وأما قوله : « نفسه خلقتَه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ تجدها ظاهرةً على اللُّسَنِ العوامِّ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفي قوله : « والوالبيُّ الهيجان » دليلٌ على أنه من شكلهم .

والعجب أنه يقول في أبان : إنه ممن يتشبه بعجرد ومطيع . ووالبة

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل ، وأصبغ^(١) - وأبان فوقَ ملءِ الأرض

من هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم

صحة^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاسَ لم يؤتوا

في اعتقادهم الخطأ المكشوفَ ، من جهة النظر^(٣) . ولكنَّ للنَّاسَ تأسَّ

وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق

إلى القلوب ، ويستثقلون التحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا

في حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصارٍ كليلة^(٤) ، وأذهانٍ مدخولة ،

[و] مع سوء عادة . والنفس لا^(٥) تجيبُ وهي مُستَكْرَهة . وكان

= مذهبه من الجوسية والنصرانية . لكن جاء في الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه

أبو نواس . ففيه : « وما في ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويرى عليهم ،

يرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت حل السنتهم

بل يقول في مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند

النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك

الخلافاً إلى ما في أقوال ماني من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلملح سقط منها شيء .

وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة في الشعر .

(٢) الصحابة : جمع صحاب ، من صحا يصحو . س : « أحماء » ، صوابه في ط ، ه

والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، ه : « النظير » ، صوابه في س .

(٤) كليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفي الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال : « العقل (١) إذا أكره (٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ (٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد (٤) بفهم ما عابه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابِق إلى القلب .

(شعر لحماة عجرد)

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

اعلَمُوا أَنَّ لُودِي ثَمْنَا عِنْدِي ثَمِينًا
لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ حُكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِيَةٍ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا (٥)
ابْنِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي اسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَنَا (٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع . غيره ! وقال

حمادُ عَجْرَدُ في بشار :

يا ابنَ الخبيثةِ إنَّ أمَّك لم تكن ذاتَ اكتنامٍ (٧)
وتبدلتُ ثوبانَ ذا الألبانِ المصبرِ والعروامِ (٨)

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد « بإثبات اللوار قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان :

أى ياللقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل أتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان

ثَوْبَانَ دَقَاقَ الْأَزْزِ بِأُرُوَاتِ حَسَامٍ (١)
 عَرْدٌ كَقَامَةِ السَّرِّ يَرِيبُهَا عِنْدَ الرُّطَامِ (٢)
 وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمَلَاتِ العِظَامِ (٣)
 أخت لهم كانت تكا بِرُ أن تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ (٤)
 وقال حماد يذكر بشاراً .

غزاة الرجسة أو بنتها سُمَيْعَةَ النَاعِيَةِ الفهرا (٥)
 وقال وذكر أمه (٦)

أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشَمِ اسْتَهَا لِيَحْقِكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَجْزَعُوا (٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشارٍ أن يناظرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلّقُ

= يابن التي نشرت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والمعجر
 يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
 في س ، ه .

(١) ط : « دقاقات » صوابه في س ، ه . ط : « الأزار » وأثبت ما في س ،
 ه ، وهما محرفان . س : « يدقها أزرب خام » وأثبت ما في ط ، ه .
 على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في س ، ه .
 ييبها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسها » ووجه ما أثبت من س .
 والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الركام » صوابه في ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » هيئة التصغير في س . والمصملات : الدواهي .

(٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبني ، أي يابني . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم »

ولا كاله من س .

بالشعر ؛ لأن حماداً في الحضيض ، وبشاراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض
مولدٌ قروئى يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدُّو على رجله
يرُوحُ ويغلو كأيبرِ الخمارِ ويرجعُ صِفراً إلى أهله^(٣)
وقد زعموا أنه كافرٌ وأنَّ التزندقَ من شكِّله
كأنى به قد دعاهُ الإمامُ وأذن ربُّك في قتله

(غلو أبى نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرَّضُ للقتلِ بجهدِهِ . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يُدنِّيكِ مِنْ أَمَلٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٤)

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضى في طرف الحجر
الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغلو » صوابه في س ، هـ . صفرأ : خالى اليمين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة
رائية مشهورة مطلعها :

أيها المتتاب من عفره لست من ليل ولا سمه

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار
هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من
نفره » . انظر السكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ لبيسك والمقد ٣ : (٤٣٦ - ٤٣٧) =

غلبا قال :

فأحبب قريشاً لحب أحمدِها واشكر لها الجزلَ من مواهبها^(١)
جاء بشيء غطى على الأول .
وأنكروا عليه قوله :

* لو أكثر التسييح ما نجَّاه *

= حيث تجده النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضرير ، أحد رواة
أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذي يقول فيه :
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
فعلت أنه كلام ردى مستمجن موضوع في غير موضعه ، وأنه ما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى
أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من نفر الذين العباس منهم ، فاتمب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حبيته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لنصيح » . وفيه : « وحكى سيويه : حبيته وأحبيته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بقحطان وبهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعها إبداعاً ، وأنى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شوما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبا
وفيهما يقول :

فلهج زارا وافر جلدتها وامتك السر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحْمَدَ الْمُرْتَجِيَّ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قَمَّ سَيْدِي نَعَصَ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١)
غَطَىٰ هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ (٢) . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ كَفَرِهِ مَقْبُوتٌ جَدًّا . وَكَانَ
يُكْثِرُ فِي هَذَا الْبَابِ (٣) .

(خَطَأُ أَبِي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ)

وَأَمَّا سِوَىٰ هَذَا الْفَنِّ فَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ مِنَ الْخَطَا إِلَّا قَوْلَهُ :

أَمَسْتَجْبِرَ الدَّارِ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (٤)
كَأَنَّهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمُ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرَقُ (٥)

فَعَابُوهُ بِذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا يَقُولُ أَحَدٌ : لَقَدْ سَكَتَ هَذَا الْحَجْرُ ، كَأَنَّه

(١) أَحْمَدُ هَذَا ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ ، كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَتَمَشَّقُهُ . أَخْبَارُ أَبِي نَوَاسٍ ١٤٥ .
وَأَبْيَاتُ الْقَصِيدَةِ فِيهَا ، وَفِي دِيْوَانِهِ ٢٤٩ - ٢٥٠ . وَقَبْلَهُ :

فَقُلْتُ وَاللَّيْلِ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنَائِيَاتِ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَوَّلُ » . وَانظُرْ مِثْلَ هَذَا التَّعْقِيبِ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .
وَ « غَطَى » رَسَمْتُ بِالْأَلْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَابِقُهُ فِي كُلِّ مِنْ ط ، ه ، وَهُوَ
رِسْمٌ قَدِيمٌ . وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٣) أَيْ كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَكْثُرُ مِنَ الْقَوْلِ فِي مِثْلِ الْمَعْنَى السَّابِقِ . وَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ
(الصَّنَاعَتَيْنِ ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانُ الشُّبُهَةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخَلْقًا كَمَا قَدَّ الشَّرَّكَانِ

قَالَ السَّكْرِيُّ : « فَرَعَمَ أَنَّ ابْنَ زَبِيدَةَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي خَلْقِهِ وَخَلْقِهِ » .

(٤) ط : « أَخْبِرَ الدِّيَارِ » س : « أَمَسْتَجْبِرَ الدِّيَارِ » ه : « يَأْمَسْتَجْبِرُ الدَّارِ » ،
وَلَمَّا سِوَاهُ مَا أَثْبَتَ . وَعَجَزَ الْبَيْتُ هَكَذَا وَرَدَ بِالْأَصْلِ .

(٥) الْجَارِمُ : الْجَانِي . وَالتَّفْنِيدُ ، الْمَرَادُ بِهِ : الْوُجُودُ وَالْعَذْلُ . وَالتَّفْنِيدُ : التَّكْذِيبُ وَالتَّمْجِيزُ
وَتَحْطُؤُ الرَأْيِ وَتَضْعِيفُهُ . وَالْبَيْتُ عِنْدَ الْمَسْكُورِيِّ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، وَيَشْبَهُ صَمَمَهُ
بصَمَمِ الصَّخْرِ .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالجحوظِ ، فقال :
كَأَنَّما عَيْنُهُ إِذَا التَّهَيْتُ بِارِزَةِ الجَفْنِ عَيْنٌ مُخْنَقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الأسدِ بِالغُورِ . قال الرَّاجِزُ :
* كَأَنَّما يَنْظُرُ من جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) .

وقال أبو زبيد^(٣) :

كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ من حَجَرٍ قِيضًا اقْتِياضًا بِأَطْرَافِ المِناقيرِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أَشْعَرَ منه^(٥) .
وقال أبو زيد :

وعَيْنانِ كالوَقَبَيْنِ فِي مِلاءِ صَخْرَةٍ تَرى فِيهِما كالجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرُ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدَّثني أبو شعيب القَلَّالُ ، وهو صُفْرِيُّ^(٧) ، قال : رهبان الزُّنَادِقَةِ

- (١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما في ط ، س والصناعتين ١١٥ .
- (٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .
- (٣) هو أبو زيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .
- (٤) الوقب ، بالفتح : النقرة في الصخر . قِيضًا : شقا وحفرا . اقْتِياضًا : استئصالا .
في الأصل : « قِيضًا اقْتِناصًا » محرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير :
جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .
- (٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعميق أن يكون بعد البيت الآتي .
- (٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة * يرى فيهما » .
- (٧) الصفري ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى
زيد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من

سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَانَهُمْ^(٢) جَعَلُوا السَّيَّاحَةَ بَدَلَ تَعَلُّقِ النَّسْطُورِيِّ^(٣) فِي الْمَطَامِيرِ .
و- [مُقَامٌ^(٤)] الْمَلِكَانِيُّ^(٥) فِي الصَّوَامِعِ . وَمُقَامُ النَّسْطُورِيِّ

= اللدین . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل
(١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق
والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

«(١) السياحة : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

«(٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما في س .

«(٣) في القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم .
وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل
بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) :
« وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى
نسطور ، وكان بطريكاً بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن
نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر
المعمودي في التنبية والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر
لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا
ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١
الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة
الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب
القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستاني
صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية
أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل
(١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريكاً سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام
نحو ١٨٣ سنة .

«(٤) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

«(٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣
وملكي وملكية كما في التنبية والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني
أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي
ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير (١) .

قال : ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت
« رأيت صاحبه (٢) » والسياحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خيصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة (٣) ، ومما طابت به أنفس الناس له
حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غرمة ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتم
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال : فدخل الأهواز منهم رجلان ، فضى أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور
ومعها حق (٤) فيه أحجار نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لبيع أهل تلك الدور يتردد ١٤٧
فلما سقط الحق وبأينه الطبق (٥) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع الملقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الامة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهبأ تحت الأرض . وهي في أصلها اللغوي : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقبة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جماً
لحقبة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور ، لو كشف
طبقة لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه » . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوى
ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظمَ حجَرٍ فيه وأنفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السَّائِحِ (١) ؛ ووُثِبَ الصَّائِغُ وغلَمَانُهُ فجمَعُوا تلكَ الأحجارَ ، ونَحَوُوا النَّاسَ (٢) وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلكَ الحجرَ ، فصرختِ المرأةُ ، فكشفتِ القَوْمُ وتناحَوْا (٣) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكونَ إلا معه ! فسألوه عن الحجرِ فكرِهَ أن يخبرَهم أنه في جوفِ الظَّليمِ فيذبحُ الظَّليمُ ، فيكونُ قد شاركَ في دمِ بعضِ الحيوانِ ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبجثوه وفتشوا كلَّ شيءٍ معه وألحوا عليه بالضربِ ، وأقبلَ صاحِبُهُ وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا (٤) دفعته إلى هذا حتَّى غيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرَّ (٥) فينبا هما كذلك إذ مرَّ رجُلٌ يعقِلُ ، ففهمَ عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم : أكان هذا الظَّليمُ يتردَّدُ في الطريقِ حينَ سقطَ الحجرُ ؟ قالوا : نعم . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحابِ الظَّليمِ ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجرَ وقد نقصَ في ذلكَ المقدارِ من الزَّمانِ شبيهاً بِشَطْرِهِ (٦) ، إلا أنها أعطتهُ لونها صارَ الذي استفادوه من جهةِ اللونِ أريحَ لهم من وزنِ ذلكَ الشَّطرِ أن لو كانَ لم يذهب .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ (٧) .

(١) العين ، بالفتح : المايئنة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال

الميداني في هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، ه .

(٣) تناحوا : المراد بها تبعادوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها في س ، ه .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ه .

(٥) في الأصل : « ليموتا » . وفي الجماهر للبيروني ٤١ : « فضربا ضرب التقرير » .

(٦) أي قريبا من نصفه .

(٧) أي النار التي تقذف من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحن ذاكرونُ جُملاً في القول في النيرانِ وأجناسها ، ومواضعها ، وأى شئٍ منها يضاف إلى العجم ، وأى شئٍ منها يضاف إلى العرب . ونخبرُ عن نيرانِ الديانات . وغيرِ الديانات . وعن عَظَمها وعن استهانِ بها . وعن أفرطِ في تعظيمها حتى عبدها . ونخبرُ عن المواضعِ التي عَظُمَ فيها من شأنِ النارِ .

(نار القربان)

فمن مواضعها التي عَظُمَت بها أن الله عزَّ وجلَّ جعلها لبني إسرائيل في موضعِ امتحانِ إخلاصهم ، وتعرُّفِ صدقِ نيَّاتهم ؛ فكانوا يتقربون بالقربان . فمن كان منهم (١) مُخْلِصاً نزلت نارٌ من قبَلِ السماءِ حتى تُحِيطَ به (٢) فتأكله ، فإذا فعلت ذلك كان صاحبُ القربانِ مُخْلِصاً في تقربِهِ . ومتى لم يروها وبقي القربانُ على حاله . قَضُوا بأنه كان مدخولَ القلبِ فاسدِ النيَّةِ . ولذلك قال الله تعالى في كتابه : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالنَّذْرِ قُلْتُمْ قَلْبُكُمْ قَاتِلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

والدليل على أن ذلك قد كان معلوماً ، قولُ الله عزَّ وجلَّ :

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَيَا لَذِي قُلُومٍ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعل بيان ذلك في الآخرة . وكان ذلك التذبير مصلحة ذلك الزمان^(١) ، ووفق^(٢) طبائعهم وعللهم . وقد كان القوم من المعاندة والغباوة على مقدار لم يكن لينجع^(٣) فيهم ويكمل لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا باب من عظم شأن النار في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأن النار في صدور الناس^(٤) قول الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ^(٥) أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسُهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وكان ذلك مما زاد في قدر النار في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التذبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك مما زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (١) .

والنار من أكبر الماعون (٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك مما يزيد في قدرها ، وفي نباهة ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسَاءً لِلْمُقْوِينَ ﴾ (٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسَاءً ﴾

(١) الآية ٨٠ من سورة يس ٣ .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريها .

وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق ، والرياح ، وبالخاصب (١) ، والرَّجْم (٢) ، وبالصواعق ، وبالخسف (٣) ، والمسح ، وبالجوع ، وبالتقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم ناراً ، كما بعث [عليهم (٤)] ماءً وريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرق بها شيء من الهوام وقال (٥) : « لا تُعذَّبوا بعذاب الله » . فقد عظمها كما ترى .
فتفهم — رحِمك الله — فقد أراد الله إفهامك .

وقال الله تعالى لِلثَّقَلَيْنِ (٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآيات . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها (٧) ، غير إدخال الناس (٨) فيها ، وإحراقهم بها .

- (١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .
(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .
(٣) الخسف : تغيب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فحسفنا به وبداره الأرض » .
(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .
(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .
(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .
(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .
(٨) في الأصل : « النار » ، ووجه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المرار بن منقذ^(١) :

وَكأنَّ أرحلنا بجمٍ مُحْصَبٍ بِلوى عُنيزةٍ مِنْ مَقِيلِ الثُّرْمَسِ^(٢)
في حيثُ خالطت الخزامى عَرَفَجاً يَأْتِيكَ قابسُ أهلها لم يُقْبَسِ^(٣)
أراد حِصْبَ الوادى ورُطوبتَهُ . وإذا كان كذلك لم تَقْدَحْ عيدانُهُ ،
فإن دَخَلها^(٤) مستقبسٌ لم يُورِ ناراً .

وقال كثيرٌ :

له حسبٌ في الحىِّ ، وإرٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ ومَرخٌ حِثُّهُ الوَرىُّ عاجلٌ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الخنظلي ، وهو الذى سُمى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . مجمع المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرحلنا » صوابه في س . ط : « مُحْصَبٌ » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تمقيب الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكلها » أو « قدها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذلك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه في هـ والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشماله . وفي الأصل « حثه » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدرة في المخصص : « لم حسب » . وما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الماوك خالط فيهن مرخ عفاراً
ولو بت تقدح في ظلمة حصاة بنيع لأوريت ناراً

والعَفَارِ وَالْمَرْخِ ، مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعِيدَانِ الَّتِي تُقَدِّحُ ، أَكْثَرُهَا فِي ذَلِكَ وَأَسْرَعُهَا .

قال : ومن أمثالهم : « فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ (١) » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النار التى كانوا يَسْتَمَطِرُونَ بها فى الجاهلية الأولى ؛ فإنهم كانوا إذا تابعت عليهم الأزمات (٢) وَرَكَدَ عليهم البلاء ، واشتدَّ الجَدْبُ ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البقر ثمَّ عقدوا فى أذنانها وبين عراقيبها ، السَّلْعَ والعُشْرَ (٣) ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعِرٍ (٤) ، وأشعلوا فيها النيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَروُنَ أَنَّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةٌ :

سَنَةَ أَزْمَةٍ تَخِيلُ بَالِنَا سِ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بمرعة ، شبيه بمن يكثر من المطاء-

طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » هـ : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى.

(٢) (١٨ : ٢) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزائة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ :

٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٣) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل :

« الأزمان » محرفة .

(٤) السَّلْع ، بالتحريك ، والمشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون

حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد

- إِذْ يَسْفُونَ بِالذَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطَيَّرُوا (١)
 وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّمَّ لَ مَهَازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ يَبُورَا (٢)
 عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهَيَّجَ الْبُحُورَا (٣)
 فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرَا (٤)
 فَرَأَاهَا الْإِلَهَ تَرُشِمَ بِالنَّقْطِ رِ وَأَمْسَى جَنَابَهُمْ مَمْطُورَا (٥)
 فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَكَفَّ الْغَيْءَ مِثُّ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا (٦)
 سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبِنَقُورَا (٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
 والباء في : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب
 ٣٩٧ والاقضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
 حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للبود » وهي رواية
 الألوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها
 الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا »

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عمدا » مكان « عمدا »
 ه : « عدا » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
 وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبث يوما وليلة ولا
 يبرح ، كأنه يصبر أى يجبس .

(٥) ضمير رأها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نبتها . في الأصل
 والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي
 الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبات » تحريف . منه : أى من النشاص .
 وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة »
 وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم
 بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والمشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :

صَفَّتْ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد (١) القحذى (٢) للورَلِ الطائِي (٣) :

لَادِرٌّ دَرٌّ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمَطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ (٤)

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيِّقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ (٥)

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتي . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ، كما نبه وكافى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال للشيء فلانا : ثقل عليه . للقاموس . يقول : أنقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (على) بعد أن قال : «وعالِ عَلِيٌّ :
أى إجِلٌ» . فكأنه جعل «عالت» مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام في المغني على زيادة «ما» ثلاث مرات . وقد نقل السيوطي في المزهرة (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعي . وفيه : «النيقورا» . وليس أحد التصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسی في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : «وغالت البيقورا» بالذخين المعجمة .

(١) ط : «فأنشد» صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذى هو الوليد بن هشام القحذى ، كما في البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) . وفي لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . «قاله ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عتيان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين» . والقحذى ، بفتح القاف بمدها حاء مهملة ساكنة وذال ميمجة مفتوحة : نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفي الأصل : «القحذى» بالبدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفي اللسان (سلع) : «الورك» .

(٤) س ، هـ : «لدى الأزمان» ، صوابه في ط واللسان (بقر ، و سلع) .

(٥) مسلعة : وضع في أذناها وبين عراقيها للسلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقْر ، وبَقِير ، وبَيَقور ، وباقِر (١) . ويقال للجماعة منها :
تَطيع وإجْل . وكَوْر (٢) . وأنشد (٣) :
فَسَكَّنْتَهُم بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ بَوَاقِرُ جُلُحِ أُسْكَنْتِهَا الْمِرَاتِعُ (٤)
وَأَنْشَدُ (٥) :
وَلَا شُبُوبٌ مِنَ الثِّرَانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الْإِغْرَاءِ وَالطَّرْدُ (٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكبيرة من الإبل وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
(٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كما في اللسان (جلح) . وله ترجمة في معجم المرزباني ٣٢٦ . والمعيزارة أم ، وهو قيس بن خويلد .
(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذي لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلح) : « سكنتها » ، وروى في (بقر) : « أسكنتها » . وفي س : : « أمكنتها » .
(٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَأَلَّه يَبْتَقِي عَلَى الْأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَّاعٌ سِنَّهُ غَرْدُ

يقول : تأله لا يبق على الأيام مبتقل : أي الذي يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أمى : ولا يبق شوب . والشوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشيب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » وهي كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شوب » .
وقد ضبط في اللسان : « ولا شُوبَ » بالبناء على الفتح « وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جملة مفرداً عن جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ؛ فلا يعقدون حلفهم إلا عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يحركون الدال في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مداً ، ما بل البحر صوفة ^(٥) : وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) . (إن كان جبلهم رضوى) .

= أي إغراء الكلاب الصائحات به . والطرود ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . ه : « من النيران » محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخضص والصحاح .

(١) ه : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهداردم القتل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمننا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمننا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أي قبرنا قبركم . أي لا تزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أي لا يزيد الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني . ويروى : « ما بل بحر

صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبالهم .
وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم (١) .
ويهلون على من يُخافُ عليه الغدرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفُ
مِنْ جِرْمَانٍ مَنْفَعَتِهَا . وقال الكُمَيْتُ :

كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُخْلَفُونَ لِلْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا (٢)
وَأَصْلُ (٣) الْحِلْفِ وَالتَّحَالِفِ ، إِعْمَاهُو مِنَ الْحَلْفِ وَالْإِيمَانِ (٤)

ولقد تحالفت قبائل من قبائل مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عند نارٍ فدَنَوْا منها .
وعشَّوا بها (٥) . حَتَّى مَحَشْتَهُمْ . فَسَمُّوا : المَحَاشِ (٦) .
وكان سيدهم والمطاع فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة (٧) .
ولذلك يقول النابغة :

بَجَعِ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي
بَجَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِيمًا (٨)

(١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
(٢) الهولة ، بالضم : ما يهلون . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
وكانوا يطرحون في النار ملحا يفتق يهلون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزائنة
(٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما في الخزائنة :

فَقَدِ صَرَتْ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ

(٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .
(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهي القمم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
س ، هـ .
(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .
(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقتة . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بغمرة
ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
ديوان النابغة للبطليلوسي ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ،
تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .
(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما
سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحقتُ بالنَّسَبِ الَّذِي عَـبَّرْتَنِي وَتَرَكْتَ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيَا^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تميم^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وربَّما تحالفوا وتعاقَدُوا على الملح . والمَّلْحُ شَيْثَانٌ : أحدهما المَرَقَةُ^(٣) ،
والآخَرُ اللَّبَنُ . وأنشدوا الشُّعْمِ بنَ خُوَيْلِدِ الفَزَارِيِّ^(٤) :
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ العِبَادِ والمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(٥)

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول :

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لامدح نسبيا ولا مستنكر
وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقاله
النابغة له : أنا لاحق بمن عبرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تفتني عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي للديوان :
« وتركت أصلك » و « ذميا » حال من فاعل « تركت » أي فعلت ذلك
وأنت مذموم .

(٢) أي استعمل الترخيم فحذف الهاء . و تميمية هي ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله و تميميا ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هي في أصل الشرح : « مرة » . و « تميمية بن ضبة » هي في أصلها : « تميم
ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزائنة
(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها
بأنها المرققة .

(٤) شميم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهل كما في الخزائنة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في
الخزائنة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيكمة بن الحارث المازني من مازن فزارة .
ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبيرى .
وفي مقطعات المراتي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزازي يرفي بنى خالدة : كردمه
ولإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . صطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطَّمْحَانِ ^(٢) :

وإني لأرْجُو مِلْحَهَا في بطونِكم وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ^(٣)
وذلك أَنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسْقِيهم اللَّبَنَ ؛ فقال : أرجو أن
تَشْكروا لي رَدًّا إِيَّاي ^(٤) ، على ما شَرِيتُم من ألبانها ، وما بَسَطَتْ من جِلْدٍ
أَشْعَثَ أَغْبَرَ . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازِيل - والمهزولُ يَتَمَشَّفُ جِلْدُهُ
ويَنْقَبِضُ - فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى ^(٥) ، وهي النَّار التي كانوا ربَّما أوقدوها خَلْفَ المسافرِ ،

= وروى بالجر عطفًا على « العباد » أو يجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣) :
٤٤٤ س (٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هي بنت أرقم ،
أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أي في الملح . وفي الأصل : « في » محرفة .

(٢) أبو الطمحنان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب
في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني
(١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفي الكامل ٢٨٤ ليسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف
٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . ولتقصيدة مكسورة الروي . وأولها :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاقَ رُبُّها تَذَكُّرُ أَرْمامًا وأذَكُّرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم

نزَلوا عليه فشرَبوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنتفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، ه : « ردائل » س :
« ردائل » هذا الإهمال . وصوابهما ما أثبت .

(٥) سماها العسكري في كتاب الأوتال : « نار الطرد » صبح الأعشى (١) =

٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحَب الدين أفندي . وسماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٥٩ =

« نار المسافر » .

«وَحَلْفَ الزَّائِرِ الَّذِي لَا يَجُوبُونَ رُجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ
«وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقِدْ نَاراً خَلْفَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارٍ - وَضَرْبَهُ
مثلاً - :

صَحُوتَ وَأَوْقِدْتَ لِلْجَهْلِ نَاراً وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنشَدُوا :

وَجَمَّةٌ أَقْوَامٍ حَمَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِتَوْقِدِ نَاراً لِإِثْرِهِمْ لِتَنْدُمَ^(٢)
وَالْجَمَّةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلْحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :

• تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتَعْطَى فِي الْجَمَمِ^(٣) •

يقول^(٤) : لَا تَنْدَمُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ فِي الْحِمَالَةِ^(٥) ، عِنْدَ كَلَامِ الْجَمَاعَةِ
«فَتَوْقِدَ خَلْفَهُمْ نَاراً كَيْ لَا يَعُودُوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى^(٦) وهى النار التى كانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً
عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً ؛ ليبلغ الخبر أصحابهم .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمعة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرفها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق »
صوابهما فى ط . س : « بالجمم » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحماله ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والسكري فيما نقل عنه
محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندي : « نار الحرب » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةَ أوقدَ في خزازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَا (١)

وإذا جَدُوا في جَمْعِ عَشَائِرِهِم إِلَيْهِمْ (٢) أوقدُوا نارَيْنِ . وهو قول

الفرزدق (٣) :

لولا فوارِسُ تُغَلِّبَ ابْنَةَ وائِلٍ سَدَّ العَدُوُّ عَلَيْكَ كلِّ مَكَانِ (٤)

ضربوا الصَّنَائِعِ والمُلُوكَ وأوقدُوا نارَيْنِ أَشْرَفَتَا على النَّيرانِ (٥)

(١) خزاز وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروایتين . س ، ه ، ه : « خزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » ه : « ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين وهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنازل الآيات : « نزل العدو عليك » ه : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنوقيس وبنو تميم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضمهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحرتين)

ونار أخرى ، وهي « نار الحرتين ^(١) » ، وهي نار خالد بن سنان ،
أحد بني مخزوم . من بني قطيعة بن عبس ^(٢) . ولم يكن في بني إسماعيل
١٥٢ نبي قبله . وهو الذي أطفأ الله به نار الحرتين . وكانت ببلاد بني عبس ^(٣) ،
فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء ، وكانت طيئ تنفث بها إبلها
من مسيرة ثلاث ^(٤) . وربما ندرت منها العنق ^(٥) فتأني على كل شيء
فتحرقه . وإذا كان النهار فإنما هي دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ،
ونزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً :
« نارين قد علتا » . وأشرفنا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفصح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليل ،
لبني مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما في المزهري (٢ : ١١٩) . أما حرة ليل فهي
من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قرية من حرة ليل قرب
المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة ببلاد بني عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام .
وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء في نقل
الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩)
وبلوغ الأرب .

(٤) أنفث الراعي إبله : جعلها ترعى ليلادون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث
ليال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ ، وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩)
وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تتبين بها
إبلها » ، وفي ثمار القلوب : « تنمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨)
وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا
كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقاً لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتفَرَ لها بئراً ، ثمَّ أدخلها فيها ، والنَّاسُ يَنْظُرُونَ ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتى غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول : [هَلَاكَ الرَّجُلُ ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كَذَبَ ابْنُ رَاعِيَةِ الْمُعَزِّ ، لِأَخْرَجَنَّا مِنْهَا وَجِبِينِي يَنْدَى ^(٢) ! فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ دَفَنْتُمُونِي ، فَاحْضُرُونِي بَعْدَ ثَلَاثٍ ؛ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ عَيْرًا أَبْتَرَّ يَطُوفُ بِقَبْرِي ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَانْبَشُونِي ؛ فَإِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَاجْتَمِعُوا لَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ^(٣) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَيْرَ ^(٤) وَذَهَبُوا يَنْبَشُونَهُ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا فَرَقَتَيْنِ ، وَابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي أَبَتْ أَنْ تَنْبَشَهُ وَهُوَ يَقُولُ : [لَا أَفْعَلُ ! إِنِّي ^(٥)] إِذَا أُدْعِيَ ابْنُ الْمَنْبُوشِ ! فَتَرْكُوهُ .

وقد قَدِمَتْ ابْنَتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ . وَقَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ نَجِيٍّ ضَيْعُهُ قَوْمُهُ .

قال : وَسَمِعْتُ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقالت : قد كان أبي يتلو هذه السورة .

(١) هذه التكلفة من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب في محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة في الأصل . ففي ط :

« وجبتي تندل » هـ : « وحبيتي يندا » س : « وجبتي تندی » . ويندى :

أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا في س ، وثمار القلوب . وفي ط ، هـ : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشي .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمشكّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنّ خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرجٍ وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قطّ من الأعرابِ
ولا من الفدّادين^(٢) أهلِ الوبرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكّانِ
المُدُنِ .

وقال خُليدٌ عَيْنِينَ^(٣) :

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّخْلِ^(٤)
وَأُنشِدُوا :

كَنَّارِ الْحَرَّتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال الناسُ كُفَّةً ، والأُممُ قاطبةً - حتى جاءَ اللهُ بالحقِّ - مُولَعينَ
بتعظيمِ النَّارِ ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من النَّاسِ لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرح ، بفتح الشين
وسكون اللراء بعدها جيم . وناظرة ، بالطاء المعجمة . وفي ط ، س : « شرح
وناصرة » ه : « شرح وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدّادون : أهل الوبر ، أمى الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل الليادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير في قصيدة يهجوها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، ه : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدت ألبتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد يجيء في الأثر وفي سُنَّة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبُد والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من النَّاس ، فيجوزون الحدَّ .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لا تُطْفِئُوا النَّيرانَ مِنْ بَيْوتِ » . فلذلك لا تجد الكنائس والبيع^(١) ، وبيوت العبادات ، إلَّا وهي لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخَذت للنَّيرانِ ٥٣ البيوتَ والسَّدنةَ . ووقفوا عليها الغلاتِ السَّكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة^(٢) وقحدم^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكره^(٤) ، وأمره أن يُطْفِئَ النيران ، فأراد عبد الله أن يبدأ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالبدال المهملة . والمعروف في أسمائهم : « قحزم » بالذال ، و « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكره الأربعين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكره اسمه نفع بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكره . الإصابة ٨٧٩٤ .

جور^(١) فيطفيئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعظم من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عليك أحدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدتوا للحرب وامتنعوا ، فابداً بها . فخرج إلى الكاريان فتحصن أهلها في القلعة . وكان رجُلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدّة ، لا يقدرُ عليه أحدٌ ، وكان يمرُّ كلَّ عشيّةٍ بباب منزله^(٥) استخفاً وإذلاً . وينفسه ، فغمّ ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أحدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكر^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشدّ الناس بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدٌ جبان . وإن أمرته به خاف القتال فلم يعرض له . فاحتل له حيلةٌ . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرّ الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلَ خلقٍ هذا ، وما في الأرض - كما زعموا - أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها ما أثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروفاً » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكر » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العدوى » ، نسبة إلى عدوى بفتحين فسكون ففتح ، مقصور ، وهي قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما يجعلون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأكتفه؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مرَّ الفارسيُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وضرَبَ به الأرضَ ووَثَبَ عليه النَّاسُ فقتلوه ، وغشَى على العبدى^(٢) حين قتلوه . فلما قُتِلَ أعطى أهلُ القلعة بأيديهم^(٣) . فقتل ابن أبي بكرة الهرايذة^(٤) ، وأطفأ النَّارَ ، ومضى يُطْفِئُ الذَّيْرَ أَنْ حَتَّى بَلَغَ سَجِسْتَانَ .

(تعظيم الجوس للنار)

والجوسُ تقدِّمُ النَّارَ فى التَّعْظِيمِ على الماء ، وتقدم الماء فى التَّعْظِيمِ على الأرض . ولا تسكاد تذكر الهواء^(٥) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يكوونها من نيران السعالى^(٦) والجن ، وهى غيرُ نار الغيلان^(٧) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(٨) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرايذة : جمع هريذ ، بكسر الهاء والياء ، كزبرج ، وهو خادم نار الجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة الجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض الغويين يجمعهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبي زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَتَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعِيدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا (١)
 سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالُهَا خِيفَةٌ أَنْ تَنَامًا (٢)
 أَتَوْا نَارِي ۝ فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا: الْجَنُّ! قُلْتُ: عَجَّوْا ظَلَامًا (٣)
 قُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامًا (٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنضعه في موضعه إن شاء الله

تعالى (٥) . بل الذي يقع ههنا قولُ أبي المطراب عبيد بن أيوب (٦) :

بهشة التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حفضي سمير » أي بالسين . وانظر
 الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمير بن الحارث
 الضبي » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (غير) إلى تأبط شرا .
 (١) حَضَاتُ : أشعلت . هـ : « حصات » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل
 والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) في شرح نوادر أبي زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها
 بقدر تحلة العين » . وتحلة العين : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل
 الذي يقسم عليه المقدار الذي يبربه قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو
 وقع به وقمة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل
 راحلة » أي إزالة للرحل عن ظهرها . وروى في المخصص (١ : ٩٤) الميداني (١ :
 ٣٢٠) مع نسبه في الأخير إلى تأبط شراً : « وغير » أكالته مخافة أن يناما » . وفي
 الخزانة عن المفضل « وغير أكالته مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ،
 يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أي من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب
 (من) .

(٤) إلى الطعام : أي هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان
 (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بني العنبر . كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ،
 ويبيت الذئب والأفاعي ، ويؤاكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ - ٧٦١ .

فَلَّه دُرُّ الْغُلُولِ أَيْ رَفِيقَةٌ لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ (١) ١٥٤
أَرْنَتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ (٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السدنة تحتال للناس جهة النيران بأنواع الحيل ، كاحتیال
رهبان كنيسة القمامة (٣) ببيت المقدس بمصاييحها ، وأن زیت قناديلها
يستوقد لهم (٤) من غير نار ، في بعض ليالي أعيادهم .

قال : ويمثل احتیال السدان (٥) لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشرر ؛

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . في الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للإقلافي ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رقيقة » أى
صاحبه ، كما في هـ والمراجع المتقدمة . وفي الشعراء « يتسر » بدل « متقفر » .
(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . في الأصل : « أذنت » صوابه في المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه في س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخجيل واختلال السابلة » .
وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتقفز . تزه : تضيء ، وبابه منع .
والمعنى : أنها تحبو تارة وتشتمل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفي مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزه » . وفي هذا
البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة للقيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت في معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . في الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء في التنبية والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلاني ،
بايليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت ، التى يظهر منها النار في يوم السبت
الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . في الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبي =

ليوهمه أَنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ؛ حتى قال :

يَا عَزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ (١)

حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهي النَّارُ التي تُوَقَّدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت
النَّظْرَ . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النِّعَامِ في أفاحيصها ومكيناتها (٢) .
ولذلك قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مُجْرَمٍ (٣)

سِوَى نَارِ بَيْضِ أَوْ غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنْ الْخُنُوسِ الْمَنَاحِرِ تَوَامٍ (٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليمضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم في الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والمزى ، في لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى في المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكيناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمكينات : الأمكنة ومنه

الحديث : « أقروا الطير على مكيناتها » . انظر التفصيل في لسان العرب (مكن) .

قال الزنجشبرى : « ويروى : مُكِنَاتِهَا ، جمع مُكِنٌ . ومُكِنٌ : جمع مكان

كصُعْدَاتٍ في صُعْدٍ ، ومُحْمَرَاتٍ في حُمُرٍ » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه في ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه في ص ٣٤٨ .

وقد يُوقدون النَّيرانَ يَهْوُلُونَ بها على الأَسَدِ إذا خافوها . والأَسَدُ إذا عاينَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أَكْثَرَ ما تَشغَلُهُ عن السَّابِلة (١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

ومرَّ أَبُو ثعلب (٢) الأعرج ، على وادِي السَّبَّاع ، فَعَرَضَ له سَبِيع ، فقال لَهُ المُكَّارِي : لو أمرت غِلْمَانَكَ فَأوقَدُوا ناراً ، وضربوا على الطَّسَّاس (٣) ! ففعلوا فأحجَمَ عنها (٤) . فأنشدني لَهُ ابن أبي كريمة ، في حَبِّه بعد ذلك للنَّارِ ، ومدَّحِهِ لها وللصَّوتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بَغْضِهِ لهُمَا (٥) وهو قوله :

فأحْبَبْتُهَا (٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلاطَهَا ولو في صَمِيمِ النَّارِ نارِ جَهَنَّمَ
وصيرتُ أَلَدَ الصَّوتِ لو كان صاعِقاً وأطربُ من صَوْتِ الحِمَارِ المَرَقَمِ (٧)
وروى أن أعرابياً اشتدَّ عليه البرْدُ ، فأصابَ ناراً ، فدنا منها ليصطليَ بها (٨) ، وهو يقول : اللهم لا تحرِّمِنيها في الدُّنيا ولا في الآخرة !

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من المرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ - ٣٥٥ وكذا ماجاء في نهاية مادة (ا ر) من لسان العرب .

(٣) الطسَّاس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، ه و ثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلي منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الحِيرَةُ ، الضَّفْدَعُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْقُ
فَإِذَا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحياحب)

ومن النيران « نار الحياحب^(١) » وهي أيضاً « نار أبي الحياحب » .
وقال أبو حية :

تَعَسَّرَ فِي تَغْرِيبِهِ فَإِذَا انْحَنَى عَلَيْهِنَّ فِي قَفٍّ أَرْنَتْ جِنَادِلَهُ^(٢)
وَأَوْقَدَ نِيرَانَ الحَيَاحِبِّ وَالتَّقَى غَضَى تَرَاقَى بَيْنَهُنَّ وَلاوِلُهُ^(٣) ١٥٥

وقال القطامي في نار أبي الحياحب :

تُحَوِّدُ تَحْوِيدَ النَّعَامَةِ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتِ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَغَارِبِ^(٤)

(١) الحياحب ، يضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) في الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، ه : « أرنت » س : « أرنتنا » حرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها في بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفي الأصل : « عصا » صوابه في تنزيل الآيات ٩٣ . تتراقى : تتصاعد . والولولون : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) « خود البعير والظلم : أسرع واهتز في مشيه . وفي الأصل ، وهو هنا ط ، ه ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجري (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهي بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شيء ، فهي محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوت » صوابه في ه والمرجعين السابقين . وفي الأصل : « قصر » صوابه في للديوان والأمالى .

ألا إنما نيرانُ قَيْسٍ إذا اشتوت لطارقٍ لَيْلٍ مثلُ نارِ الحِبابِ (١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قريبةٌ من نارِ أبي الحِباب . وكلُّ نارٍ
تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهي نارِ أبي الحِباب . ولم أسمع
في أبي حِبابٍ نفسه شيئاً (٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرقُ :

نَارٌ تعودُ به للعودِ جِدَّتْهُ والنَّارُ تُشْعِلُ نيراناً فتحتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا اشتوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حجب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « اشتوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه
الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس تؤنث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا اشتوا » أى أقاموا شواء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك العمدة (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف .
وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مرفى بمض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقراها - أى طلب منها القرى - فقالت : أنا من قوم يشتون القدم من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها
بأثر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة
(٣ : ١٨٩ - ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حجب) إلى النابغة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حباب ولا
أبو حباب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً » . اسكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلاً عن صاحب العين : « كان أبو حباب رجلاً من محارب خصفة .
وكان بجيلاً لا يوقد ناره إلا بجنب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« لئلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباب فضرب بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العيِّدانَ وتبطلها وتهلكها ،
إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجيء بالغيث . وإذا غيبت^(١) الأرضُ ومُطِرَتْ
أحدتَ اللهُ للعيِّدانِ جدَّةً ، وللأشجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهةٌ بنار البرق ، ونارٌ أبي جباحب ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إن طار بالنهار كان كبعض الطَّير ،
وإن طار بالليل كان كأنه شهابٌ قُذِفَ^(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرة المذكورة في الكتب ، أن رجلاً أتى في ماءٍ
راكِدٍ^(٣) في شتاءٍ بارد ، في ليلةٍ من الخنَّادس^(٤) ، لا قمر ولا ساهور^(٥) -
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشرِ^(٦) والبدر والطق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسيراً^(٧) من برِّد تلك الليلة - قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا جباحب وجباحبا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنها شررة طارت من نار .

(١) غيبت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، ه : « غيبت »
صوابه في س .

(٢) أي الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفي الكتاب : « إلا من
خطفت الخطفة فأنبهه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « باردا » .

(٤) الخنَّادس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقي من الشهر .

(٦) أي العشر الليلي . س ، ه : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أي مضغفاً ومخففاً . ط ، ه : « كاسداً » بالبدال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامِدٌ ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تُجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِثَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلعاء والهَرَاب)

وقال الشاعر :

ونارِ قَبِيلِ الصُّبْحِ بَادَرَتْ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتَهَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)

يقول : بَادَرَتْ اللَّيْلُ ، لِأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بِالنَّهَارِ ، كَأَنَّهُ كَانَ خَلِيعًا

أو مطلوبًا^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ لَا يَتَقَبُّ النَّارَ سَفَرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الرَّجَنَاءُ وَهِيَ لَهَيْدٌ^(٥)

كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَابًا ، فَمِنْ^(٦) حَثْمِ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « بارد » ، وإذا يفسد المعنى ، ووجه ما أثبت .

(٢) طفتت النار ، كسمع ، طفوا : ذهب لهما ، كانطقات . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهمزة » . ط ، ه : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنائته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنائته .

(٥) أنقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجاهدة المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فاعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، ه .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبَيْسِيَّةِ (١) ،
أو بأدنى عُلُقَةٍ (٢) . وقال بعضُ اللُّصُوصِ (٣) :

ملساً بذودِ الحَدَيْسِيِّ مَلْسًا (٤) نَبَّهْتُ عَنْهُنَّ غَلَامًا غُصًّا (٥)

لَمَّا تَغَشَّى فَرَوَةَ وَحِلْسًا (٦) مِنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَا (٧)

بِالْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ تُكْسَى وَرَسًا لِأَخْبِرَا خَبْرًا وَبُسًا بَسًا (٨)

(١) البَيْسِيَّةُ: بالفتح، سيفرها الجاحظ . يقال بس البَيْسِيَّةُ: صنها . ط ، س « بالبَيْسِيَّةِ » .
هـ : « بالبَيْسِيَّةِ » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بس) .

(٢) العُلُقَةُ ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفوفان العقيلي ، أحد بنى المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسي

يعني الرجل الحدسي الذي سرقوا إبله . والحدسي ، بالتحريك : نسبة إلى بني

حدس ، حتى من العين . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود

الحى مئى » س : « يرود الحى مئى » صوابها في اللسان (حدس) ومعجم

المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بذود

الجلسى » محرف .

(٥) عَنْهُنَّ: أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضميف اللثيم . وفي الأصل : « قاسا »

صوابه من نوادر أبى زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جيسا » . والجلس ،

بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تَغَشَّى الشَّيْءُ : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .

وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير

تحت القتب .

(٧) مثاه في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى

وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة

بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا »

س ، هـ : « تكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونوادر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص

ونوادر أبى زيد : « تظلى ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس - وقد

سبق في (٣ : ٨٨) - :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتخبزنا فتبطننا =

ولا تُطِيلَا بُمُاخَ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسَا^(١)
قال : والبَسِيْسَةُ^(٢) : أن يبلّ الدَّقِيْق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسم^(٣) والمَيْسَمِ » يقال للرجل : ما نار
إبلك ؟ فيقول عِلاط^(٤) ، أو خِبَاط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرب بعض اللصوص إبلاً من الهواشة^(٧) ، وقد أغار عليها من كلِّ

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقتصر على الإيساس وهو الحلب «
وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لا تَحْبِزْ أَوْ حَبِزْ أَوْ نَسَا نَسَا » وهى إحدى
روايى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة حبز) . وفسر
الحبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى :
« لا تحبزا حبزاً وبسا بسا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء
فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسيسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبيل بالميسم ، وهو المسكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط
خطأ ، وربما كان خطين أو خطوطاً فى كل جانب .

(٥) الحباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبني سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .
س : « أو حباط » و « حباط » محرقة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س

« جلقة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبيل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبيل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجمَعها من قبائل شتى ، فقرَّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض
التَّجَّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلِّ قومٍ كَرَمَ
إيلهم من لؤمها . فقال :

تَسألني الباعة ما نِجارُها إذ زعزعوها فَسَمَتْ أَبصارُها^(١)
فكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُها وكلُّ نارٍ العالمين نارها
وقال الكردوس المرادى^(٢) :

تسألني عن نارها ونِتاجها وذلك عِلْمٌ لا يُحيط به الطَّمشُ^(٣)
والطَّمشُ^(٤) : الخلقُ . والورَى^(٥) : النَّاسُ خاصَّةً .

تمَّ المصحفُ^(٦) الرَّابِعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى
المصحفُ الخامسُ . وأوله : نبدأ في [هذا] الجزء بتمام القول في نيران العجم
والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس

ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بمضها بيمض . وفي الأصل : « النواسة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفي الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ

زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز في الخزانة ، وأمثال الميداني

(٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفي ط : « الطمس » بالسين ، صوابه في

س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما في س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ١ ٢٧ كلمة « الشُّبُور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שִׁבּוּר) : شوْفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كمرأس السنَّة . والعيد الأكبر : (عيد الصِّيَام) .
- ٢ ٢٧ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عائمتهم أنَّه لا يرأس حتى يكون طویل الباع تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت : وهو بالعبرية : (רֹאשׁ גִּלְגָּוִיּוֹת) : رُوش جالوويوت .
- ٩ ٨٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعض من ألف في الصحابة ، فقرأت بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتبَّ ، فقتله على كفره وردَّته . والنواحة : الكثيرة النوح » .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربتني . فيلحقون الياء » .

٩ « ربطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فىنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرثدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أرْ دِهَاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أرْدِهَار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرْ دِهَاء » أفعى كبيرة . وهي متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافي لا وجود له . وإني أرجو أن تتقبل مني هذه الإشارة التي يعد قبولك إياها مثلاً كريماً . . . » .

٤ ١٧٤ روى في اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

٣ ١٨٤ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أن في العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون في الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فنقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء في المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف في الأول بأم وفي الثاني بالواو . وفي الصحاح تقول سواءً على قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفي كامل الهدى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني : سواءً عليهم أنذرتهم . »

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ لإمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرةً أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٨ ٢٠٣ « الحَلَّاءُ بِاقِرَّةُ » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا نَائِبًا إِذْ دَعَوْتَنِي

مُنَادَى عَيْبِدَانَ الْحَلَّاءِ بِاقِرَّةُ

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف

رواية بيت النابغة .

ش ١٠ ٢١٨ « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف

ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في همع الهوامع (١ : ٣٤) .

لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا

عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ،

وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب

(١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدَّسَّاس ، ثبت علمياً أن الدَّسَّاس وأنواعاً أخرى

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية | ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

« دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها . ٨ ٢٤٣
نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاحى
تكشُّ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينسح وينسح . ونسح ،
يقال من بابى منع وضرب . ٧ ٢٧٠

« وكنت كالهيق غدا بيتغى . . . » الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا بيتغى »
وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنقيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فأب وماله أذنان » اه
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !
ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فأب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني - عند قولهم :

« كطالب القرن جدعت أذنه » - :

مثل النعامة كانت وهي سائمة

أذناء حتى زهاها الحين والجئن

جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه

والدهر فيه رباحُ البيع والغبنُ

فقبل أذناك ظمٌ نمت اصطلمت

إلى الصماخ ، فلا قرنٌ ولا أذن

والجئن ، بضمين : الجنون ، كما في اللسان (جنن ٢٤٩)

عند إنشاد البيت .

ش ٨ ٣٥٣ « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيهه

الإبل المهزولة بالقسي ، قول البحتری - (انظر معاهد التنصيص

: ١ (٢١٦) - :

كالقسي المعطفات بل الأتم هم مبرية بل الأوتار

وقول الشريف :

خوص كأمثال القسي نواحلاً وإذا سما خطبُ فهن سهاً

ش ٩ ٣٨٦ البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .

ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصد

ولا خفرا زادت به حمرة الحد

ورواية البيت بتمامه عند العكبري (٢٧٧: ١) :
وتلقى نواصيها المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

١ ٤٠٨ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ؛
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفى البرق » .

١ ٤١٣ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خِلْقَة .

٢ ٤٢٧ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوماً » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدتُ إلى الجبل لكي آخذَ لوحى الحجر ، لوحى
العهد الذى قطعه الربُّ معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزاً ولا أشربُ ماءً » .

١ ٤٣٢ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :
(פסח) وتنطق : پيسَح . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

لرب الذي عَبَرَ عن بيوت بني إسرائيل في مصر ، لما ضرب
المصريين وخلص بيوتنا . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وحدهم بالضرب ، متجاوزاً بيوت بني إسرائيل
لم يمسه بسوء . والضربة التي تشير إليها التوراة ، هي أن الله
قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هي في النص
العبري للتوراة : [פסע] پاساخ . وهذا هو الفعل العبري
الذي أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربي ، وهي ليست من ذلك .

نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما في القاموس
والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذال معجمة في آخره
كما في كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
سأسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنتُ على الزّمان المودى

مالي بَعثتَ إلى ألف بعوضةٍ وبعثتَ واحدةً على نمرودِ

انظر شرح القاموس .

- « يا أحمد المرتجى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين لإجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بأي صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر مع الهوامع (١: ١٧٦) .
- البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سينه في المخصص (٩: ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

مصر الجديدة في } أول صفر سنة ١٣٨٦
} ٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦

كتبه

عبد السلام محمد عمار

أبواب الكتاب

	صفحة
القول في الدرّة والنمل	٥
باب جملة القول في القرد والخنزير	٣٦
رجع القول إلى ذكر الخنزير	٦٥
القول في الحيات	١٠٧
ومن أعاجيب الحيات	١٢٠
أصوات خشاش الأرض	٢٣٢
باب من ضرب المثل للرجل اللداهية وللحى المتنع بالحية	٢٣٣
ما جاء في الحديث من الجهات	٢٩٢
جملة القول في الظلم	٣١٠
باب آخر وهو أعجب من الأول	٣٢٠
القول فيما اشتق له من البيض اسم	٣٣٥
القول في النيران	٤٦١
باب آخر	٤٦٣